تصـــدير

من ذاكرتى

بقلم الدكتور محمد مهدى علام

المشرف على المجلة

سأصدر هذا العدد ، بالنقل « من ذاكرتى » ، بدلا مما سرت عليه منذ بضع سنوات ، بالنقل « من مكتبتى » وقد دعانى إلى ذلك ما قرأته فى الصحف فى اليومين الماضيين عن الفتنة التى أشعل نارها ، فى بعض مدن الصعيد ، من أضلهم الله عن تاريخ بلدهم ، وعن طبيعة دينهم ، مسلمين كانوا أو مسيحيين ، فكل من الإسلام والمسيحية دين السماحة والتسامح. ولست هنا بصدد تفصيل ذلك ، فهو — إلى أنه واضح لكل ذى عينين — قد تناوله الكتاب ، حتى اختصه السيد رئيس الجمهورية بعنايته .

إنما دعانى إلى الكتابة اليوم ، وقد كنت أعددت « تصديرى » كالعادة عن كتاب « من مكتبتى » أننى تذكرت حادثة تاريخية لها أقوى الدلالة ، على أن بلدنا ليس بلد الفتنة ، وعلى أن ديننا — وكذلك دين مواطنينا الأقباط — ليس دين تعصب .

فى يوم من أيام شهر أبريل سنة ١٩٢٨ كنت راكبا ترام العباسية ، وفى إحدى المحطات صعد راكب فى زى محترم وسن تبلغ الشيخوخة المبكرة فوقفت متنحيا له عن المكان الذى أجلس فيه ، فجلس شاكرا ، وفى المحطة التالية نزل راكب كان جالسا إلى جانب هذا السيد الذى أتحدث عنه ، فجلست فى المكان الذى خلا . وعندئذ أخذ السيد الوقور يحدثنى ، فسألنى عن عملى ، وأخبرته أننى مدرس بدار العلوم ، فإذا بالسيد المحترم يقول لى إنه متخرج من دار العلوم .

وهنا اتجهت إليه بنظرة احترام خاص لأن سنه كان يشعر بأنه أحد كبار المتخرجين من دار العلوم ، فى مثل دفعة سلطان بك محمد ، أو حفنى بك ناصف . أو محمد باشا صالح.

ولما سألته عن تاريخ تخرجه — وكنت يومئذ أكاد أحفظ عن ظهر قلب أسماء جميع الخريجين فى العشرين أو الثلاثين سنة الأولى لإنشاء المدرسة — أخبرنى فى عبارات رقيقة أنه مع تخرجه لم يحصل على شهادة لأنه قبطى ، وكان محبا للغة العربية ، فتقدم لإدارة المدرسة راغبا أن يسمح له بحضور محاضرات اللغة العربية ، فقبل على ألا يسجل للامتحانات أو

الحصول على الشهادة . وهكذا قضى أربع سنوات فى الدراسة ، ثم مارس التدريس والشعر [1] حتى وصل إلى نظارة مدارس الأقباط الكبرى .

وعندئذ أسعفتنى ذاكرتى باسمه ، لأنه كان شاعرا عظيما فى أواخر القرن الماضى ، وأوائل القرن الحالى . فقلت له : سعادتك إذن وهبي بك .

قال : نعم . قلت له : أنا أحفظ كثيرا من شعرك .

وذكرت بعضه له . وأشرت إلى أثر الثقافة الإسلامية فى شعره ،مستشهدا بقصيدته التى رثى بها الفقيد بطرس غالى باشا ، وفيها يطالب بالقصاص فيقول :

فإذا اقتص فالقصاص حياة وهو نص لايقبل التأويلا

هكذا كانت علاقة أبناء الوطن الواحد ، لدرجة أن معهدا إسلاميا مثل دار العلوم ، يقبل بين طلابه مسيحيا يزاملهم أربع سنوات ، ويتخرج علميا (فلم يكن فى حاجة لتخرج رسمى) شاعرا من أبلغ شعراء عصره ، ولغويا فصيحا أشادت بذكره المجلات الأدبية المعاصرة التى عرفته منها حين وجدت أعدادها القديمة بين ما وجدت فى بيتنا فى عهد الصبا مثل مجلة رعمسيس ، وسمركيس ، وأنيس الجليس ، وكان هناك عدة استفتاءات بين رجال الأدب لترتيب أعلى عشرة من الشعراء المعاصرين — وكانت هذه المجلات تنشر الردود التى تأتى من هيئات مختلفة ، من البلاد العربية . وأتذكر جيدا أن اسم وهبي بك كان دائما ضمن كل رد يأتى من أية جهة ، وأن ترتيبه بين كل عشرة كان فى أوائلها .

وأنا أتمنى الآن من يدلنى على مواطن شعره ، لأقدم عنه دراسة ، إن لم أكن قد سبقت إلى ذلك بسبب طول السنين التى قضيتها فى الخارج .

الدكتور مهدى عـلام
نائب رئيس المجمع

---

(١) ذكر خير الدين الزركلى (ج ٢ ص ٨٢)أن وهبي بك « حضر دروسا فى الفقه والعربية فى الأزهر » والذى أقرره هنا كان نقلا عنه شخصيا ، وأن محاولة دراسته فى الأزهر لم تنجح وأن هذا هو الذى حوله إلى دار العلوم . م . ع .

التراث العربي

للدكتور إبراهيم مدكور

إن لكل حضارة تراثها، وتراث الحضارة الإسلامية من أعمقها أثراً، وأوسعها أفقا، انتشر شرقا وغربا، وكان له صدى بعيد في قارات الدنيا القديمة الثلاث، آسيا، وأفريقيا وأوربا، وامتد أثره إلى التاريخ الحديث والمعاصر. كتب بعدة لغات: بين عربية، وعبرية، وسوريانية أو فارسية وتركية وأردية وجاء صنيع شعوب عديدة، وثمرة جهود أربعة عشر قرنا. عني بأمور الدين أصلا، فكان الاشتغال به عبادة، وحفظه وتعهده قربة. ثم تعددت ألوانه، وتنوعت أبوابه، ففيه شرعيات، وأدبيات ولغويات، وفيه فلسفة وسياسة، وعلوم طبيعية ورياضية، وتحت كل شعبة من هذه أقسام متعددة، وتحت كل قسم دراسات مختصرة ومطولة. متون وأصول، شروح وحواش، تقارير وتعليقات. وضعت في عصور متتابعة وعلى أيدي باحثين متلاحقين. ونمت على مر الزمن. ونظرة إلى كتاب الفهرست لابن النديم، وكتاب كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة، تبين مدى خصب هذا التراث، ونموه وتطوره، ظهر الكتاب الأول في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، وشاء واضعه وهو وراق محترف، أن يحصر ما ألف في العربية أو ترجم إليها في عهده. وأسفر إحصاؤه عن عشرات العلوم والفنون، ومئات المؤلفين والمؤلفات. وظهر الكتاب الثاني بعده بسبعة قرون، فتضاعف العدد عشرات أو مئات، وأصبحت الفنون نحو ثلاثمئة والمؤلفون نحو عشرة آلاف، والكتب نحو خمسة عشر ألفا.

ولم يسلم هذا التراث -كغيره- من عدوان الزمن، فقضت الحرائق والحروب على قسط منه غير قليل. وقدر لنا أن نحرم من مؤلفات لانكاد نعرف منها اليوم إلا الاسم، أو بعض فقرات نقلت عنها في مؤلفات أخرى معاصرة أو لاحقة. ومن حسن الحظ أن الولاة والأمراء والباحثين والعلماء كانوا يتنافسون في جمع الكتب واقتنائها. وكان ينسخ من الكتاب الواحد عشرات المخطوطات، وقد يعاد النسخ في عصور متلاحقة، فتوفر للنص الواحد عدة نسخ، بل عدة روايات.

وللميول السياسية والخلافات المذهبية شأن في تخير الكتب واقتنائها، فكان الفاطميون مثلا

حريصين على جمع كتب الشيعة ، وحرص السلاجقة على جمع كتب أهل السنة. وأضحى لكل عالم مظان يبحث عنه فيها ، ففقه المالكية مدين فى مدارسته وحفظ أصوله لشمال أفريقيا ، ويرجع إلى الشام ومصر فى البحث عن كتب الشافعية . ويعد اليمن اليوم أكبر مصدر لما بقى من مؤلفات المعتزلة ، وبخاصة المتأخرون منهم ، وفيه وقفنا على الموسوعة الكلامية الكبرى التى لم تكتمل أجزاؤها بعد وهى «كتاب المغنى» للقاضى عبد الجبار . ويوم أن آل النفوذ السياسى فى الإسلام إلى الدولة العثمانية ، أصبحت استامبول مركزاً هاما للتراث العربى ، ومنه فى مكتباتها حصيلة عظيمة ، وفيها مؤلفات قد لا توجد فى مكان آخر . ويوم أن فكرنا فى إخراج «كتاب الشفاء» لابن سينا . وهو موسوعة فلسفية كبيرة ، أوفدنا إلى استامبول بعثة قضت هناك زمنا . وحملت إلينا نفائس قيمة . وما أجدرنا أن نتابع البحث فى تلك المكتبات العامرة بعلوم الإسلام وفنونه . ولم يقف أمر التراث العربى عند العالم الإسلامى ، فقد تسابق المغربيون منذ القرون الوسطى فى جمع مخطوطاته . وترجموا منها إلى اللاتينية ما ترجموا وجدوا فى اقتنائها مرة أخرى منذ القرن الثامن عشر : وعلى دعائمها قامت حركة الاستشراق الحديثة . وفى المكتبات الأوربية الكبرى أقدار من الكتب العربية مسجلة ومفهرسة . وبخاصة فى المتحف البريطانى . ومكتبة باريس الأهلية والاسكوريال فى أسبانيا ، والامبروزيانا فى إيطاليا فضلا عن مكتبة الفاتيكان .

وللتراث العربى شأن فى تاريخ الثقافة الإنسانية . فهو عنوان حضارة سادت العالم عدة قرون . وهمزة وصل بين القديم والحديث . أخذ عن الحضارات القديمة ، وأثر فى الحضارات الحديثة . أحيا معالم التراث اليونانى ، احتفظ بأجزاء منه ضاعت أصولها . ووجه نظر الغرب إليه ، فبدأ يأخذ عنه . ويتابع خطاه ، ونشأ من ذلك تراث القرون الوسطى اللاتينى .

وللتراث العربى شأن أيضا فى الحضارة الغربية الحديثة ؛ أثر فى علمها وفلسفتها ، فى فنها وصناعتها . وهو اليوم للعرب والمسلمين جميعا مجد الماضى ، ونبراس الحاضر . وهدى المستقبل .

هذا هو تراثنا العربى ، وما أجدرنا أن نعنى به فنحاول جمع ما تفرق منه ونعد العدة لتحقيقه ونشره ، على أن نتفق على منهج هذا النشر وقيوده العلمية الحديثة ، وهذه نقطة أود أن نقف عندها قليلا ، ذلك لأن بين من يحاولون التحقيق أناسا لا يؤمنون بهذا المنهج ولا يعتدون به . ونفقد كبار المحققين الواحد تلو الآخر ، ونسأل أين البديل ؟ ونحن فى حاجة ماسة إلى إعداد أجيال متواصلة من شباب المحققين . واقترحت فيه أوليات لم تر النور . ونحن نرحب بالجهود التى تبذل فى الأقطار الشقيقة لإحياء التراث العربى ونشره ، ولكن الأمر يتطلب ضربا من التنسيق ، تفاديا للتكرار وبذل جهود فى غير موضعها .

ابراهيم مدكور
رئيس المجمع

المعاني الحقيقية للإحسان

للدكتور أحمد الحوفي

كثير من الناس إذا ما سمعوا أو قرؤوا كلمة الحسنة أو الإحسان أو المحسنين تبادر إلى فهمهم أن المراد : الصدقة والمتصدقون ، على حين أن المعنى الحقيقي للكلمة بعيد عن هذا الفهم الذي تعارف الناس عليه ، وليس في القرآن الكريم ولا في المعاجم اللغوية نص على هذه الدلالة ، وإن صحت عن طريق المجاز .

— ٢ —

ولكي نستبين الصواب الذي ينبغي أن نعلمه ونذيعه ونعمل به ، لا بد من أن نرجع إلى معاجم اللغة ، لنجد أن مادة الحسن تدور كلها حول الزينة والتزين والنعمة والخير والجمال والعمل والإتقان .

ومن هذا قوله تعالى : « الذي أحسن كلَّ شيء خلقه » ، أي أنه أحسن وأجاد ما خلقه وسواه وعماه .

والحسنة كل نعمة ينالها الإنسان في بدنه أو نفسه وأحواله ، قال تعالى : « إنْ تمسسكم حسنةٌ تسؤهم » .

وهي أيضا طاعة الله تعالى وعبادته وعمل الخيرات ، قال تعالى : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها » ، وقال سبحانه : « وأقم الصلاة طرفي النهار وزُلَفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات » أما الإحسان فإنه إتقان العمل وإجادته وطيب السلوك وحسن العشرة ، قال تعالى : « الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان » ، فخير الرجال بين استدامة الحياة الزوجية مع حسن العشرة ، وبين التسريح الجميل الرقيق .

وقد سئل رسول الله ﷺ عن الإحسان فقال : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » . وهذا تأويل قوله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى » .

ومعنى هذا الإخلاص في العبادة وملازمة الخشوع ومراقبة الله تعالى حال العبادة ، كأن العابد يراه بعينه ، ومعاذ الله أن يراه أحد ، فعلى العابد أن يدين بأن الله هو الذي يراه .

والآيات القرآنية كثيرة فى هذا المعنى ، منها قوله تعالى « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان » ، أى ليس لمن أحسن العمل والعبادة فى الدنيا جزاء إلا أن يحسن الله تعالى ثوابه فى الآخرة .

ومنها قوله تعالى : « إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها » .

وكثيرا ما وردت كلمة المحسنين فى القرآن الكريم وليس المراد بها المتصدقين ، بل المراد بها الذين يعملون الأعمال فيتقنونها ويقومون بطاعة الله ويكملونها ، قال تعالى : « من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه » ، وقال سبحانه « إن الله يحب المحسنين » ، وجاءت الكلمة للدلالة على المخلصين فى دينهم ، المعذورين فى تخلفهم عن الجهاد ، ضعفا أو مرضا أو فقرا ، فلا ذنب عليهم ولا عتاب « ما على المحسنين من سبيل » .

كما جاءت للدلالة على من يجيدون الفهم والتأويل ، كما فى قوله تعالى على لسان رفيقى يوسف فى السجن يستفتيانه فى تأويل ما رأيا من حلم : « نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين »

— ٣ —

لعله قد اتضح من هذا التطواف السريع أن استعمال كلمة الحسنة للدلالة على الصدقة ، وكلمة الإحسان بمعنى التصدق ، وكلمة المحسنين فى موضع كلمة المتصدقين ، استعمال يجب أن نتريث فيه ، لأن هذا المعنى لم يرد فى معاجم اللغة ولا فى القرآن الكريم ، على حين أن كلمة الصدقة والزكاة ترددت فى القرآن الكريم عشرات المرات .

فهل آن الأوان ليحرص الناس جميعا من عمال وصناع وزراع وتجار وموظفين وحرفيين وأصحاب مهن شتى على إتقان أعمالهم ، ومراقبة ربهم فيما يعملون ويصنعون ويمارسون من شئون ؟

هل آن الوقت لأن يفهم كل فرد منا الحكمة القديمة التى تقول : « قيمة كل امرىء ما يحسنه » ؟

إننا فى أشد الحاجة إلى الإدراك الصحيح لمعانى الإحسان ، وليتنا جميعا ندرك هذه المعانى ، ونأخذ أنفسنا بها ، ونطبقها فى حياتنا الفردية والجماعية تطبيقا أمينا ، فإن إن فعلنا ذلك ، سلم مجتمعنا من المتسيبين والمقصرين والغاشين والمرتشين والمختلسين والمتجرين بأقوات الشعب ، والمنحرفين والمتهاونين فيما يناط بهم من أعمال .

وإن ديننا الحقيقى ليدعونا إلى الإتقان والإجادة ، وإلى مراقبة الله تعالى فيما نقول وفيما نعمل ، ويشدنا إلى هذا شدا ؛ لأنه لا يكتفى بالدعوة ، بل يضيف إليها الوعد الإلهى برفع المحسنين إلى درجات عاليات ، وتبشيرهم بثواب عظيم .

احمد الحوفى
عضو المجمع

نبذة من شعر إبراهيم بن سهل ليست في دواوينه المطبوعة

للأستاذ عبد الله كنون

يظهر أن شعر إبراهيم ابن سهل لم يجمع كله وأن دواوينه المطبوعة ينقصها غير قليل من شعره الذى يوجد متفرقاً فى أكثر من كتاب من كتب الأدب أو بعض مخطوطات ديوانه التى لم يجر عليها طبع ، ومنه نبذة لا بأس بها فاتت جميع نسخ الديوان ، حتى المطبوعة أخيرًا التى استدركت جملة صالحة من متفرق شعره .

وهذه النبذة الشعرية من فائت دواوين ابن سهل ، تقع ضمن أوراق من مجموع مخطوط بمكتبتنا الخاصة ، يشتمل على عدة مؤلفات ؛ منها شرح الأفرانى لموشح ابن سهل ويبلغ عددها إحدى عشرة صفحة وكلها من شعر صاحبنا بحيث تكون ديواناً صغيرًا أو منتخباً من ديوان له ، ولأول مرة قرأتها لاحظت أن بعض شعرها غير معروف ، وقابلتها بالديوان المطبوع بمصر فى مطبعة التقدم بمعرفة الشيخ حسن العطار ، وعناية الكتبى المغربى المعروف مولاى أحمد القادرى ، فتأكد لى ذلك .

ولما لم أكن أملك غير هذه الطبعة من ديوان ابن سهل ، فإنى لم أهتم بالأمر ، وبقيت كذلك إلى أن وقفت على الطبعة الجديدة التى أصدرتها دار صادر ببيروت ، بمقدمة للدكتور إحسان عباس بتاريخ 1387 هـ الموافق 1967 م ، وفى التصدير الذى كتبه المشرفون على الدار لهذه الطبعة ذكروا أن الديوان طبع طبعة حجرية بإشراف الشيخ حسن العطار سنة 1302 وطبع بمطبعة الترقى بمصر بإشراف الشيخ أحمد حسين القرنى سنة 1324 ـ 1906 . وطبع بدار صادر أولا سنة 1951 قبل هذه الطبعة الجديدة ، ولم يشيروا إلى طبعة القادرى التى بين أيدينا ، وقالوا إن

الدكتور إحسان أطلعهم على صورة مخطوطة من الديوان أحضرها من المغرب ولكنها غير تامة ، بل بها بتر ضاعت بسببه بقية حرف الراء والكاف واللام وبعض الميم فأكملوا هذا النقص فى الطبعة الجديدة من نسخ الديوان المطبوعة فيما قبل ، وأضافوا إلى ذلك ما وجدوه من شعر ابن سهل فى مصادر أخرى بلغت فى تعدادها أحد عشر كتاباً من المظان ما بين مغربى ومشرقى .

وإذ ذاك وجدتُ نفسى أمام عمل متكامل يمكن بغاية السهولة مقابلته الأوراق المذكورة به لمعرفة ما إذا كانت تلك الأشعار غير المعروفة مما تنفرد به عن جميع الدواوين المطبوعة وما أضيف إليها من الكتب المظان .

وقد وجدتُ الأمر كذلك بالفعل ، وتبين لى أن شعر ابن سهل لم يدوّن كله ، وأن جمعه كان على فترات ، فلذلك تعددت دواوينه ، واشتمل بعضها على زيادات من قبيل ما فى هذه الأوراق التى ربما كانت مشروعاً لديوان أو منتخباً منه ، ومع ذلك فقد بقى منه ما تفرق فى مصادر أخرى ، مما جمعته طبعة دار صادر الجديدة.

وقد كان عملى أولا استخراج هذه الزيادات من فائت دواوين شعر ابن سهل الذى انفردت به الأوراق المومى إليها ، وهى ما بين قصيد وأبيات ومُخمّس ستُّ قطع ، تجيء فى ستين بيتاً بحسب أشطار المخمّس ، وقد جردتها وضبطتُها وعلقتُ عليها بما يلزم ، وأثبت ما كُتب على بعضها فى طرة الأصل ، ولم أراع فى ترتيبها إلاّ ترتيبها فى الأوراق ، وهو على ما يظهر كان كما اتفق ، لا على الحروف ولا غيرها .

ولابد من الإشارة إلى أن كاتب هذه الأوراق هو كاتب التآليف التى يتكون منها المجموع ، واسمه محمد بن محمد بن إسماعيل بن عمر بن صالح الحسنى التلمسانى ، يدعى ابن مخلوف نزيل طنجة ، وبعض هذه المؤلفات مؤرخ بعام 1292 وبعضها وهو شرح التوشيح ، الذى تأتى الأوراق الشعرية بإثره ، تاريخه عام 1295 فمرجعها إذن إلى أواخر القرن الثالث عشر ، والخط عادى إلى ردىء ومداده فاتح إلى ناصل . وكذلك الألوان التى تتخلله وهو مابين أحمر فاقع وأزرق

ومركب منهما ، أى بنفسجى ، والكاتب يُعنى باختلاف النسخ وتفسير معنى بعض الأبيات فى الطرة وهو مع ذلك غير خال من الخطأ .

وتبتدئ أشعار الأوراق بلفظ الحمد لله ، وهذه العبارة : «ولابن سهل عفا الله عنه» ، وتسترسل هكذا : « وله أيضاً » .

ثم إنى رقمت أشعار هذه الأوراق فكان عددها ثلاثة وثلاثين ، بإدخال الزيادات المقصودة بالذات . وفائدة ذلك أن أعطى لكل رقم منها رقمه فى الديوان . إذ أن أشعار الديوان فى طبعته الجديدة كلها مرقمة ، فتعرف بذلك أشعار الأوراق ماعدا الزيادات الست التى ستذكر بنصها فأرقامها هى التى ستسقط من هذا الجرد .

وعمل آخر كان لابد من القيام به . وهو مقابلة هذه الأشعار بنظائرها فى الديوان لتصحيحها ، أو معرفة اختلاف النسخ ، أو وجود بعض الأبيات الزائدة أو غير ذلك ، وقد تم هذا العمل بغاية الدقة كما سيرى ذلك فى محله .

والنظرة الأولى إلى هذه الأشعار تقضى بأنها لابن سهل ، فهى فى موضوع الغزل الذى يغلب على شعره وكاد يختص به ، وهى كثيرا ما تحوم على المعانى المستقاة من النصوص الدينية وأخبار الأنبياء وخاصة سيدنا موسى عليه السلام ، وإلى ذلك فهى تتراوح بين الإجادة والضعف واقتباس معانى الشعراء السابقين فقلما يأتى بشىء من عنده ، وإجادته إنما تكون فى صوغ ما اقتبسه صياغة محكمة وكذلك شعره فى الديوان ، وأجود شعره موشحة : هل درى ظبى الحمى ، وقصيدة : سل فى الدياجى ، وتتنازعنى الآمال ، وبعض الموشحات والقصائد الأخرى ، والمقطعات التى تميزت فيها شخصيته وظهرت عبقريته .

وقد يحول بعض التصحيف الذى دخل شعره عن استجلاء المعنى الذى يقصده فيضعف ، كما وقعت الإشارة لذلك ، فى موضع أو موضعين من هذه الأشعار .

وأخيراً أرجو أن أكون وضعت ، ولوحبة رمل ، فى صرح التاريخ الأدبى للأندلس ، بهذه العجالة المتواضعة والله الموفق

تتمـــة

بعد كتابة هذا المقال اطلعت على العدد التاسع عشر من مجلة حوليات الجامعة التونسية ، وهو عدد خاص يحمل عنوان : أشعار لابن سهل الإسرائيلى ، من إعداد الأستاذ محمد قوبعة ، أشار فيه إلى مخطوطات ديوان ابن سهل الموجودة فى تونس وضمنه نص كتاب : الممتع السهل فى ترجمة وشعر ابن سهل ، للراعى النحوى الأندلسى ، وقد قارن هذا الكتاب والدواوين الأخرى بمطبوعات ديوان ابن سهل وخرج بزيادات من شعره على محتوى الدواوين المذكورة .

وكذلك قمنا بمقارنة مع هذا العمل الجيد لأشعار النبذة التى قدمناها من شعر ابن سهل ، فوجدناه يتوافق وإياها فى ثلاثة أشعار هى رقم 11 ورقم 20 ورقم 33 . ويبقى من فائت شعره على مختلف الدواوين ، وهذا الذى احتواه عدد مجلة حوليات الجامعة التونسية التاسع عشر ، ثلاثة أشعار امتازت بها هذه النبذة وهى الواقعة تحت رقم 3 ورقم 15 ورقم 19 أما الخلافات اللفظية فى الأشعار الثلاثة التى يتوافق فيها العملان ، فقد استدركناها فى التعاليق بعلامة (*)

بقى أن نشير إلى خطأ نسبة الأبيات الأربعة التى أولها :

وقف الهوى بى حيث أنت

إلى ابن سهل ، فهى من شعر أبى الشيص الخزاعى كما فى ديوان الحماسة وغيره . وأن صواب البيت الرابع هو :

وأهنتنى فأهنت نفسى صاغراً
ما من يهون عليك ممن يكرم

الزيادات

3

حبيبى على الدنيا إذا غِبتَ وحشة
فيا قمرى قل لى متى أنت طالع ؟

لقد فنيت روحى عليك صبابةً
فما أنت يا روحى العزيزةُ صانع ؟

سرورى بأن تبقى بخير ونِعمة
وإنى من الدنيـــا بذلك قانع

فما الحب إن ضاعفته لك باطل
وما الدمع إن أفنيته لك ضائع

وغيرك إن أوفى فما أنا ناظر
إليه وإن نادى فما أنا سامع

كأنّىَ موسى حين ألقتْه أمُّه
وقد حُرِّمتْ يوما عليه المراضع

أظن حبيبي حـال عما عهدته
وإلَّا فما عـذر عن الوصل مانع

فقد راح غضبانا ولى ما رأيتُـه
ثلاثةُ أيام وذا اليـوم رابع

أرى قصده أن يقطع الوصل بيننا
وقد سلَّ سيف اللحظ والسيف قاطع

وإنى على هذا الجفاء لَصـابِرٌ
لعل حبيبي بالرضـا لى راجع

وإن تتفضل يا رسولى فقل له
حبيبك فى ضيق وحلمُك واسع

فوالله ما ابتلت لقلبىَ غـلةٌ
ولا نشِفت منى عليه المدامع

تذلَّلت حتى رقَّ لى قلب حاسدى
وصار عدوى فى الهـوى لى شافع(1)

فلا تُنكروا منى خضوعاً رأيتم
فما أنا فى شئ سوى الحب خاضع

— 11 —

موسى ترفـق ولا تُضِـعنى
عبدك لا شـك بعض مالك(٢)

إذا مزايا الجـمال عدَّت
لم يحسب البـدر من رجالك

لا نال الزمـان منك حـظًّا
ولا الذى نِلتُ من وصالكِ(*)

— 15 —

مقلة عينى نظـرت
حتى لقـلبى أسرت

وذو دلال أهيـفٍ
نكهته قـد عطِرت(2)

فى وجـه من أحبَّـه
(إذا السماء انْفطَرت)

وأدمعى من أجـله
(إذا البحـار فُجِّرت)

ومهجتى من هجـره
(إذا الجحيم سُعِّرت)

وخاطرى فى حبـه
(إذا السماء انْكَدرت)

بدرٌ كأنَّ عقـله
(إذا الجبال سيِّرت)

---

(1) لا يخفى أن المقام هنا للنصب لا للرفع .

(*) كتب على هذا الشطر بطرة الأصل : أى لا تشك بأن عبدك هو من جملة مالك لكونه مشترى من المال الذى لك بلا شك ولا ريب .

(2) بالأصل : نهتكه .

(*) بمجلة الحوليات : إلا الذى نلت .

قـد علمـت نفسى به
(ما قدَّمت وأخرت)

قلت لـه متى اللِّقا
وأدمعى تحـــدَّرت

فقـــال لى مجاوبا
(إذا القُبور بعثِرت)

أراد قتـــلى عامدًا[1]
(بِأَىِّ ذنب قُتلت)

— 19 —

أما آنَ للبدر المنير طلوع
فتُشرقَ أوطـــان لـه وربوع

فيا غائبا ماغابَ إلاَّ بوجهـــه
ولى أبدًا شـوق لـه وولُوع

سأشكر خمًّا زاد فيــه عبادتى[2]
وإن كان فيــه ذِلةٌ وخضوع

أُصلِّى وعندى للصبابة رِقَّة
فــكل صلاتى فى هواك خشوع

أأحبابنا هـل ذلك العيشُ عائد
كما كان إذ أنتم ونحن جميع

وقلتم ربيــعٌ موعد الوصل بيننا
وهذا ربيع قد مضى وربيــع

فقد فنِيتْ ياهاجرين رسائلى
ومـلَّ رسـول بيننا وشفيع

فلا تقرعُوا بالعتب قلبى فإنــه
وحقكمُ مثـــلُ الزُّجاج صديع

وما ضاع شعرى (فيكم) حين قلته[3]
بلَى وأبيكم ضاع فهو يضوع

أُحب البديع الحُسن معنىً وصورة
وشعرى فى ذاك البديع بديع

— 20 —

وله وقد مر بحانوت حجام فأبصر فيه مليحاً يُفصد فأنشأ :

انظر إلى دمه فى الطاس حين جرى (*)
نوعاً من الراح فى كأْسٍ من الذهب

حتى إذا غُيبت فى كُمِّه يده (*)
كالشمس غابتْ عن الأَبصار فى الحُجب

---

(1) بالأصل عمدا .

(2) كذا وقد تكون عيادتى وزاد : رام، ومع ذلك يبقى المعنى غامضا .

(3) فيكم ليست فى الأصل ولا بد منها ، وحين قلته تصحفت فى الأصل بحين نلته .

(4) فى الأصل : يداه فى كه ، ونظن أن صوابه ما أثبتناه .

(*) بمجلة الحوليات : أما ترى دمه فى الطشت . . . . سلافة الراح . . . وتزيد بيتا هو :
لو لم تكن من دم العنقود بقية لما اشتكى خده القانى من اللهب
وبعده : تبت يداعاذلى فوق وجنته . . بعد ذلك يأتى بيت : «حتى إذا دخلت فى كه يده» على هذا النحو، وعجزه كما عندنا، والبيت الأخير يبتدئ هكذا : ارجع لما قال .

تَبَّتْ يدٌ كتبتْ من فوقِ وجْنته
حمَّالة الورد لا حمَّالة الحطب
انظر كما قال فى التنزيل خالقُنا
اخفِض جناحك يا مودى من الرهب

— 33 —

أَلحاظ ظبْى فوق ثغر تدل
أَهلال تمر فـوق جيـد غزال
أَقضيب بانٍ فى كثيب رمـال
هبَّ النسيم بِغصنه الميَّـال (*)
فاختال بين ترنح ودلال
رشأ يهِيم بِحسْن منظره الرَّشا
يروى ويرعى فى المدامع والحشا
قلم الجمال بصحن خديه وشَى
احكم على أهل الغرام بما تشا
وقدِ المـلاح فأَنت فيهم والِ
كلف الفؤاد بحب أحوى أحور
يفترُّ مسكاً عن خِتام السكَّر
فى فِيه يجْرى كوثر من جوْهر
جمدت له فى الخال نقْطة عنْبر
فأَذاب ماءُ الخدِّخاءَ الخال (1)
من لى به لَبِس الملاحةَ وارتوى
وحـكى الغزالةَ مقلة ومقلدا
والورْق تعشق منه غضا أمْلدا
وتمنَّت الأَكواس أَن تتزوَّدا
برضا به بدلاً من الجِريال (2)
ظبْى مهاب (3) بين مشْتبك القنا
أَلحـاظه فيهـا المنايا والمنى
ستروه خوفاً منهم أَن يفْتنا
والله ماحـطَّ النقـابَ ولا رنَى
إلاَّ وتيَّم كلَّ قلـب سـال
لمَّا تطلع فى سـنا إشراقـه
والسحر معقـود بعقدِ نِطاقه
والجور فى الأَحـكام من أخـلاقه
استلَّ سيف اللحـظ من أحداقه
فعلمت أن اليـوم يوم قتال
آه لما حمِّلته فى حبـــــه
من لِينِ مَعطِفه وقَسوة قلبــه

(1) من معانى الخال : الفؤاد والرجل الضعيف وهما أنسب المعانى بالخال هنا .
(2) الجريال : الخمر .
(*) بمجلة الحوليات : عبث النسيم بقده . وهى أولى ، وفيها أول الشطر العاشر : ومر الملاح وفى الشطر 13 : كوثر فى جوهر . وفى الشطر 17 وتقلدا بدل مقلدا . وفى الشطر 35 خالى البال وفى الشطر 41 تحكما بدلا من محكما .
(3) اتبع فيه ما يجرى على الألسنة . والصواب : مهيب .

أَلِفَ الصدود فلا سبيل لقربــه

أُمسِي وأُصبح مغرماً صبًّا به

فانى الحشاشة وهو خِلو البال

أسكنته صدرى فتاه وما ارتضى

وقضَى بِهجرى فارتضيت بما قضى

ووهبت روحى أَبتغى منه الرضا

وبذلت نوماً جفنه ما غمَّضا

إلا لكى يحظى بطيف خيال

يا شادِناً فى العاشقين محكما

أَحللتَ من سفك الدِّماء محرما

فَرَّقتَ من أَلحاظ جفنك أَسْهما

وقتلتَ نفساً فى الهوى فكأَنما

سلَّطتَ أَلحاظاً على الآجال

ما ضر لو رحم الغريق بِمزنه

أَو لو شفى يعقوبه من حزنه

جسمى تساوى فى السقام بجفْنه

سبحانَ من فتَنَ العباد بحُسنه

وقضى لجسمى فيه بالإعلال

ارقام الأشعار فى الأوراق

وأرقامها فى الديوان

رقَّمت أَشعار هذه الأَوراق بحسب ترتيبها فيها من واحد إلى 33 قصد مقابلتها بما فى الديوان إذ كانت الأَشعار فيه مُرقَّمة أَيضاً . ومن فوائد ذلك معرفة المحتوى الشعرى الذى تضمنتْه كما قلت سابقاً . وهذه هى تلك الأَرقام مسلسلة من 1 إلى 33 ماعدا أَرقام الزيادة طبعاً وما يقابلها فى الديوان :

126 : 6 106 : 5 120 : 4 114 : 2 59 : 1
62 : 12 63 : 10 60 : 9 10 : 8 8 : 7
30 : 18 103: 17 9 : 16 15 : 14 34.13
109:25 104 : 24 28 : 23 122 : 22 27:21
20: 30 19 : 29 115: 28 84 : 27 49:26
85 : 32 45 : 31

التصحيح وتعدد النسخ

بعد ترقيم أَشعار الأَوراق أَجرينا مقابلة بينها وبين نظائرها فى الديوان فتبين لنا أَن بين بعض أَلفاظها اختلافاً ، وفى البعض الآخر تصحيفاً ، ونحن نثبت ذلك فيما يلى :

الديوان 59 : رأيت ظباءَ المسك
لاتخزن المسكا

الأوراق 1 : رأيت ظباء المسك
لاتمنع المسكا

الديوان 114 : ويقدح فى الأحشاء
نيران أشواق

الأوراق 2 : وتقدح نار البرق
نيران أشواق

بعد بيت : تحسن إلى
الخيرى 106

فى الأوراق زيادة هذا البيت :
وما أسهر الظلماء إلا لعلة
لِيُنشِقنى الخيرىُّ من نشره عَرفا

الديوان 106 : وما منصفى يدرى
خلاف اسمه حرفاً

الأوراق : 5 ولا منطقى يدرى
خلاف اسمه حرفاً

الديوان 106 : ولولا حيائى واتقائى
محله

الأوراق 5 : ولولا حيائى واتقائى
بخله

الديوان 126 : فنص لى لحظة
الأمراض والعللا

الأوراق 6 : فقص لى لحظة
الأمراض والعللا

الديوان 126 : لو كان ينضح من
ماء اللمى نصلا

الأوراق 6 : لو كان ينضح من
ماء اللمى نهلا

الديوان 126 : شوقى إليك ولا كلّفت
شوقى قد

الأوراق : 6 شوقى إليك ولا حملت
شوقى قد

الديوان 60 والأوراق و

جاء فى طرة هذا البيت :

سامحت فى سفك دمى باخلا

برشفة من ريقه السلسل

مايلى : باخلا : منصوب بإسقاط الخافض تقديره : لباخل سامحت فى سفك دمى ، فهل أبخل من هذا المسامَح بفتح الميم الثانية ، ولايخفى مافيه من التكلف . وكان يصح هذا التقدير لوكان الفعل سمحت كما فى الديوان ، ولكن الديوان ليس فيه باخلا ، بل راضياً فهو لايحتاج لهذا التقدير .

الديوان 60 : أحسن من عصر
الصبا المقبل
الأوراق 9 : أحسن من غصن
الصبا المقبل
الديوان 60 :
شاكى سلاح القد واللحظ فى
حربٍ شج عن صبره أعزل
الأوراق 9 :
شاكى سلاح القد والنهد والعيني
ن فى حرب شج أعزل
الديوان 60 : منسلب الحيلة
والصبر لا
الأوراق 9 : مستلب الحيلة
والصبر لا
لكن سقطت منه الحيلة .
الديوان 63 : إلا هوى رد حق
عند باطله
الأوراق 10 : إلا هوى رد حق
عبد باطله
الديوان 63 : وحاجتى فيك بين
اليأس والأمل
الأوراق 10 : وحاجتى منك بين
الخوف والخجل

الديوان 34 : وخط بصدغه للحسن
واوا
الأوراق 13 : أَخُطَّ بصدغه للحسن
واو (بالرفع كأنه
نائب فاعل خُطَّ
المبنى للمجهول ،
والهمـــزة قبـــله
للاستفهام) .
الديوان 9 : ظمئت منك لوعد
الاوراق 14 : ضحيت منك
لشمس
الديوان 103 : ولا يحمل حلم
الضعفا
الأوراق 17 : ولا يحمد حلم الضعفا
الديوان 103 : ما كنت موصولا
فإفكٌ عصر وصل سلفا
الأوراق 17 : ما كنت موصولا
فأبكى عصر وصل
سلفا
الديوان 85 : بقبلة نسكى أنه
وجهك الحسن
الأوراق 32 : بقبلة نسكى أنها
وجهك الحسن .

عبد الله كنون
عضو المجمع من المغرب

ملاحظات
على قياسية الغالب من جموع التكسير

للدكتور شوقى ضيف

جمع التكسير هو الجمع الدال على أكثر من اثنين بتغير يلحق مفرده إما فى الشكل حركة وسكوناً مثل أسد أُسْد — أُمَّة أُمم ، وإما فى الحروف نقصاً وزيادة مثل كتاب كتب — رجل رجال — صديق أصدقاء — فتى فتيان . وصيغ جموع التكسير تتكاثر حتى لتبلغ نحو ثلاثين صيغة ، مما يجعل من الصعب وضع أقيسة لها تضبطها ضبطاً دقيقاً ، ولذلك يظن كثيرون أنها لاتخضع للقياس ، بل تخضع للسماع وحده ، غير أن النحاة حاولوا — منذ سيبويه — أن يضبطوا القياس فى طائفة من تلك الصيغ أو تلك الجموع ، مما جعلها تنقسم إلى قياسية يمكن أن يقاس عليها المشبه لمفردها مما لم يسمع فيه جمع عن العرب ،وسماعية وهى التى سمعت فى مفردها ، وتحفظ ، ولا يقاس عليها المشبه له . وقد عنى المجمع — منذ فترة غير قليلة — بمراجعة جموع التكسير فى كتب النحو والصرف ، واستخلص منها ما يطرد فيه القياس من تلك الجموع ، وبذل فى ذلك جهدا خصباً مشكوراً ، غير أنه لم يتسع فى بيانها ، وأيضاً فإنه ذكر بعضاً منها دون أمثلة توضحه ، وهو ما دفعنى — استكمالا للفائدة العلمية — إلى بيان تلك الأقيسة بياناً تفصيليا فى الأرقام : ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١٠ من الصفحات ٤٥ إلى ٤٩ فى مجموعة قرارات المجمع العلمية المنشورة على النحو التالى :

٣ — قياس جمع الاسم الثلاثى المجرد من تاء التأنيث

جاء فى هذا القياس أن فعْلا المعتل العين كعيْن يجمع على أفعال وفعول ،وفى تنبيه لاحق بنفس الصفحة يجمع نحو تاج على تيجان ،ولا يجمع نحو ثوب وريح على

فُعول ولا يجمع ميل على فِعال . والقياس فى صيغة فعْل المعتلة العين بالألف والواو والياء على هذا النحو فيه قصور وإبهام لا يزيلهما إلّا تحرير قاعدة فعْل المعتل العين وأنه إذا كان معتلاً بالألف مثل تاج ودار جمع على فعلان وفُعْل فقيل : تيجان ودور . وإذا كان معتلاً بالواو مثل ثوب جمع على أفعال وفِعال : فقيل أثواب وثياب ، وإذا كان معتلاً بالياء مثل عين لم يجمع فقط على أعيان وعيون كما ذُكر وإنما يجمع أيضًا على أعين وهو جمع يتكرر فى القرآن الكريم كثيرًا .

وجاء فى القياس أن فِعْلًا كجسم يجمع على أفعال وفعول مثل أجسام وجسوم ، وقيل : إن كلمة ريح لا تجمع على فعول. ولم يذكر قياس جمعها وكان ينبغى أن ينصّ على أن فِعْلًا يجمع على أفعال وفعول إذا كان صحيح العين . أمّا إذا كان معتل العين مثل ريح فإنه يجمع على أفعال مثل ميل وأميال . وأيضًا على فعال فيقال : رياح . وكذلك أرياح وأرواح .

وجاء فى القياس أن فُعْلًا مثل برد يجمع على أفعال وفعول وفى التنبيه اللاحق أنه يكثر فى «عود» فِعلان وفى باب «خُصّ» فِعال . وكان ينبغى أن يوضح القياس فى باب فُعْل وأنّه إذا كان صحيح العين فقياس جمعه أفعال وفعول مثل بُرْد وأبراد وبرود وإذا كان معتل العين مثل عود كان جمعه على فِعْلَان كما ذكر وعلى أفعال فيقال : عيدان وأعواد وإذا كان مضعفًا مثل خُصّ كان جمعه على خِصاص كما ذكر وعلى أفعال فيقال : أخصاص كما يقال : عُش ، وعشاش وأعشاش .

وجاء فى قياس الجمع لفعَل بفتح الفاء والعين مثل جبل وأسد أنه يأتى على أفعال وفعال مثل آساد وجبال ، ولم يذكر أنه يأتى أيضًا على فُعول وفُعْل مثل أسود وأُسْد .

وذُكر أنّه يلزم فى جمع فَعل المضعّف أن يأتى على أفعال مثل عدد وأعداد . ويجمع فعل المعتل مثل عصا – ندا – رحى على فعول فيقال : عصىّ بضم العين وكسرها كما يقال : أنداء – أندية – أرحاء أرحية.

وجاء فى قياس جمع فَعِل مثل نمر ووعِل أنه يأتى على أفعال فيقال : أنمار وأوعال

ولم يذكر أنه يأتي على فُعول فيقال : نمور ووعول .

وبقية أقيسة جمع الاسم الثلاثى المجرد من تاء التأنيث وهى ستة صحيحة على نحو ما تصورها القرارات المجمعية فى قياسية الغالب من جموع التكسير إذ يطرد القياس فى جمع فعْل الصحيح العين على أفعل وفِعال أو فعول مثل جمع كلب على أكلب وكلاب وجمع نسر على نسور . وبالمثل يطرد جمع فِعل مثل عِنب وفِعِل مثل إبل وَفَعل مثل عَضُد وفُعل مثل عنُق على أفعال فيقال : أعناب وآبال وأعضاد وأعناق . كما يطرد جمع فُعَل مثل صُرَد (طائر كالعصفور) على فِعلان فيقال : صِرْدان .

ولعل فى كل ما قدمت ما يوضح الحاجة إلى وضع جدول لبيان أقيسة الجمع للاسم الثلاثى المجرد من تاء التأنيث فقد يكون فى ذلك بعض الفائدة .

جدول
لقياس جمع الاسم الثلاثى
المجرد من تاء التانيث جمع تكسير

يجْمع فَعْل الصحيح العين مثل كلب — نسر على أفعل وفعال أو فعول مثل أكلب وكلاب وأنسر ونسور .

يجمع فَعْل المعتل العين بالألف مثل تاج — دار على فِعْلَان أو فُعْل مثل تيجان — دور .

يجْمع فَعْل المعتل العين بالواو مثل ثوب على أفعال وفعال مثل : أثواب — ثياب .

يجْمع فَعْل المعتل العين بالياء مثل عين على أفعل وأفعال وفعول مثل أعين — أعيان — عيون .

يجْمع فِعْل الصحيح العين مثل جِسْم على أفعال وفعول مثل أجسام — جسوم .

يجْمع فَعْل المعتل العين مثل ريح على فِعال مثل رياح ،وجاء فيه أرياح وأرواح .

يجْمل فُعْل الصحيح العين مثل بُرْد على أفعال وفعول مثل : أبراد — برود .

يُجْمع فُعْل المضعف العين مثل عُش على أفعال وفعال مثل أعشاش — عِشَاش .

يُجْمع فُعْل المعتل العين مثل عود على أفعال وفِعلان مثل : أعواد — عِيدان .

يُجْمع فَعل الصحيح العين مثل جبل وأسد على أفعال وفِعال أو فعول وفُعْل مثل : أجبال — جبال — آساد — أُسود — أُسْد .

يُجْمع فعَل المضعف العين مثل عدد ، وضرر على أَفعال مثل أعداد ـ أضرار .

يجْمع فَعل المعتل اللام مثل عصا وندا ورحى علَى فعول وأَفْعال وأَفْعلة مثل عصِّى

بضم العين وكسرها ـ أنداء ـ أندية ـ أرحاء ـ أَرحية .

يجْمع فعِل مثل نمِر ووعل على أَفعال وفعول مثل : أنمار ونمور ـ أَوعال ووعول .

يجْمع فِعل مثل عِنب على أفعال مثل أعناب .

يجْمع فِعِل مثل إبل على أَفعال مثل : آبال .

يجْمع فَعُل مثل عضد على أفعال مثل : أعضاد .

يجْمع فُعُل مثل عنق على أفعال مثل أعناق .

يجْمع فُعَل مثل صُرَد (طائر كالعصفور) على فِعْلان مثل صِرْدان .

وتجْمع فعَلة السالمة على فِعال مثل رقبة ورقاب والمعتلة اللام مثل قناة بحذف التاء فيقال : قَنًى وهى حينئذ اسم جنس جمعى .

وتجْمع فُعْلة سالمة ومعتلة على فُعَل مثل غرفة وغرف وخطوة وخطىً.ولم يذكر أن فعلة السالمة قد تجمع على فِعال مع فُعَل مثل غرفة وغِراف وغرف ورفْقة ورِفاق ورُفَق وشذت حُرَّة فإنها تجمع على حرائر .

وتجْمع فُعَلة كتخمة على فُعَل فيقال : تُخَم كما يقال فى تهمة : تهم .

وذكر أن فِعْلة تجمع على فِعَل سالمة ، ومعتلة مثل : كِسْرة وكِسر وقيمة وقيم وحِلْية وحِلىً.ولم يذكر أنها تجمع أيضًا على أفعل مثل : نعمة وأنعم ونِعم .

وتجْمع فَعِلة على فِعَل مثل : مَعِدَة ومِعد .

٤ ـ قياس جمع الاسم الثلاثى المزيد بتاء التانيث

جمع المؤنث السالم

ذكر فى قياس جمع هذا الاسم جمع مؤنث سالمًا أنه يجمع على فَعلات ولم تضْبط عين فعلات ولا فاؤها وأيضًا لم يُسْتقْص القياس فى جمع التكسير . والقاعدة أن فعْلة بفتح الفاء وسكون العين تجمع على فعَلات بفتح عينها إذا كانت

سالمة صحيحة مثل قَصْعة وسجْدة فيقال : قصعات وسجَدات. وإذا كانت معتلة العين جُمعت على فعْلات بسكون عينها مثل روضة ودولة فيقال : رَوْضات ودوْلات . وإذا كانت معتلة اللّام جُمعت على فَعْلات بفتح العين وسكونها مثل شهوة وظبية ، فيقال : شَهْوات بسكون الهاء وفتحها ، وظبْيَات بسكون الباء وفتحها .

وتجْمع فَعَلة سالمة معتلة اللّام على فعَلات بفتح العين مثل رَقَبة – صلاة فيقال : رقبات وصلوات .

وتجمع فُعْلة إذا كانت سالمة على فُعْلَات بضم العين وتسكينها مثل غرفة فيقال : غرُفات بضم الراء وتسكينها وبالمثل إذا كانت معتلة اللّام بالواو مثل خطْوة فيقال : خُطُوات بضم الطاء وتسكينها فإن كانت معتلة اللّام جُمعت على فُعْلات بسكون العين مثل كُلْية فيقال : كُلْيات بسكون اللّام .

وتُجْمع فُعَلة كتُخَمة على فُعَلات بفتح العين فيقال : تُخَمات .

وتُجْمع فِعْلة صحيحة اللّام مثل كِسْرة على فِعِلات بكسر العين وتسكينها فيقال : كِسِرات بكسر السين وتسكينها ومثلها نعمة ونعِمَات بكسر العين وتسكينها. وإذا كانت معتلة العين واللّام مثل قيمة – رشوة جُمعت على فِعْلات بتسكين العين فيقال : قيمات ورِشْوات .

وتُجْمع فَعِلة كمَعِدة على فَعِلات بكسر العين وتسكينها فيقال : مَعْدات .

جمع التكسير

أما جمْع التكْسير فى جمع فَعْلة فذكر فى قياس جمعها سالمة ومعتلة أنهاتجمع على فعال. ويلاحظ أنها وهى سالمة تجمع على فِعال وفِعَل بكسر الفاء وفتح العين مثل قصْعة وقِصاع وقِصَع وشذت ضرَّة فإنها تجمع على ضرائر وكذلك كَنَّة (امرأة الأخ أو الابن) تجمع على كنائن .

وتجْمع فَعْلة المعتلة العين على فِعال وفُعَل مثل روضة ودولة والجمع رياض ودُوَل .

وتجْمع فعْلة المعتلة اللّام مثل ظبية على فِعال مثـــل ظِباء وكذلك على أفعـــلة وفُعَل مثل شهوة وأشهية وشُهًى .

ولعل فى كل ذلك ما يوضح الحاجة إلى وضع جدول لبيان أقيسة الجمع السالم ، والمكسر للاسم الثلاثى المزيد بتاء التأنيث على النحو التالى :

جدول

لقياس جمع الاسم الثلاثى المزيد بتاءِ التأْنيث جمعا سالما وجمعا مكسرا

المفردة	جمع المؤنث السالم	جمع التكسير
تجْمع فعْلة سالمة مثل قَصْعة	على فعلات بفتح العين مثل قَصَعات	وعلى فعال وفِعَل مثل قِصاع وقِصَع
تجمع فَعْلة معتلة العين مثل روضة ــ دولة	على فعْلات بسكون العين مثل روضات دولات	وعلى فعال وفُعَل مثل رياض ودول وشذت ضرة فإنها تجمع على ضرائر
تجْمع فعْلة معتلة اللام مثل ظَبْية شهوة	على فَعْلات بفتح العين وسكونها مثل : ظبْيَات ــ شهوات	وعلى فِعال مثل ظِباء أَو أَفْعلة وفُعَل مثل أَشَهية ــ شُهًى
تجْمع فعَلة السالمة مثل رقبة	على فعَلات بفتح العين مثل رقبات	وعلى فعال مثل رقاب
تجْمع فعلة معتلة اللّام مثل قناة ، مهاة	على فعَلات بفتح العين مثل قنوات . مهوات	وعلى فعل بحذف التاءِ قَنًى ــ مهى
وتجْمع فُعْلة السالمة مثل غُرْفة	على فعْلات بضم العين وسكونها مثل غُرْفات	وعلى فِعال وُفَعل مثل غِراف وغرّف وشذت حُرَّة ، فإنها تجمع على حرائر

المفردة	جمع المؤنث السالم	جمع التكسير
تجْمع فُعْلة المعتلة اللّام بالواو مثل خُطْوة	على فعُلات بضم العين وسكونها مثل خطُوات	وعلى فُعَل مثل خُطًى
تجْمع فُعْلة المعتلة اللّام بالياء مثل كلية	على فعْلات بسكون العين مثل كُلْيات	وعلى فعل مثل كُلًى
تجْمع فُعَلة مثل تُهَمة	على فُعلات بفتح العين مثل تُهَمات	وعلى فُعَل مثل تُهم
تجْمع فِعَلة السالمة مثل نِعمة	على فِعِلات بكسر العين وسكونها مثل – نِعْمات	وعلى أفعل وفِعَل مثل أنعم – نِعم
تجْمع فِعْلة المعتلة العين أو اللّام مثل قيمة رشوة	على فِعْلات بسكون العين مثل قيمات – رِشْوات	وعلى فِعَل مثل قِيم – رِشًى
تجْمع فَعِلة مثل مَعِدة	على فعِلات بكسر العين وسكونها مثل – معدات	وعلى فِعَل مثل مِعَد

٦ ـ قياس جمع الاسم الرباعى الذى ثالثه حرف مد زائد

جاء فى هذا الجمع ما يلى :

يجْمع فَعال كزمان وفِعال كحمار وإزار وفعيل كقضيب ورغيف على أفعلة وفُعل (وفُعْلان أيضا فى باب فعيل) .

يجْمع فَعول كعمود مذكرا على أفعلة وفُعُل وفِعْلان .

يجْمع المؤنث المعنوى منها كعَناق ـ (الأُنثى من أولاد المعز) وذِراع على أفْعل .

يجْمع المؤنث منها بالتاء بالألف والتاء (أى جمع مؤنث سالما) وعلى فعائل أيضا .

تنبيهان :

١ ـ لم يجئ فُعل فى المضاعف ولا فى المعتل اللّام واقتصروا فيهما على بناء القلة كأعنة وأكسية .

٢ ـ يقلب مد المؤنث الزائد الثالث همزةً فى فعائل والأصل يبقى » .

ويلاحظ فى هذه القواعد ضرب من الإجمال من شأنه أن يبهم بعض جوانبها ، وأنه لم تذكر أحيانًا أمثلة للجموع القياسية . وقد أُسقطت فُعال بضم الفاء من القواعد ولم تحرَّرْ قاعدة فِعال بفتح الفاء وكسرها فقد كان ينبغى أن يذكر أنه يجمع على أفعلة وفُعل بشرط أن يكون مذكرًا غير مضاعف ولا معتل اللّام كما اتضح بعد ذكر قاعدتها العامة ، فإنه حين يكون مؤنثًا تأْنيثًا معنويًّا يجمع على أفعل مثل عِناق وأعنق وذِراع وأذرع وحين يكون مونثًا تأْنيثًا لفظيًّا بالتاء يجمع جمع مؤنث سالمًا أو جمع تكسير على فعائل مثل حمامة وحمائم ورسالة ورسائل وحين يكون مضعفًا أو معتل اللّام يجمع على أفعلة مثل غطاء وأغطية وسنان وأسنة وكساء وأكسية . كما جاء فى قواعد الجمع يجمع فعيل على أفعلة وفُعل وفِعْلان مثل رغيف وأرغفة ورغف ورغفان. وتُرِك أفاعل مثل بعير وأباعر وأفعلاء مثل نصيب وأنصباء . وإذا كان فعيل مؤنثا بالتاء جمع على فعائل مثل قبيلة وقبائل وصحيفة وصحائف وإذا كان مضاعفًا جمع على أفعلاء وفعال مثل شديد وأشدَّاء وشِداد. وإذا كان معتل اللّام جمع على أفعلاء مثل غنىّ وأغنياء . ويجْمع فعول مذكرا كما جاء فى قواعد الجمع على أفعلة وفُعل وفِعْلان

مثل عمود وأعمدة وعمُد وعِمْدان.ويجْمع أيضًا على فَعَل مثل عَمَد.وينبغى أن يضاف إلى ماتقدم القياس فى جمع فُعال بضم الفاء . ومن كل ماسبق نستطيع أن نضع الجدول التالى :

جدول

لقياس جمع الاسم الرباعى الذى ثالثه حرف مد زائد

يجْمع فَعال بفتح الفاء وكسرها مذكرًا غير مضاعف ولا معتلّ اللّام على أفعلة وفُعل مثل زمان وأزمنة وحمار وأحمرة ، وكتاب وكتُب وقذال وقُذُل .

يجْمع فَعال بفتح الفاء وكسرها مؤنثًا تأنيثًا معنويًا على أفعل وفُعل مثل أتان وآتن وأُتُن .

يجْمع فِعال بفتح الفاء وكسرها مؤنثًا تأنيثًا لفظيًا بالتاء جمع مؤنث سالمًا وجمع تكسير على فعائل مثل جِنازة وجنازات وجنائز ورسالة ورسالات ورسائل .

يجْمع فعال بفتح الفاء وكسرها مضاعفًا أو معتل اللّام على أفعلة مثل غطاء وأغطية ـ سنان وأسنة ـ وكساء وأكسية .

يجمع فُعال بضم الفاء مذكرًا صحيح العين على أفعلة وفِعْلان مثل غراب وأغربة وغِربان .

يجْمع فُعال بضم الفاء مونثًا تأنيثًا معنويًا على أفعُل مثل كُراع وأكرُع .

يجْمع فُعال بضم الفاء مؤنثًا بالتاء على فعائل مثل ذُؤابة وذوائب .

يجْمع فُعال بضم الفاء معتل العين على فُعْل وأفعلة مثل رُواق ورُوق وأروقة .

يجْمع فعيل مذكرًا على أفْعلة وفُعُل وفُعْل وفُعلان مثل : رغيف وأرغفة ورغُف ورُغْف ورغْفان وأيضًا على أفاعل مثل بعير وأباعر وعلى أفعلاء مثل نصيب وأنصباء .

يجْمع فعيل مؤنثًا بالتاء على فعائل مثل قبيلة وقبائل.ويجمع نادرا على فُعُل أيضًا مثل صحيفة وصحائف وصحف .

يُجْمع فَعول مذكرا على أفعلة وفُعل وفَعَل وفِعْلان مثل عمود وأعمدة وعُمُد وعَمد وعِمْدان .

٧ – قياس جمع الصفة الرباعية التى ثالثها حرف مد زائد

يلاحظ هنا مالاحظناه فى رقم ٦ من الإجمال أحيانا المنْفِضِى إلى الإبهام وأنه

لا تذكر أحيانًا أمثلة الجموع القياسية وأن قواعد الجمع القياسي فى الصيغ غير محررة. فقد ذكر أنه يجمع فعيل الذى بمعنى فاعل ككريم على فُعَلاء وفِعال مثل كريم وكرماء وكِرام ولم يذكر صراحة أن ذلك مشروط بأن يكون صفة لمذكر صحيح العين واللّام. وترك ذلك ليوضّح بالصيغ المقابلة فيما بعد. وكان ينبغى أن تستقصى جموعه القياسية إذ يجمع على أفعال مثل يتيم وأيتام وعلى فَعالى مثل يتامى وعلى أفعلاء مثل صديق وأصدقاء وعلى فعائل مثل نظير ونظائر وعلى فَعْلى مثل مريض ومرْضى.

وذكر أن « فُعال » مثل شجاع يجمع على فُعلاء وفعال مثل شُجَعاء وشِجاع بكسر الشين وهو يجمع أيضًا على فِعْله « مثلثة » وفعَلة محركة وفُعْلان فيقال: شُجْعة، وشجَعة وشُجْعان.

وتجمع فُعالة على فعال وفعائل مثل شجاعة وشجاع وشجائع وشُجع مؤنثة – وذكر أنه تجمع فعيلة التى بمعنى فاعل على فِعال وفعائل ولم يذكر أن فعيلة التى بمعنى مفعول تجمع أيضا على فعائل مثل ذبيحة وذبائح.

وذُكر أنه يجمع فعيل بمعنى فاعل – المضاعف كشديد والمعتل اللّام كنبىّ على أفعلاء مثل أشداء – أنبياء. ولم يذكر أن المضاعف يجمع على فعال مثل شديد وشِداد وأن المعتل اللّام يجمع على فِعْلان مثل صبى وصِبيان وصُبيان بكسر الصاد وضمها، وأيضا يجمع على فِعْلة مثل صِبْية.

وذُكر أنه يجمع فعيل كجريح بمعنى مفعول على فَعْلى وأُشير إلى أن ذلك بقرار مجمعى وقد نص عليه سيبويه (٢/٢١٣) والرضى (٢/١٤١) ويجمع أيضًا مثل فعيل كجريح على فعلاء وفُعالَى مثل أسير وأسرى وأُسَراء وأُسارَى.

وجـاء أنه يجمع فعول بمعنى فاعل (للمذكر والمؤنث) على فُعل وأيضًا على فعائل للمؤنث فقط ولم يشترط أن يكون صحيح اللّام فإن مثل عدو يجمع على أفعال مثل عدو وأعداء وعلى أفاعل مثل عدو وأعادٍ وعلى فِعَل مثل عدو وعِدًى.

وذُكر أنه يجمع فَعال كجبان ورَداح (سمينة) بمعنى فاعل (للمذكر والمؤنث) على فُعْل وفُعلَاء ولم يذكر أنه حين يكون معتل العين يجمع على فُعْل مثل عوان وعون .

وذُكر أنه لا تلحق التاء الفارقة فعيلا بمعنى مفعول ولا فعولا بمعنى فاعل وأجاز المجمع ذلك فيما بعد . . . وحرى أن نسوق جدولًا للصفة الرباعية المذكورة على النمط التالى .

يجْمع فعول بمعنى فاعل (للمذكر – والمؤنث) غير معتل اللّام على فُعُل و (للمؤنث فقط) على فعائل مثل عطوف وعُطُف ، وعجوز وعجائز .

يجمع فعول بمعنى فاعل (للمذكر – والمؤنث) معتل اللّام على أفعال وأفاعل وفِعَل مثل عدو وأعداء وأعادٍ وعِدًى .

يجمع فَعال بمعنى فاعل (للمذكر ، والمؤنث) صحيح العين على فُعُل وفعلاء مثل صَناع وصُنُع وجبان وجُبَناء .

يجمع فَعال بمعنى فاعل (للمذكر والمؤنث) معتل العين على فُعْل مثل جواد وجُود وعوان وعون .

يجمع فِعال بمعنى فاعل (للمذكر والمؤنث) على فُعل وفعائل مثل كِناز (مكتنز – أو مكتنزة اللحم) وكُنُز .

٨ – قياس جمع الرباعى بزيادة ألف فاعل وفاعلاء

يلاحظ هنا أيضًا شيءٌ من الإجمال ، وأنه لم تذكر دائمًا أمثلة الجموع القياسية ولم يذكر فى فاعل مثل خاتم أنه قد يجمع على فواعيل مثل فواعل . ولم يذكر فى جمع فاعل وصفًا لمذكر غير معتل اللّام أنه قد يجمع على فعلة مثل حاجب وحَجبة وأفعال مثل بار وأبرار وعلى فعول مثل شاهد وشهود . ويحسن أن يوضع لهذا الجمع جدول كالجداول السابقة .

جدول جمع الرباعى بزيادة ألف فاعل وفاعلاء

يُجْمع فاعَل بفتح العين على فواعل ، وفواعيل مثل خاتم وخواتم وخواتيم .

يُجْمع فاعِل اسما على فواعل مثل حاجب وحواجب .

يُجْمع فاعل وصفًا (لمذكر) غير معتل اللّام على فُعَّل وفُعلاء مثل شاهد وشُهَّد وشهداء وأيضا على فُعول مثل شهود وعلى أفعال مثل بار وأبرار وعلى فعَلة مثل بار وبرَرة وقاتل وقتلة .

يُجْمع فاعل وصفا (للمذكر) معتل اللّام على فُعلة مثل قاض وقضاة ورام ورماة .

تُجْمع فاعلة وفاعل (للمؤنث) ولمذكر ما لّايعقل على فُعَّل وفواعل مثل حاسر وحسَّر وحواسر ونائمة ونُوَّم ونوائم وبازل صفة للبعير فى سنته التاسعة وبوازل .

تجمع فاعلاء على فواعل مثل قاصعاء (حجر اليربوع) وقواصع .

١٠ – قياس جمع فُعْلَان (مثلثة الفاء)

يلاحظ هنا أيضًا مالاحظناه آنفًا من الإجمال وأنه لاتذكر جميع أمثلة الجموع القياسية .

وقدذُكر أنه يجمع فعْلَان فعْلى مثل سكْران سَكْرى وفعلان فعلانة مثل ندمان ندمانة على فَعَالى وفِعال فيقال : سَكارى ونِدام . ولم يذكر أن سكران تجمع أيضًا على سُكارى بضم السين وسَكْرى . وأيضًا لم يذكر أنه يُجْمع ندمان على نُدَّام . وذُكر أنه يُجْمع فُعْلان وفعلانة مثل خُمْصان (ضامر – البطن) وخمصانة على فِعال فيقال : خِماص . ولم يذكر أن فُعلانة تجمع أيضًا على فعائل فيقال : خمائص . ويحسن أن يوضع لذلك كله جدول كالجداول الماضية على النحو التالى :

جدول لقياس جمع فعلان (مثلثة الفاء)

يُجْمع َفُعلان مثلث الفاء (غير علم مرتجل) على فعالين مثل سلطان وسلاطين وشيطان وشياطين .

يُجْمع فَعْلان فعْلى على َفُعالى بفتح الفاء وضمها وفِعال وفَعْلى مثل عَجْلَان وعَجالى وعِجال وعَجْلى وعطشان وعَطاشى وعِطاش وعطْشى .

يُجْمع فَعْلان فعلانة على فعالى وفِعال وفُعال مثل ندمان ونَدامى ونِدام ونُدَّام .

يُجْمع فُعْلَان وفُعْلَانة على فِعال مثل خُمْصان وخُمْصانة وخِماص وأيضًا تجمع فعلانة على فعائل فيقال : خمائص .

ولعلى – بكل ماقدمت – أكون قد استطعت تحرير قياسية الغالب من جمع التكسير فى الصيغ السابقة تحريرًا سديدا .

شوقى ضيف

تراثنا اللغوى فى حاجة إلى التهذيب

للدكتور رمضان عبد التواب

عنى اللغويون والنحاة العرب — منذ أواخر القرن **الأول الهجرى** ، بدراسة الفصحى ، وهى تلك اللغة الأدبية المشتركة بين مختلف القبائل العربية ، تلك اللغة التى سجل بها الشعراء خواطرهم ، ومظاهر الحياة من حولهم ، كما استخدمها الخطباء فى محافلهم وأسواقهم الأدبية ، ثم توجها القرآن الكريم : فأنزله الله تعالى بأعلى ما تصبو إليه هذه اللغة من مستوى . ومنذ ذلك الحين . ارتبطت هذه اللغة بالقرآن الكريم ، واجتهد النحاة واللغويون فى دراستها ، وتحديد معالمها من نواحى الأصوات ، والصيغ والأبنية ، والدلالة ، وتركيب الجملة ، ووظيفة الكلمة فى داخل هذا التركيب .

وقد نشأت الدراسات اللغوية عند العرب بين كثير من الدراسات ، التى قامت لخدمة الدين الإسلامى ، ولغرض فهم القرآن الكريم ، المصدر الأول للتشريع الإسلامى ، ودستور المسلمين ، فقد أدت الحاجة إلى معرفة معانى الألفاظ الغريبة فى القرآن الكريم ، إلى دراسة الشعر العربى للاستشهاد به على تلك المعانى ، فالسبب فى الاشتغال بدراسة هذا الشعر فى العصور الإسلامية الأولى ، كان — فيما أعتقد — هو الحاجة إلى شرح الكلمات الصعبة من القرآن الكريم ، وتفسيرها بالشواهد الشعرية .

ومن المعروف أن القرآن الكريم ، أنزل بلغة فصحى ، تعلو عن مستوى العامة من العرب ، ولذلك أخذ الناس فى الصدر الأول من الإسلام ، يسألون كبار الصحابة عن تفسير آياته وغريب ألفاظه . وتحدثنا الروايات الإسلامية بأن الناس كانوا يسألون الصحابى المشهور « عبد الله بن عباس » رضى الله تعالى عنهما ، عن معنى ألفاظ معينة من القرآن الكريم ، فيفسرها للناس ، ويستشهد على تفسيرها بأبيات من الشعر العربى ، وقد جمعت هذه الأسئلة وإجاباتها فى كتاب مستقل ، باسم : « سؤالات نافع بن الأزرق » ونشرها الدكتور إبراهيم السامرائى ، ببغداد سنة ١٩٦٨ م ، كما ذكرها جلال الدين

السيوطى ، فى النوع السادس والثلاثين من كتابة : « الإتقان فى علوم القرآن » [1] .

ويمكننا لذلك أن نعد تفسير ابن عباس للقرآن الكريم ، على هذا النحو، نواة للمعاجم العربية ، فقد بدأت الدراسة فى هذا الميدان من ميادين اللغة ، بالبحث عن معانى الألفاظ الغريبة فى القرآن الكريم،ولذلك نجد التآليف الأولى فى المعاجم ، كانت تحمل اسم : « غريب القرآن » ، وأقدم مؤلف يحمل هذا الاسم ، هو لأبى سعيد أبان بن تغلب بن رباح البكرى ،المتوفى سنة ١٤١ ه[2]

وخلص اللغويون العرب من ذلك ، شيئا فشيئا ، إلى دراسة ألفاظ الشعر ، واستخراج معانيها ، على غرار ما فى كتاب : « المعانى الكبير » لابن قتيبة الدينورى المتوفى سنة ٢٧٦ ه كما ساح الرعيل الأول من اللغويين ، فى الجزيرة العربية ، يجمعون اللغة من أفواه العرب ، فقد روى عن الكسائى المتوفى سنة ١٨٩ ه ، أنه أنفد خمس عشرة قنينة حبر فى الكتابة عن العرب ، سوى ما حفظ [3]

وتتردد فى مؤلفات هؤلاء اللغويين العرب القدامى أسماء كثير من البدو الفصحاء، الذين تلقوا اللغة عنهم ، مثل : أبى تمام الأعرابى ، وأبى ثروان العكلى ، وأبى الجراح العقيلى ، وأبى جميل الكلابى ، وأبى حزام العكلى ، وأبى شنبل الأعرابى ، وأبى صاعد الكلابى ، وأبى الغمر العقيلى ، وأبى مرة الكلابى ، وأبى مهدى الباهلى ، وأبى مهدية الكلابى ، وغيرهم ، بل لقد تلقوا اللغة أحيانا عن الأعرابيات ، مثل : أم الحمارس البكرية ، وغنية الكلابية، وقريبة الأسدية، وغيرهن .

وانتشرت فى تلك الفترة المبكرة ، طريقة تأليف الرسائل اللغوية الصغيرة ، ذات الموضوع الواحد ، وممن بقى لنا شىء من تآليفهم على هذه الطريقة ، فى تلك الفترة : الأصمعى المتوفى سنة ٢١٦ ه ، فقد نشر له « أوجست هفنر » كتابى : « خلق الإنسان» و « الإبل » ، فى ليزج سنة ١٩٠٥ م ، وكتاب : «الخيل » ، فى فينا سنة ١٨٩٥ م وكتاب « الشاء » فى فينا سنة ١٨٩٦ م كما نشر له « رو دلف جاير » كتاب : « الوحوش » فى فينا سنة ١٨٨٧ م ، ونشر له « مولر » كتاب : « الفرق » فى فينا سنة ١٨٧٦ م ، و « لويس شيخو » كتاب : « النبات والشجر » فى بيروت سنة ١٩١٤ م .

ومثل الأصمعى، معاصره : أبو زيد الأنصارى المتوفى سنة ٢١٤ ه ، الذى بقى لنا من مؤلفاته اللغوية ، ذات الموضوع الواحد : كتاب « المطر » نشره « جوتهايل »

---

(١) وانظر بعضها فى الكامل للمبرد ٣ / ٢٢٢ — ٢٢٨ وإيضاح الوقف والابتداء لابن الأنبارى ٧٦ — ٩٨

(٢) انظر : معجم الأدباء ١ — ١٠٨

(٣) انظر : إنباه الرواه ٢ — ٢٥٨

فى نيوريوك سنة ١٨٩٥ م ، ثم نشرة «لويس شيخو » فى بيروت سنة ١٩١٤ م ، وكتاب « الهمز » نشره « لويس شيخو » فى بيروت سنة ١٩١٠ م ، وكتاب « اللبأواللبن » نشره « لويس شيخو » فى بيروت سنة ١٩١٤ م ، وكتاب « النوادر فى اللغة » نشره سعيد الخورى الشرتونى ، فى بيروت سنة ١٨٩٤ م

ويطول بنا القول ، لو تتبعنا ما وصل إلينا ، من مؤلفات لغوية ، ذات موضوع واحد ، لعلماء عاشوا فى هذه الفترة ، كابن الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ ، والفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ، وأبى عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢١٠ هـ ، وابن الأعرابى المتوفى سنة ٢٣١ هـ ، وأبى عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هـ وابن السكيت المتوفى سنة ٢٤٤ هـ .

وقد عاش إلى جانب هؤلاء كذلك علماء آخرون ، ألفوا معاجم شاملة للغة العربية، غير متخصصة فى موضوع واحد، كالخليل ابن أحمد الفراهيدى المتوفى سنة ١٧٥ هـ ، الذى ألف معجم « العين » ، وقد طبع جزء صغير منه، بتحقيق الدكتور عبد الله درويش فى بغداد سنة ١٩٦٧ م ، ثم صدر هذا الجزء مرة أخرى فى بغداد سنة ١٩٨٠ م بتحقيق الدكتور مهدى المخزومى والدكتور إبراهيم السامرائى . وبعد الخليل بزمن يسير جاء أبو عمرو الشيبانى المتوفى سنة ٢٠٦ هـ ، وألف معجم « الجيم » وقد نشر معجم الجيم بعناية مجمع اللغة العربية بمصر سنة ١٩٧٥ م

وبعد هذه الفترة الأولى توقفت حركة جمع اللغة ، واقتصر جهد اللاحقين من اللغويين ، على تنظيم تلك المادة التى جمعها السابقون ، وتبويبها طبقاً لمناهج مختلفة ، فنشأت عندنا ثلاثة أنواع من المعاجم العربية ، أحدها : ينظم المادة على حسب المعانى والموضوعات بجمع تلك الرسائل اللغوية والمفردة – التى تحدثنا عنها من قبل – فى مؤلف واحد ، يضم أبوابا تشبه عناوينها عناوين الرسائل القديمة ، ومن هذا النوع من المعاجم : « الألفاظ الكتابية » لعبد الرحمن بن عيسى الهمذانى المتوفى سنة ٣٢٠ هـ ، وقد طبع عدة طبعات آخرها بتحقيق الدكتور البدراوى زهران سنة ١٩٨٠ م ، ومعجم « متخير الألفاظ » لابن فارس اللغوى المتوفى سنة ٣٩٥ هـ نشره هلال ناجى فى بغداد سنة ١٩٧٠ م ، وكتاب « التلخيص فى معرفة أسماء الأشياء » لأبى هلال العسكرى المتوفى بعد سنة ٣٩٥ هـ ، نشره الدكتور عزة حسن بدمشق سنة ١٩٦٩ م ، و« مبادئ اللغة » للخطيب الإسكافى سنة ٤٢١ هـ ، نشر بالقاهرة سنة ١٣٢٥ هـ ، و« فقه اللغة » لأبى منصور الثعالبى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ ، طبع أكثر من مرة بالقاهرة وغيرها . وأهم كتب هذا النوع من المعاجم هو كتاب « المخصص فى اللغة » لابن سيده الأندلسى المتوفى سنة ٤٥٨ هـ ، وقد طبع فى ١٧ سفراً بالقاهرة سنة ١٣١٦ هـ .

والنوع الثانى من المعاجم العربية ، يرتب المادة اللغوية ، على حسب مخارج الأصوات ، وطريقة التقالية ، مثل تقليب مادة الضاد والراء - الباء مثلا ، على : ضرب — ضبر — ربض — رضب — بضر — برض ، وغير ذلك . وقد سار على هذه الطريقة كتاب « العين » للخليل بن أحمد الفراهيدى ، الذى كان من الرعيل الأول من اللغويين العرب ، وتابعه على ذلك كثيرون منهم : أبو منصور الأزهرى المتوفى سنة ٣٧٠ هـ فى كتابه : « تهذيب اللغة » الذى نشرته الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، بتحقيق عبد السلام هارون وآخرين بالقاهرة سنة ١٩٦٤ — ١٩٦٧ م ، وكذلك ابن سيده الأندلسى ، صاحب كتاب « المخصص » السابق ، الذى ألف كتاباً آخر على طريقة كتاب « العين » وهو « المحكم والمحيط الأعظم » وقد نشر معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة سبعة أجزاء منه حتى الآن.

أما النوع الثالث من المعاجم فإنه يرتب المادة اللغوية ، على الترتيب الهجائى المعروف لنا ، إما بحسب الأصل الأول للكلمة ، كما فعل الزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨ هـ فى كتابه « أساس البلاغة » ، والفيومى المتوفى سنة ٧٧٠ هـ ، فى كتاب : « المصباح المنير » . وإما بحسب الأصل الأخير للكلمة ، مع مراعاة الأصل الأول أيضا . وقد كان المشهور عند الدارسين ، أن مبتدع هذا الترتيب هو الجوهرى المتوفى حوالى سنة ٤٠٠ هـ بناء على ماذكره هو فى مقدمة معجمه : « تاج اللغة وصحاح العربية » ومن قوله : « على ترتيب لم أسبق إليه ، وتهذيب لم أغلب عليه » ، غير أننا اكتشفنا حديثاً ، معجماً أقدم منه ، هو : « التقفية » لأبى بشر اليمان ابن أبى اليمان البندنيجى المتوفى ٢٨٤ هـ ، وقد حققه تلميذى الدكتور خليل العطية ، ونشره فى بغداد سنة ١٩٧٦ م ، وهو يسير على نظام القافية ، أو الأصل الأخير من الكلمة ، وأغلب الظن أن اللغويين اختاروا هذا النوع من الترتيب ، حتى يساعدوا الشاعر على اختيار قافيته فى شعره .

وممن سار على هذا الترتيب كذلك : ابن منظور الإفريقى المصرى المتوفى سنة ٧١١ هـ فى معجمه المشهور : « لسان العرب » الذى طبع فى بولاق سنة ١٣٠٠ — ١٣٠٧ هـ فى عشرين جزءا ، كما طبع فى بيروت سنة ١٩٥٥ م فى خمسة عشر مجلدا . وكذلك مجد الدين الفيروز ابادى المتوفى سنة ٨١٧ هـ ، فى معجمه الذى طبقت شهرته الآفاق ، وهو : « القاموس المحيط » وقد شرحه « الزبيدى » المتوفى سنة ١٢٠٥هـ ، فى كتابه : « تاج العروس » .

هذا أحد جوانب تراثنا اللغوى فى العربية ، وهو جانب متن اللغة ، أو «المعجم» ولا ينكر أحد ما بذله أسلافنا فيه ، من الجهد الكبير ، وفى البحث والتنقيب ، والجمع

والترتيب ، غير أنه لم يخل من بعض العيوب التى نلخص أهمها فيما يلى :

١ — مادة هذه المعاجم اللغوية ، قد جمعها الرعيل الأول من اللغويين ، ثم توقفت حركة الجمع هذه بعد فترة ، واقتصر جهد العلماء بعد ذلك ، على تبويب هذه المادة وعرضها بطرق مختلفة ، وبذلك أغفلوا ناحية مهمة ، من نواحى الدراسات اللغوية ، تلك هى ناحية التطور اللغوى ، فى نواحى : الأصوات والبنية والدلالة ، والأسلوب ، فلم يحاول مثلا أحد المؤلفين فى المعاجم فى القرن الرابع أو الخامس الهجرى مثلا ، أن يبين لنا تطور معنى الكلمة ، التى جمعها من قبله أحد علماء القرن الثانى الهجرى . وبعبارة أخرى : لم يبين لنا المعنى ، الذى كان يفهم من الكلمة فى عصره ، كما أنه لم يبين لنا كيف كانت تنطق الكلمة ، فى لغة التخاطب فى عصره ، وليس لدينا فى هذا المجال سوى إشارات سريعة ، فيما يسمى بكتب « لحن العامة »

٢ — قصور هذه المعاجم فى الاستدلال على المعنى بالشواهد أحياناً ، فهى رغم غناها بالشواهد ، من القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والأمثال ، والشعر ، فيها الكثير من المواد ، التى تخلو من هذا الشعر خلواً تاماً ، مما قد يشكك فى صحة ورودها عن العرب ، مثل المواد : كثل وكمتل ، وكندش و، وكندس ، وغيرها .

وهذه الناحية تستدرك الآن بعمل معجم للغة العربية ، يستمد ألفاظه من الشعر والنثر ، وهذا المعجم ، بدأه المستشرق الألمانى (أوجست فيشر » A. Fischer فى المجمع اللغوى بالقاهرة . ويخرجه الآن نخبة من المستشرقين الألمان ، وعلى رأسهم أستاذنا بروفسور « شبيتالر » A. Spitaler . رئيس معهد اللغات السامية بجامعة ميونخ .

٣ — رغم أن شيئاً من اللغات السامية ، كان معروفا لدى بعض اللغويين العرب ، فإنهم لم يفيدوا من هذه المعرفة ، فى مقارنة العربية بأخواتها الساميات ، كالعبرية والآرامية والحبشية ومن الممكن أن تفيد هذه المقارنات فى إلقاء الضوء على الدلالات المركزية والدلالات الهامشية ، لهذه اللفظة أو تلك ، والفصل فى قضية التعريب والمولد والدخيل وغيرها من المصطلحات التى تمتلئ بها معاجمنا العربية ، دون تحديد واضح لتلك المصطلحات .

٤ — التضخم الذى نلحظه فى المؤلفات المتأخرة ، مثل : « لسان العرب » لابن منظور و « تاج العروس » للزبيدى . والسر فى ذلك يرجع — فى نظرى — إلى نقل المادة اللغوية الواحدة ، من أكثر من مصدر . فمثلا ينقل صاحب اللسان عن « تهذيب اللغة » للأزهرى ، و « المحكم » لابن سيده ، و « الصحاح » للجوهرى ، وكل واحد من هذه المعاجم الثلاثة ، استخدم بعض المصادر التى استخدمها الآخر ، كالغريب المصنف لأبى عبيد ، ولذلك تقابلنا مثلا ، عبارات هذا الكتاب الأخير فى « لسان العرب » منقولة ثلاث مرات ، عن المصادر الثلاثة المتقدمة .

٥ ــ تخلط هذه المعاجم كثيرا ، بين مستوى العربية الفصحى ، واللهجات القديمة فى اللفظ والدلالة ، بلا إشارة إلى ذلك فى كثير من الأحيان ، مثل : السراط والصراط والزراط ، بمعنى : الطريق مثلا وكذكرها لكلمة « العجوز » مثلا ، أكثر من سبعين معنى ، من بينهما : الإبرة والجوع ، والسمن ، والقبلة ، واليد اليمنى فمن المحال أن تكون هذه المعانى جميعها مستعملة فى الفصحى وحدها .

٦ ــ انتاب المادة اللغوية الكثير من التصحيف والتحريف ، بسبب كثرة تعاور النساخ لها على مر العصور . وقد وقع اللغويون العرب ، فى وهم هذا التصحيف والتحريف فى معاجمهم ، كالتحريف الذى وقع فيه الجوهري صاحب « الصحاح » حين استشهد على أن « اللجز » مقلوب : « اللزج » ببيت ابن مقبل :

يعلون بالمردقوش الورد ضاحية
على سعابيب ماء الضالة اللجز

ونسى أن هذا البيت من قصيدة نونية فى ديوان ابن مقبل [1] ، وصحة الروى « اللجن » .

وهذا هو محمد بن المستنير المعروف بقطرب المتوفى سنة ٢٠٦ هـ ، يجعل فى كتابه عن « الأضداد » كلمة : « برد » بمعنى : التبريد والتسخين ، ويسوق على المعنى الثانى شاهدا ، هو قول الشاعر :

عافت الماء فى الشتاء فقلنا
برديه تصادفيه سخينا [2]

ولا شك أن هذا تحريف لعبارة : « بل رديه » من الورود لشرب الماء . قال أبو الطيب اللغوى فى التعليق على هذا البيت « قال قطرب : معنى برديه فى هذا البيت : سخنيه . وقال أبو حاتم : هذا خطأ ، إنما هو بل رديه ، من الورود ، ولكنه أدغم اللام فى الراء ، كما يقرأ : « كلا بل ران على قلوبهم » قال أبو الطيب : « وهذا الصحيح وبه يستقيم معنى البيت [3] » .

ومثل ذلك أيضا ، ما وقع فيه « الفيروزابادى » صاحب : « القاموس المحيط » حين نقل فى معجمه [4] ، أن : السواف ــ كسحاب القثاء ، وداء يأخذ الإبل فتهلك . وما درى الفيروزابادى أن هذا « القثاء » ليس إلا تصحيفا لكلمة : « الفناء » وهو : الهلاك ، الموجود فى المعنى الثانى ، الذى ذكره .

٧ ــ عدم المنهجية فى ترتيب مفردات المادة الواحدة ، فيتحتم على المرء فى كثير من الأحيان ، أن يقرأ المادة كلها ، للعثور على بغيته ، إذ يلزمك أن تقرأ عشر صفحات فى مادة (عرف) ، إذا كنت تبحث مثلا معنى كلمة : « معرفة الفرس » وما شابه ذلك .

(١) ديوان ابن مقبل ٣٠٧

(٢) أضداد قطرب ٢٥٨

(٣) أضداد أبى الطيب ١ / ٨٦

(٤) القاموس المحيط (سوف) ٣ / ١٥٥

هذه هى أبرز العيوب فى هذا القطاع اللغوى فى العربية. وفى مقدورنا بالطبع التغلب على هذه العيوب ، إذا أعدنا النظر مرة أخرى فى معاجمنا اللغوية ، فصفيناها من الحشو والتكرار ، وفصلنا بين مستوى الفصحى واللهجات القديمة ، ألفاظها ومدلولاتها ، ورتبنا كلمات المادة الواحدة ، ترتيبا منهجيا صارما ، وأعدنا استقراء النصوص القديمة من جديد ، لنخلص هذه المعاجم مما فيها من تحريف أو تصحيف أو مواد هى من صنع اللغويين ، ولم تجر بها ألسنة العرب القدماء.

هذا ، ويعمل مجمع اللغة العربية بالقاهرة على إخراج معجم كبير للغة العربية ، مستخدما المعاجم العربية ، التى وصلت إلينا ، إلى كتب الأدب واللغة ، ودواوين الشعراء وقد اتبع فى تأليفه منهجا صارما ، تغلب فيه على شئ من العيوب السابقة. وقد خرج الجزء الأول من هذا « المعجم الكبير » خاصا بحرف الهمزة ، وطبع بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٧٠ م ، وهو جهد يتطلب الكثير من الوقت ، وتعاون المتخصصين فى هذا الميدان.

* * *

هذا هو جانب المعجم فى تراثنا اللغوى فإذا جئنا إلى الدراسة الخاصة بنظام الجملة ووظائف الكلمات فى داخل الجمل ، وجدنا تراثا ضخما ، تباهى به الأمة العربية سائر الأمم فى هذا المضمار. وقد وصل إلينا أول كتاب فى هذا المجال كاملا ، يبهر النفوس ويستحوذ على القلوب ويبعث على الإعجاب بعقلية مبدعه ، وتفكير منشئه ، وهو كتاب سيبويه النحوى البصرى المشهور (المتوفى سنة ١٨٠ هـ) وتوالت المؤلفات العربية فى هذا الميدان بعد سيبويه ، ومن أهم هذه المؤلفات : كتاب « المقتضب » لأبى العباس المبرد (المتوفى سنة ٢٨٥ هـ) ، و « أصول النحو » لابن السراج (المتوفى سنة ٣١٦ هـ) و « الجمل » للزجاجى (المتوفى سنة ٣٤٠ هـ) و « المفصل » للزمخشرى (المتوفى سنة ٥٣٨ هـ) و « الإنصاف » لأبى البركات بن الأنبارى (المتوفى سنة ٥٧٧ هـ) ، و « شرح المفصل » لابن يعيش (المتوفى سنة ٦٤٣ هـ) ، و « الألفية » المشهورة ، لابن مالك (المتوفى سنة ٦٧٢ هـ) ، وكتب العلامة المصرى « ابن هشام » (المتوفى سنة ٧٦١ هـ) كشذور الذهب ، وقطر الندى ، وأوضح المسالك ومغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، وشرح الأشمونى (المتوفى سنة ٨٧٢ هـ) على ألفية ابن مالك ، و « همع الهوامع » لجلال الدين السيوطى (المتوفى سنة ٩١١ هـ) ، وغير ذلك كثير كثير.

وإن من يتصفح هذه المؤلفات الكثيرة يعجب من الجهد المبذول فيها حقاً ، غير أنه يضل وسط الآراء الجدلية النظرية ، التى

لا تفيد كثيرا فى الدرس النحوى ، والابتعاد عن الواقع اللغوى إلى الافتراض ، وانظر معى إلى قول الزجاج مثلا : « والمازنى يجيز فى : يأيها الرجل ، النصب فى الرجل . ولم يقل بهذا القول أحد من البصريين غيره ، وهو قياس ؛ لأن موضع المفرد المنادى نصب فحملت صفته على موضعه . وهذا فى غير يأيها الرجل جائز عند جميع النحويين . نحو قولك : يازيد الظريفُ والظريفَ والنحويون لا يقولون إلا : يأيها الرجل ، ويأيها الناس . والعرب لغتها فى هذا الرفع ، ولم يرد عنها غيره[1] »

ففى هذا النص نجد المازنى يبتدع لغة لم تجر على لسان العرب ، ويترك الواقع اللغوى إلى افتراضات قياسية ما أنزل الله بها من سلطان ، فإذا كان العرب قد قالوا : يازيد الظريفَ ، فلا مانع عند المازنى أن تقول : يأيها الرجلَ ، وإن لم تقل بذلك العرب !

وما صنيع المازنى فى هذا الزمن القديم إلا كصنيع من يبتدع قياسا باطلا فى لهجات الخطاب المعاصرة ، ويدعيه على أصحاب هذه اللهجات ، فيجيز أن تجمع كلمة : « تاج » على : « أتواج » ، قياسا على جمع مال على أموال ، أو يعكس فيجيز أن تجمع كلمة : « مال » على : « ميلان » ، قياسا على جمع تاج على تيجان ، وما أشبه ذلك مما لا يصح أن يدخل إلا فى دائرة الأوهام والخيالات .

وأنت واقع هنا وهناك ، فى التراث النحوى ، على كثير من التعليلات الواهية التى لا يسندها قانون لغوى ، أو قاعدة كلية تسرى على مجموعة من اللغات البشرية . وتأمل معى قول الزجاج فى تعليل إعراب المثنى من اسم الإشارة واسم الموصول : « فإن قال قائل : فما بالك تقول : أتانى اللذان فى الدار ، ورأيت اللذين فى الدار ، فتعرب كل مالا يعرب فى تثنيته نحو : هذان ، وهذين . وأنت لا تعرب : هذا ، وهؤلاء فالجواب فى ذلك أن جميع مالا يعرب فى الواحد مشبه بالحرف الذى جاء لمعنى . فاذا ثنيته ، فقد بطل شبه الحرف الذى جاء لمعنى ، لأن حروف المعانى لا تثنى[2] » .

وقد فات الزجاج أن الجمع يمكن أن يقال فيه ، ما قاله هو فى التثنية ، من بطلان شبه الحرف الذي جاء لمعنى ، فلماذا لم يعرب إذن اسم الموصول المجموع مثل : « الذين » ، واسم الإشارة للجمع ، مثل : هؤلاء .

وليست كل التفسيرات التى قدمها النحاة القدامى ، للظواهر اللغوية فى العربية ، خطلا نحذر الناس منه ، أو خطايا نستغفر الله للنحاة العرب من الوقوع فى أدرانها ، وإنما نحذر بعض أشبابنا الباحثين ، من الوقوع أسرى

(١) معانى القرآن وإعرابه للزجاج ١ / ٦٤

(٢) معانى القرآن وإعرابه للزجاج ١ / ٣٤

لبعض هذه التفسيرات الواهية ، وندعوهم إلى إعمال العقل فى المنقول عن هؤلاء النحاة من مختلف التفسيرات للظواهر اللغوية .

ولسنا فى دعوتنا هذه نخرج كثيرا عن منهج علمائنا القدامى ، ورحم الله عبقرى العربية كبار الخليل بن أحمد ، حين « سئل عن العلل التى يعتل بها فى النحو ، فقيل له : عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك ؟ فقال : إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها ، وعرفت مواقع كلامها ، وقام فى عقولها علله ، وإن لم ينقل ذلك عنها . واعتللت أنا بما عندى أنه علة لما عللته منه . فإن أكن أصبت العلة فهو الذى التمست ، وإن تكن هناك علة أخرى له ، فمثلى فى ذلك مثل رجل حكيم ، دخل دارا محكمة البناء ، عظيمة النظم والأقسام فكلما وقف هذا الرجل فى الدار على شىء منها ، قال : إنما فعل هذا هكذا لعلة كذا وكذا ، ولسبب كذا وكذا ، سنحت له وخطرت بباله ، محتملة لذلك . فجائز أن يكون الحكيم البانى للدار ، فعل ذلك للعلة التى ذكرها هذا الذى دخل الدار ، وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلة . . . فإن سنح لغيرى علة لما عللته من النحو ، هى أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها[1] » .

ومن الأمور التى تلفت النظر ، فى تراثنا النحوى الضخم ، خلوه فى بعض الأحيان من الاستقراء الكامل ، لبعض صور الظاهرة الواحدة ، من الظواهر النحوية ، ويكفى أن نذكر هنا مما يقرله النحاة ، منذ أيام سيبويه ، من أن الاستثناء فى الكلام التام غير الموجب المنقطع ، كما فى مثالهم المشهور : « ما قام القوم إلا حمارا » يجب فيه نصب المستثنى على لغة أهل الحجاز وبها نزل قول الله تعالى : « ما لهم به من علم إلا اتباع الظن » . أما بنو تميم فإنهم يجيزون فيه الإتباع . كقول زياد بن حمل التميمى :

ليست عليهم إذا يغدون أردية
إلا جياد قسى النبع واللجم[2]

وليس النحاة على حق فى هذا فليس بنو تميم وحدهم فى تجويز الإتباع هنا . فهذا جران العود النميرى يقول :

وبلدة ليس بها أنيس
إلا اليعافير وإلا العيس[3]

كما يقول ضرار بن الأزور فى يوم اليمامة
عشية لا تغنى الرماح مكانها
ولا النبل إلا المشرفى المصمم[4]

وضرار شاعر من بنى أسد[5] ومثله قول الأخطل التغلبى :

فرابية السكران قفر فما لهم
بها شبح إلا سلام وحرمل

---

(١) الإيضاح فى علل النحو للزجاجى ٦٥
(٢) انظر : الحماسة بشرح المرزوقى ق ٥٧٧ / ٣٩ ص ٢ / ١٤
(٣) ديوانه ص ٥٢
(٤) انظر : تاريخ الطبرى ٣ / ٢٩٧
(٥) انظر : جمهرة الأنساب لابن حزم ١٩٣

والسلام : الحجارة ،والحرمل : شجر[1]

ومثله قول سعد بن مالك بن ضبيعة ، جد طرفة بن العبد البكرى :

والحرب لا يبقى لجاحمها التخيل والمراح
إلا الفتى الصبار فى النجدات والفرس الوقاح[2]

فهذه الأبيات – كما ترى – لشعراء من نمير ، وأسد ، وتغلب ، وبكر ، وغيرها كثير ، يثبت أن استقراء النحاة العرب لهذه الظاهرة، كان استقراء ناقصا .

ومن العجب قول المرزوقى فى شرح هذين البيتين الأخيرين : « إلا الفتى ، إرتفع على أنه بدل من التخيل ، وهذه لغة تميم » .

بل إنه ليلاحظ فى هذا التراث النحوى أن فيه متابعة ، تكاد تكون كاملة ، لكثير مما جاء به سيبويه فى كتابه ، دون تمحيص أو تدقيق ، على ما فى بعض مسائله أحيانا من الخطأ المبنى على تحريف فى الرواية أو تغيير فى الشواهد العربية . وهذا مثال واحد ، من أمثلة كثيرة ، يدل على صدق ما نذهب إليه :

يرى النحاة العرب ، منذ أيام سيبويه أن (كان) الناسخة تحذف وحدها أحيانا وذلك بعد أن المصدرية ، فى مثل قولك : « أما أنت منطلقا انطلقت » وأصله – كما يقول النحاة – انطلقت لأن كنت منطلقا ثم قدمت اللام وما بعدها على : « انطلقت » للاختصاص ، ثم حذفت اللام للاختصار وحذفت «كان » لذلك فانفصل الضمير ، ثم زيدت (ما) للتعويض ، ثم أدغمت النون فى الميم للتقارب .

هكذا يقول النحاة العرب، ويستشهدون على ذلك ، بقول العباس بن مرداس السلمى :

أبا خراشة أما أنت ذا نفر
فإن قومى لم تأكلهم الضبع[3]

وقول الشاعر :

إما أقمت وأما أنت مرتحلا
فالله يكلأ ما تأتى وما تذر[4]

ويبدو أن هذه المسألة، مبنية على تحريف وقع فى بيت العباس بن مرداس السلمى وهو البيت الوحيد الصحيح النسبة ، بين شاهدى هذه المسألة ، لأن البيت الثانى يروى بلا نسبة ، كما أنه يحتوى على عبارات إسلامية ظاهرة ، مما يدل على أنه موضوع بعد وضع القاعدة ، و على ضوئها .

وهذا يعنى أن المسألة لا وجود لها فى اللغة العربية أصلا ، وأن النحاة وعلى رأسهم

(١) ديوان الأخطل ص ٢
(٢) شرح المرزوقى للحماسة ٢ / ٥٠١
(٣) كتاب سيبويه ١ / ١٤٨
(٤) خزانة الأدب ٢ / ٨٢

سيبويه أو شيوخه ، قد وقعوا فى التحريف فى بيت العباس بن مرداس وقاسوا عليه أمثلتهم الأخرى ، وأن صواب رواية البيت :

أبا خراشة إما كنت ذا نفر

فان قومى لم تأكلهم الضبع

هكذا : «إما كنت» بدلا من : «أما أنت» التى يزعم النحاة ، منذ أيام سيبويه ، أن البيت يروى بها و« إما » هذه هى : « إن » الشرطية المؤكدة بما الزائدة ، وهى كثيرة فى الكلام العربى ، ويأتى بعدها المضارع كقوله تعالى : « إما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء » والماضى كقول الأبيرد الرياحى :

فلا يبعدنك الله إما تركتنا

حميدا وأودى بعدك المجد والفخر(١)

ولعل الدليل على صحة ما نقول ، أن بيت العباس بن مرداس ، يروى كثيرا فى غير كتب النحو (التى ينقل بعضها عن بعض) ، بالرواية الصحيحة وهى : « إما كنت » ويكفى أن تراجع ذلك فى كتاب العين للخليل بن أحمد ٣٣١/١ وجمهرة الأمثال لأبى هلال العسكرى ١١٠/٢ وتهذيب الألفاظ لابن السكيت ٢٦ وحماسة الخالديين ٨٩/١ وجمهرة اللغة لأبن دريد ٣٠٢/١ وشرح نهج البلاغة لأبن أبى الحديد ١ / ٤٣ ولسان العرب (خرش) ١٤٣/٨ والاشتقاق لابن دريد ٣١٣ والشعر والشعراء لأبن قتيبة ٣٤١/١ وشرح ديوان جرير لمحمد بن حبيب ١ / ٣٤٩ والحيوان للجاحظ ٥ /٢٤ ؛ ٤٤٦/٦ وغير ذلك :

وهذا مثال ثان يؤكد ما قلناه ، من ابتداع بعض النحاة العرب لشئ من القواعد ، بناء على رواية مغيرة لهذا الشاهد أو ذاك من شواهد الشعر ، يقول ابن قتيبة. « وقد رأيت سيبويه يذكر بيتا يحتج به ، فى نسق الاسم المنصوب على المخفوض ، على المعنى ، لا على اللفظ ، وهو قول الشاعر

معاوى إننا بشر فأسجح

فلسنا بالجبال ولا الحديدا

قال : كأنه أراد: لسنا الجبال ولا الحديدا ، فرد الحديد على المعنى قبل دخول الباء . وقد غلط على الشاعر ، لأن هذا الشعر كله مخفوض ، قال الشاعر :

فهبها أمة ذهبت ضياعا

يزيد أميرها وأبو يزيد

أكلتم أرضنا وجردتموها

فهل من قائم أو من حصيد

وقد أسهم النساخ فى شيوع الغلط ، وأصبح من الواجب علينا تصحيحه ؛ فقد استشهد ابن عقيل فى شرحه لألفية ابن مالك على جواز نصب المفعول لأجله إذا كان محلّى بالألف واللام ، بقول قريط بن أنيف :

فليت لى بهم قوما إذا ركبوا

شنوا الإغارة فرسانا وركبانا

والبيت على هذه الرواية التى جاءت فى كتاب ابن عقيل، ليس فيها شاهد على هذه المسألة ؛ لأن : « الإغارة » مفعول به ،

---

(١) الكامل للمبرد ٢١٥/١

وليس مفعولا له . والذى فى شعر قريط بن أنيف «شدوا الإغارة» . ويقول التبريزى فى تفسيره : «ويروى شنوا الإغارة» ، أى فرقوها ، ومن روى : شدوا الإغارة ، فليس الإغارة مفعولا به . ولا انتصابها على ذلك ، لكن انتصابها انتصاب المفعول له ، أى شدوا للإغارة[1] »

يبدو أن ما فى كتاب ابن عقيل تحريف للرواية الأخرى : «شدوا» وأن المراد : شدوا الخيل للإغارة ، وإن كان شراح شواهده ، كالشيخ عبد المنعم الجرجاوى والشيخ قطة العدوى ، يريان حذف المفعول به هنا أيضا ، فيقولان : «إن المعنى شنوا أنفسهم لأجل الإغارة على العدو» مع أن الذى فى المعاجم : «شن الغارة» أى فرقها ، ولم يقل : «شنوا أنفسهم» فيما وقفت عليه من نصوص العربية .

* * *

أما كتب فقه اللغة العربية ، من تراثنا اللغوى فإنها حقا تبعث على الإعجاب والإكبار ، إذ يظهر فى شىء غير قليل من قضاياها ، سبق علمائنا القدامى لأحدث النظريات اللغوية فى العصر الحديث ، بألف عام أو يزيد . وعلى رأس هذه الكتب : «الخصائص» و«سر صناعة الإعراب» للإمام ابن جنى (المتوفى سنة ٣٩٢ هـ) و«الصاحبى فى فقه اللغة» لابن فارس اللغوى (المتوفى سنة ٣٩٥ هـ) ، و«المزهر فى علوم اللغة وأنواعها» للإمام السيوطى (المتوفى سنة ٩١١ هـ) ؛ ففى هذه الكتب وغيرها ، علم كثير ، ونظريات لغوية ، تقف شامخة أمام ما وصل إليه العلماء ، فى عصر التكنولوجيا الحديثة ، والعقول الالكترونية .

ولكنك تعجب حين ترى فى بعضها اشتغال هؤلاء العلماء ، بشىء من التعليلات الواهية ، والجدل العقيم ، واسمع معى إلى قول ابن جنى ، متسائلا : لماذا رفع الفاعل ونصب المفعول ؟ ثم يجيب بقوله : «لأن الفعل لا يكون له أكثر من فاعل واحد وقد يكون له مفعولات كثيرة ، فرفع الفاعل لقلته ، ونصب المفعول لكثرته وذلك ليقل فى كلامهم ما يستثقلون ويكثر فى كلامهم ما يستخفون» .

كما يقول ابن جنى فى موضع آخر : «لماذا يكثر الأصل الثلاثى فى اللغة العربية ، دون الرباعى والخماسى ؟ الجواب هو : لأنه حرف يبتدأ به ، وحرف يحشى به . وحرف يوقف عليه . وليس اعتدال الثلاثى لقلة حروفه فحسب ، لو كان كذلك لكان الثنائى أكثر منه ، لأنه أقل حروفا ، وليس الأمر كذلك ، وأقل منه ما جاء على حرف واحد . . . فتمكن الثلاثى إنما هو لقلة حروفه — لعمرى — ولشىء آخر ، وهو حجز الحشو الذى هو عينه بين فائه ولامه ، وذلك لتباينهما ولتعادى حاليهما ، ألا ترى أن المبتدأ

---
(١) الخصائص ١ / ٦٩

لا يكون إلا متحركا ، وأن الموقوف عليه لا يكون إلا ساكنا ؟ فلما تنافرت حالاهما ، وسطوا العين حاجزا بينهما ، لئلا يفجئوا الحس بضد ما كان آخذا فيه[1]»

ويدلك على ما نقول كذلك هذا الجدل العنيف ، الذى يثيره ابن جنى حول الحركة القصيرة ، أهى قبل الحرف ، أو معه ، أو بعده ؟ وبدلا من أن يلجأ إلى التجربة ، أخذ يستخدم منطق أرسطو ، فى التدليل على أن الحركة القصيرة تقع بعد الحرف ، مثلها فى ذلك مثل حروف المد وهى الألف والواو والياء ، فيقول : « واعلم أن الحركة التى يتحملها الحرف ، لا تخلو أن تكون فى المرتبة قبله ، أو معه أو بعده ، فمحال أن تكون الحركة فى المرتبة قبل الحرف ، إذ لو كانت كذلك لما جاز الإدغام فى الكلام أصلا ، ألا ترى أنك تقول : قطع ، فتدغم الطاء الأولى فى الثانية ، ولو كانت حركة الطاء الثانية فى الرتبة قبلها ، لكانت حاجزة بين الطاء الأولى والطاء الثانية ، ولوكان الأمر كذلك لما جاز إدغام الأولى فى الثانية ، فجواز الإدغام فى الكلام دلالة على أن الحركة ليست قبل الحرف المتحرك بها . . . وبقى أن تكون معه أو بعده ، وفى الفرق بينهما بعض الإشكال ، فالذى يدل على أن حركة الحرف فى المرتبة بعده ، أنك تجدها فاصلة بين المثلين ، نحو قولك : قصص ، ومضض . فإن ظهر هذان المثلان ، ولم يدغم الأول منهما فى الآخر منهما ، فظهورهما دلالة على فصل واقع بينهما ، وليس ها هنا فصل البتة ، غير الحركة المتأخرة عن الحرف الأول[2] .

أما أبو على الفارسى ، فإنه لم يتصور إمكان استقلال الحركة بالنطق ، ولم يستطع أن يفرق بين الصوت الصامت والحركة ، هذه التفرقة . فكان يرى أن الحركة تحدث مع الحرف يقول ابن جنى : «واستدل أبو على على أن الحركة تحدث مع الحرف ، بأن النون الساكنة إذا تحركت ، زالت عن الخياشيم إلى الفم . وكذلك الألف إذا تحركت انقلبت همزة فدل ذلك عنده ، على أن الحركة تحدث مع الحرف ، وهو لعمرى استدلال قوى[3]»

وقد فات أبا على الفارسى ، أن الذى يزول عن الخياشيم إلى الفم ، هو الحركة وليست النون ، وأن الذى يتحرك هو الهمزة ، وليست ألف المد ، لأن ألف المد حركة طويلة ، والحركة لا تحرك .

---

(١) الخصائص ١ / ٥٥

(٢) سر صناعة الإعراب ١ / ٣٢

(٣) سر صناعة الإعراب ١ / ٣٧ ومع تحمس ابن جنى لرأى أستاذه أبى على الفارسى هنا ، ووصفه دليله بأنه « استدلال قوى » فإنه لم يرتض هذا الرأى فى كتابه الخصائص ٢ / ٣٣٤ ورد استدلاله هناك .

ولم تخل هذه الكتب كذلك من داء التصحيف والتحريف ، الذى ابتليت به الكتابة العربية ، منذ القدم ، فقد وقع فى كتاب « المزهر » للسيوطى النص التالى : « قال ابن درستويه فى شرح الفصيح قول العامة نحوى لغوى على وزن : جهل يجهل ، خطأ أو لغة رديئة [1] » وفى هامشه تعليقا على عبارة : « نحوى لغوى » قال محققو المزهر : « لم نقف على ضبط هذه العبارة » !

وهذا الذى لم يقف على ضبطه محققو الكتاب ، موجود على الصواب فى تصحيح الفصيح لابن درستويه ، وهو قوله : «فتقول : غوى يغوى على نحو جهل يجهل [2]»

هذه هى بعض الملاحظات ، التى لم يقصد كاتبها إلى الحصر والاستقصاء ، وإنما هو تنبيه للأذهان ، إلى أنه قد آن الأوان لتنقية تراثنا اللغوى من كل هذه الشوائب ، التى تركت آثارها الجذرية ، فى وجه اللغة الحسناء ، لغتنا الجميلة .

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

رمضان عبد التواب

---

(١) المزهر ١/٢٢٥

(٢) تصحيح الفصيح ١ / ١١٩

ظاهرة
دخول حروف الجر بعضها مكان بعض
عرض - تحليل - نتائج
الدكتور حسين محمد محمد شرف

(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - المبعوث خاتما للنبيين ورحمة للعالمين ، وبعد فإن حروف المعاني في لغتنا العربية الخالدة قد ظفرت باهتمام علماء العربية منذ بدء الاشتغال بعلومها في أواخر القرن الأول الهجري ، وأوائل القرن الثاني ، وما زالت موضع اهتمام الباحثين والدارسين إلى يومنا هذا ، فألفت فيها الكتب الخاصة بها ، وعقدت لها الفصول والأبواب في أمهات الكتب ، وعولجت في ثنايا كثير من المؤلفات .

ومن العلماء الذين أفردوها بمؤلفات خاصة بها ، وآثارهم بين أيدينا :

- أبو الحسن على بن عيسى الرماني " النحوي (ت ٣٨٤ هـ) في كتابه " معاني الحروف " .
- أبو الحسن على بن محمد الهروي النحوي (ت ٤١٥ هـ) في كتابه " الأزهية في معاني الحروف " .
- أحمد بن عبد النور بن أحمد بن راشد المالقي (ت ٧٠٣ هـ) في كتابه " رصف المباني في شرح حروف المعاني "
- أبو محمد حسن بن قاسم بن عبد الله المرادي (ت ٧٤٩ هـ) في كتابه " الجنى الداني "

ومن أفرد الحروف بمؤلفات ، ولم تصلنا بعد :

- أبو الحسن على بن حمزة الكسائي إمام نحاة الكوفة (ت ١٨٣ هـ) ذكر ذلك صاحب بغية الوعاة ١٦٤/٢
- أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٦ هـ) ذكر ذلك صاحب إنباه الرواة ٢٥٢/٣ .

وغيرهما كثير .

ومن العلماء الذين عقدوا لها الأبواب والفصول في كتبهم :

- أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) في كتابه " الغريب المصنف "
- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) في كتابه " أدب الكاتب " .
- أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) في كتابه " الخصائص " .
- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ) في كتابه " الصاحبي "
- أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت ٤٣٠ هـ) في كتابه " فقه اللغة وأسرار العربية "

- علی بن إسماعيل بن سيده (ت ٤٥٨ هـ) في كتابه " المخصص "
- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) فى كتابه " المفصل وشرحه
لموفق الدين بن على المشهور بابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) .
- أبو السعادات هبة الله بن على بن حمزة (ابن الشجرى) (ت ٥٤٢ هـ) فى كتابه " الأمالي الشجرية " .
- عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ) فى كتابه " الكافية فى النحو " وشرحه لرضى الدين محمد بن الحسن الاستراباذى (ت ٦٨٦ هـ) .
- جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصارى (ت ٧٦١ هـ) فى كتابه " مغنى اللبيب "
- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) فى كتابه " البرهان فى علوم القرآن " .
- الإمام جلال الدين السيوطى (ت ٩١١ هـ) فى كتابه همع الهوامع شرح جمع الجوامع .

ومن العلماء الذين عرضوا لها فى ثنايا كتبهم ، وفى أكثر من مكان من هذه الكتب :
- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر " سيبويه " (١٨٠ هـ) فى الكتاب
- أبو زكريا يحيى بن زياد الديلمى " الفراء " (٢٠٧ هـ) فى كتابه " معانى القرآن " .
- أبو العباس محمد بن يزيد " المبرد " (٢٨٥ هـ) فى كتابه " المقتضب"

وقد شملت دراسة هؤلاء العلماء وغيرهم " حروف المعانى " من جوانب مختلفة فدرسوها :
- من حيث ما تدخل عليه .
وجعلوا مايصلح للدخول على الأسماء والأفعال " مشتركا " وربطوا بين الاشتراك وعدم التأثير الإعرابى غالبا ، وجعلوا مايدخل على الفعل وحده أو الاسم وحده " مختصا " وربطوا بين الاختصاص والتأثير الإعرابى بشرط ألا يُنزَّل الحرف المختص منزلة الجزء من الاسم والفعل، ومما ينزل من الحروف منزلة الجزء فلا يعمل، لام التعريف مع الاسم ، وحرف التنفيس مع الفعل .
- ومن حيث ما تؤديه من معان مع غيرها من أقسام الكلمة .
- ومن حيث تعدد معانيها .
- ومن حيث اشتراك أكثر من حرف فى أداء معنى واحد .

- ومن حيث استعمالاتها .
- ومن حيث أثرها الإعرابى فيما تدخل عليه .
- ومن حيث دخول بعض هذه الحروف مكان بعض، أو نيابة حرف منها عن حرف آخر فى معناه .

وسوف يقتصر عملى فى هذه الدراسة المتواضعة على بحث مسألة دخول بعض حروف الجر مكان بعضها الآخر ، أو بعبارة أخرى نيابة حروف الجر بعضها عن بعض . وتتلخص دراستى لها فيما يأتى :

بيان المراد من دخول حرف جر مكان حرف جر آخر .
عرض أكبر قدر يمكننى الوقوف عليه من الأمثلة التى وردت فى القرآن الكريم، والحديث الشريف ، والشعر العربى ، والمحكى عن العرب ، والتى على أساسها وجدت هذه الظاهرة .
موقف علماء العربية من دخول حرف جر مكان حرف جر آخر .
كيف وفق القائلون بمنع ذلك بين وجهة نظرهم وبين هذه النماذج الكثيرة والمتنوعة التى تشهد لغيرهم .
جهود القائلين بالمنع فى توجيه الأمثلة موضوع الدراسة .
غاية البحث ونتيجته .

وبعد، فهذه الخطوط العريضة لتلك الدراسة التى عزمت على تقديمها فى الصفحات الآتية متوكلا على الله ، مستمدا منه الهدى والسداد ، وتحقيق الغاية والمراد إن شاء الله تعالى .

مفهوم دخول بعض حروف الجر مكان بعض*

إذا تأملنا أساليب لغتنا العربية ممثلة فى القرآن الكريم، والحديث الشريف، وكلام العرب شعره، ورجزه، ونثره، وطبيعة استخدام هذه اللغة لأفعالها تبين لنا ما يأتى :

- أن من أفعال العربية أفعالا ترفع الفاعل وتتجاوزه بنفسها وطبيعتها إلى نصب المفعول به، ومن هذه الأفعال : فتح، طلب، فهم.

يقولون : فتح القادم الباب. طلب الباحث الحقيقة. فهم السائل الإجابة.

- وأن من أفعالها أفعالا ترفع الفاعل، ولا تتعداه إلى نصب المفعول به بنفسها وطبيعتها. ومن هذه الأفعال : ذهب. جلس. خرج.

لا يقولون : ذهب الطالب المكتبة. جلس المريض المقعد. خرج المصلى المسجد.

فإذا أرادوا تعدية هذه الأفعال، وما على شاكلتها إلى المفعول به رفدوها بحرف من حروف الجر، وأوصلوها به إليه، وعاملوا الفعل القاصر مع حرف الجر معاملة الفعل المتعدى بنفسه إذا كان فى معناه.

فقالوا : ذهب الطالب إلى المكتبة، جلس المريض على المقعد، خرج المصلى من المسجد. وناسب كل فعل من هذه الأفعال التى تصل إلى المفعول به بمساعدة حرف من حروف الجر حرف خاص به يلتقى الفعل معه فى معناه الأصلى، فيستقيم التركيب، ويقبل الاستعمال.

---

* انظر فى ذلك :
- سيبويه ٤١٩/١ : ٤٢١، ٢٦٨/٣ - ٤١٢، ٢١٧/٤ - ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٣١ تحقيق شيخى الأستاذ عبد السلام هارون.
- المقتضب ٣١٧/٢ : ٣١٩ تحقيق شيخى المرحوم محمد عضيمة.
- الخصائص ٢٠٧/٢ : ٣١٥ تحقيق شيخى المرحوم محمد على النجار.
- ابن يعيش على المفصل ٨/٨، ٩٠، ١٠٠، ٥٠٠.
- الأزهية فى علم الحروف للهروى.
- مغنى اللبيب لابن هشام ١٠٢/١ - ١٠٣.
- الجنى الدانى فى حروف المعانى.
- حاشية الخضرى على شرح " ابن عقيل " ٢١٥/١.
- همع الهوامع ١٥٣/٤.

ومن هذا : التقاء الحرف " إلى " الذى يدل أصلا على الانتهاء مع الفعل " ذهب " والحرف " على " الذى يدل أصلا على الاستعلاء مع الفعل جلس والحرف ". من " الذى يدل أصلا على الابتداء مع الفعل " خرج " فيما تقدم من أمثلة .

وقد يتعدد الفعل مع معانى الحرف التى تتبادر منه ، ويستعمل فيها استعمالا حقيقيا بطريق الاشتراك اللفظى ـ إذا سلمنا بقول من يقول بذلك ـ ومن هذا :

دلالة الحرف " من " على : الابتداء ، والتبعيض ، والبيان .

ودلالة الحرف " الباء على : الإلصاق ، والإستعانة ، والسببية .(1)

وإذا قال النحاة : إن كل قبيل من الأفعال القاصرة يختص بقبيل من الحروف الرافدة الموصلة فإن واقع اللغة يؤكد وجود تداخل بين هذه الأفعال ومشاركة بعضها بعضا فى هذه الحروف الرافدة التى دخل بعضها مكان ما يناقضه أو يخالفه من الحروف فى القرآن الكريم والحديث الشريف ، وفصيح الكلام العربى شعره ونثره :

ومن ذلك دخول الحرف " إلى " الذى يدل على الانتهاء مكان الحرف " من " الذى يدل على " الابتداء " فى قول " ابن أحمر " يصف الناقة :

تَقولُ وَقَد عالَيتُ بالكُورِ فَوقَها .. أَيُسقَى فلا يَروَى إلىَّ ابنُ أحمرا(2)

أى " فلا يروى منى " .

ومن ذلك دخول " الحرف " الباء ـ الذى يدل على " الإلصاق " مكان الحرف " عن " الذى يدل على المجاوزة فى قول الله ـ عز وجل ـ " سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذابٍ وَاقِعٍ "(3)

أى: " عن عذاب واقع " .

---

(1) من النحاة من يقول : إن لحرف الجر معنى أصليا واحدا ، وإليه ترجع كل المعانى التى انشعبت عنه .

(2) المخصص 66/14 ـ الجنى الدانى 375 " مغنى اللبيب 70/1 ، 71 ، همع الهوامع 155/4 .

(3) سورة المعارج آية 1 ، وانظر فى ذلك : تهذيب اللغة 614/15 ـ الصاحبى 133 ـ فقه اللغة 227 ـ المخصص 65/14 ـ الرضى على الكافية 328/2 ـ امالى الشجرى 270/2 ـ الجنى الدانى 105 ـ المغنى 98/1 ـ البرهان 257/4 .

ومن ذلك دخول الحرف " على " الذى يدل على " الاستعلاء " مكان الحرف " فى " الذى يدل على "الظرفية " فى قول الله ـ عز وجل ـ : وَدَخَلَ المَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِن أَهلِهَا " (١)

أى : " فى حين غفلة من أهلها "

ومن ذلك دخول الحرف " عن " الذى يدل على المجازة " مكان الحرف " فى " الذى يدل على "الظرفية " فى قول " الأعشى ميمون بن قيس "

وَآسِ سَرَاةَ الحَيِّ حَيثُ لَقِيتَهُم .. وَلاتَكُ عَن حَملِ الرِّبَاعَةِ وَانِيَا (٢)

أى :"فى حمل الرباعة "

ومن ذلك دخول الحرف " فى " الذى يدل على "الظرفية " مكان الحرف " على " الذى يدل على " الاستعلاء " فى قول الله عز وجل ـ : " وَلأُصَلِّبَنَّكُم فِي جُذُوعِ النَّخلِ" (٣)

أى : " على جذوع النخل " .

ولهذه الأمثلة وغيرها مما لايكاد يحاط به لكثرته كانت ظاهرة استعمال حروف الجر بعضها مكان بعض التى يدور البحث حول دراستها .

وقد وقف علماء العربية منها موقف مؤيد لها مسلم بوقوعها ، وموقف منكر لها مؤوّل لما جاء من أمثلتها :

---

(١) من الآية ١٥ سورة القصص ، وانظر فى ذلك : المخصص ٦٧/١٤ ـ أمالى الشجرى ٢٦٨/٢ ـ المغنى ١٢٦/١ ـ الهمع ١٨٦/٤ ـ البرهان ٢٨٤/٤

(٢) ديوان "الأعشى " ٣٢٩ وانظر فى ذلك : الجنى الدانى ٢٦٣ ـ المغنى ١٣٠/١ همع الهوامع ١٩١/٤.

(٣) من الآية ٧١ سورة طه ،وانظر : الغريب المصنف ٢٣١/أ . ـ المقتضب ٣١٨/٢ ـ تهذيب اللغة ٢٨٣/١٥ ـ الخصائص ٣١٣/٣ ـ معانى الحروف للرماني ٩٦ ـ الأزهية للهروى ٢٦٧ ـ الجنى الدانى للمرادى ٢٦٦ ـ المغنى ١٤٥/١ ـ البرهان ٣٠٣/٤ .

وبدافع من موقف علماء العربية تجاهها واختلافهم في أمرها كانت هذه الدراسة التي سرت فيها على النهج الآتي :

- اختيار الحروف : إلى - الباء - على - عن - في - اللام - من ، لدراسة الظاهرة .
- عرض المعنى الأصلي أو المعاني المتبادرة لكل حرف منها في إيجاز ، ثم عرض قدر واف من أمثلة نيابة هذه الحروف بعضها عن بعض ، يستوفي جوانبها ويمثل استقراء شبه تام لما جاء من أمثلتها في العربية .
- تفصيل موقف علماء العربية من دخول حروف الجر بعضها مكان بعض .
- عرض ما توصل إليه المانعون لذلك من تأويل وتخريج . إلى جانب ما من الله - تعالى - علىّ به من ذلك .
- احتكام الباحث إلى أمثلة الظاهرة ما أول منها وما بقي من غير تأويل ، وطبيعة لغتنا العربية في التوصل إلى رأي متواضع فيها .

الحروف المختارة

وأمثلة دخول بعضها مكان بعض

" إلى " (١)

تدل " إلى " الجارة أصلا على انتهاء الغاية مطلقا : زمانية ، مثل قول الله – عز وجل – : " ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيلِ " (٢)
أو مكانية مثل قوله – عز وجل – : " سُبحانَ الَّذي أَسرَى بِعَبدِهِ لَيلًا مِنَ المَسجِدِ الحَرامِ إِلَى المَسجِدِ الأَقصَى "(٣)، ويتوقف دخول مابعدها فىحكم ماقبلها على ما يؤيد ذلك من قرائن ، فإذا لم توجد القرينة رجح عدم دخول مابعدها فى حكم ماقبلها .

ومما قيل فيه بدخول " إلى"
مكان حرف آخر من حروف الجر

أ – دخول " إلى " مكان " الباء " (٤)

١ – قال الله – عزوجل – : " وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِم قَالُوا إِنَّا مَعَكُم "(٥)
أى " بشياطينهم " .

٢ – وقال الله – عز وجل – : أُحِلَّ لَكُم لَيلَةَ الصِّيامِ الرفث إلى نِسَائِكُم "(٦)
أى : " بنسائكم " .

٣ – وقال النابغة الذبيانى :

فَلَا عَمرُو الذى أَثنَى عَلَيهِ .. وما رَفعَ الحَجيجُ إلى آلالِ(٧)

أى : " بآلال " وآلال : جبل بعرفة .

(١) سيبويه ٢٣١/٤ – المقتضب ١٣٩/٤ – تهذيب اللغة ٤٢٧/١٥ – ابن يعيش على المفصل ١٤/٨ – الرضى على الكافية ٣٢٤/٢ – المغنى ٦٨/١
(٢) من الآية ١٨٧ سورة البقرة .
(٣) من الآية ١ سورة الإسراء .
(٤) الأزهية ٢٧٤ – أمالى الشجرى ٢٦٨/٢ – ابن يعيش ١٥/٨ – همع الهوامع ١٥٦/٤
(٥) من الآية ١٤ سورة البقرة .
(٦) من الآية ١٨٧ سورة البقرة .
(٧) الأزهية ٢٧٤ – الديوان : ٩٧ بيروت وفيه " إلال " بكسر الهمزة .

٤ ـ وقال كثير بن عبد الرحمن :
وَلقد لَهوْتُ إلى الكَواعِبِ كَالدُّمَى .. بِيضِ الوُجوهِ حَدِيثُهُنَّ رَخِيمُ (١)
أي " لهوت بالكواعب "

ب ـ دخول " إلى " مكان " في " (٢)

٥ ـ قال الله ـ عز وجل ـ : " اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ " (٣)
أي " في يوم القيامة " .
٦ ـ وقال الله ـ عز وجل ـ : " فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ (٤) "
أي " في أن تزكى "
٧ ـ وقال " النابغة الذبياني زياد بن معاوية " :
فَلا تَتْرُكَنِّي بِالوَعِيدِ كَأَنَّنِي .. إلى النَّاسِ مَطْلِيٌّ بِهِ القَارُ أَجْرَبُ (٥)
أي " في الناس " .
٨ ـ وقال " طرفة بن العبد البكري " :
وَإِن يَلْتَقِ الحَيُّ الجَمِيعُ تُلاقِنِي .. إلى ذِرْوَةِ البَيْتِ الكَرِيمِ المُصَمَّدِ (٦)
أي " ذروة البيت الذي يصمد إليه "

٩ ـ ويقال : " جلست إلى القوم "
أي " فيهم " (٧)

---

(١) الأزهية ٢٧٤ ـ أمالي الشجري ٢٦٨:٢
(٢) الخصائص ٣٠٩/٢ ـ الأزهية ٢٧٣ ـ المخصص ٦٥/١٤ ـ أمالي الشجري ٢٦٨/٢ ـ الرضى على الكافية ٣٢٤/٢ ـ الجنى ٣٧٤ ـ المغنى ٧١/١ ـ البرهان ٣٣٤/٤ ـ الهمع ١٥٤/٤ ـ ١٥٨/٤ ـ الإتقان في علوم القرآن ١٩٩/١
(٣) من الآية ٨٧ سورة النساء .
(٤) الآية ١٨ سورة النازعات .
(٥) ديوان النابغة ٢٤ ط بيروت ـ الأزهية ٢٧٣ ـ المخصص ٩٥/١٤ ـ أمالي الشجري ٢٦٨/٢ ـ الرضى على الكافية ٣٢٤/٢ ـ الجنى الداني ٣٧٤ ـ المغني ٧١/١ همع الهوامع ١٥٤/٤ .
(٦) ديوان طرفة ٣٩ ط بيروت ١٩٥٣ برواية " الرفيع " مكان " الكريم " ـ معاني الحروف ١١٥ ـ الأزهية ٢٧٤ ـ أمالي الشجري ٢٦٨/٢ ـ الرضى على الكافية ٣٢٤/٢ .
(٧) المخصص ٦٥/١٤

جـ ـ دخول " إلى " مكان " اللام "(١)

١٠ ـ قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : "وَيَهدِي مَن يَشاءُ إلى صِراطٍ مُستَقِيمٍ (٢)" .

أي : " لصراط مستقيم " .

١١ ـ وقال الله ـ عز وجل ـ : قَالُوا نَحنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأسٍ شَدِيدٍ وَالأَمرُ إِلَيكِ (٣)"

أي :"والأمر لك "

١٢ ـ وقال " الشماخ بن ضرار " .

فَالحَقُّ بِبَجلَةَ نَاسِبهُم وَكُن مَعَهُم .. حَتَّى يُعِيرُوكَ مَجدًا غَيرَ مَوْطُودِ
وَاترُكْ تُرَاثَ خَفَافٍ إِنَّهُم هَلَكُوا .. وَأَنتَ حَيٌّ إِلى رِعلٍ وَمَطرُودِ(٤)

أي : " لرعل ومطرود " وهما قبيلتان .

د ـ دخول " إلى " مكان " من " (٥):

١٣ ـ قال " ابن أحمر الباهلي " :

تَقولُ وَقَد عَالَيتُ بِالكُورِ فَوقَها ..
أَيُسقَى فَلَا يَروَى إِلَيَّ ابنُ أَحمَرَا (٦)

أي : " فلا يروى مني " .

هذا وقد جاءت " إلى " مكان " مع " وتركتُ أمثلة ذلك لاختلاف النحاة في حرفية " مع " .

---

(١) الصاحبي" لابن فارس " ١٧٩ الجنى الداني ٣٧٤ . ـ المغني ٧١/١ ـ البرهان ٢٣٤/٤ ـ همع الهوامع ١٥٤/٤ ـ الإتقان ١٩٩/١ .

(٢) من الآية ٢٥ سورة يونس . (٤) من الآية ٣٣ سورة النمل .

(٤) الصاحبي ١٧٩ ـ ١٨٠ ورواية الديوان ٢٥ ط القاهرة ١٣٢٨ هـ ـ والحق بنجلة " مكان " فالحق ببجلة " وكذا : "أوانْتَ حيا " مكان " وأنت حي "

(٥) المخصص ٦٦/١٤ ـ الجنى الداني ٣٧٥ ـ المغني ٧١/١ ـ الهمع ١٥٥/٤

(٦) المخصص ٦٦/١٤ ـ الجنى الداني ٣٧٥ ـ المغني ٧١/١ ـ همع الهوامع ١٥٥/٤ ـ شعر بن أحمر ٨٤ ورواية الديوان . " يُسَقَّى " مكان " ايسقى " .

البــــــاء (١)

تدل "الباء" أصلا على "الإلصاق" حقيقة مثل : مسحت يدي بالثوب ، ومجازا مثل : مررت بحائط البستان ، ويتبادر من معانيها "الاستعانة" مثل : كتبت بالقلم ، "والسببية" مثل : حججت بتوفيق الله .

ومما قيل فيه بدخول " الباء " مكان حرف آخر من حروف الجــــــر

أ ـ دخول " الباء " مكان " إلى " .(٢)

١٤ ـ قال الله ـ عز وجل ـ : وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ "(٣)

أي : أحسن إلي " .

ب ـ دخول " الباء " مكان " على "(٤)

١٥ ـ قال الله ـ عز وجل ـ : " وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ "(٥)

أي : " على قنطار " و " على دينار " .

١٦ ـ وقال الله ـ عز وجل ـ : " وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ "(٦)

أي : " مروا عليهم " .

١٧ ـ وقال " راشد بن عبد ربه السلمي " :

أَرَبٌّ يَبُولُ الثُّعْلُبَانُ بِرَأْسِهِ .. لَقَدْ ذَلَّ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ(٦)

أي : " على رأسه " .

---

(١) سيبويه ٢١٧/٤ ـ المقتضب ١٤٢/٤ ـ تهذيب اللغة ٦١٤/١ ـ المخصص ٦٥/١٤ ـ ابن يعيش على المفصل ٢٢/٨ ـ الرضي على الكافية ٣٢٧/٢ ـ المغني ٩٥/١ ـ همع الهوامع ١٥٦/٤ ـ

(٢) المغني ٩٨/١ ـ همع الهوامع ١٥٩/٤ ـ الإتقان ٢٠٧/١ .

(٣) من الآية ١٠٠ سورة يوسف .

(٤) الصاحبي ١٣٤ ـ ١٣٥ ـ المخصص ٦٩/١٤ ـ الأزهية ٢٨٥ ـ أمالي الشجري ٢٧١/٢ فقه اللغة وأسرار العربية ٢٢٨ ـ الجنى الداني ١٠٦ ـ المغني ٩٨/١ ـ البرهان ٢٥٧/٤ ـ همع الهوامع ١٦١/٤ ـ الإتقان ٢٠٧/١

(٥) من الآية ٧٥ سورة آل عمران . (٦) سورة المطففين آية ٣٠

(٦) الصاحبي ١٢٥ ـ فقه اللغة ٢٢٨ ـ أمالي الشجري ١٧١/٢ ـ المغني ٩٨/١ ـ همع الهوامع ١٦١/٤ ـ الجنى الداني ٦ ١ .

١٨ ـ وقال " عمرو بن قميئة "

بِوُدِّكَ مَاقَومِي عَلَى أَن تَرَكْتِهِم ... سُلَيمَى إِذَا هَبَّتْ شَمَالٌ وَرِيحُهَا (١)

أي : " على ودك قومى " ، وما زائدة .

حـ ـ دخول " الباء " مكان " عن " بعد السؤال وغيره : (٢)

١٩ ـ قال الله ـ عز وجل ـ " وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا " (٣) .

أى : " عن الغمام "

٢٠ ـ وقال الله ـ عز وجل ـ " ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا (٤) "

أى : " فاسأل عنه خبيرا " .

٢١ ـ وقال الله ـ عز وجل ـ : يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم " (٥) .

أى : وعن أيمانهم " .

٢٢ ـ وقال الله ـ عز وجل ـ " حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ ، وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ " (٦) .

أى : " عن الله "

٢٣ ـ وقال الله ـ عز وجل ـ : وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ " (٧) .

أى "وعن أيمانهم " .

٢٤ ـ وقال الله ـ عز وجل ـ " سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ " (٨)

أى " عن عذاب " .

٢٥ ـ وقال الله ـ عز وجل ـ : " يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ " (٩)

أى : " عن ربك " .

---

(١) الأزهية ٢٨٥ ـ المخصص ٦٩/١٤ ـ الديوان ٢٣ تحقيق الأستاذ حسن كامل الصرفى ط القاهرة : ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥م .

(٢) تهذيب اللغة ٦١٤/١٥ ـ ٦١٥ الصاحبى ١٣٣ ـ المخصص ٦٥/١٤ ـ فقه اللغة ٢٢٧ ـ أمالى الشجرى ٢٧٠/٢ ـ ٢٧١ الرضى على الكافية ٣٢٨/٢ ـ المغنى ٩٨/١ ـ البرهان ٢٥٧/٤ ـ همع الهوامع ١٦١/٤ ـ الإتقان ٢٠٧/١ ـ تأويل مشكل القرآن ٥٦٨ ـ الأزهية ٢٨٤ ـ الجنى الدانى ١٠٥ .

(٣) الفرقان آية ٢٥ (٤) ـ من الآية ٥٩ سورة الفرقان .

(٥) من الآية ١٢ سورة الحديد (٦) من الآية ١٤ سورة الحديد

(٧) من الآية ٨ سورة التحريم (٨) المعارج آية ١

(٩) الانفطار آية ٦

٢٦ ـ وقال " النابغة الجعدى " :

سَألَتْني بِأُناسٍ هَلَكوا .. شَرِبَ الدَّهرُ عَلَيهِم وَأكَل (١)

أى : " عن أناس "

٢٧ ـ وقال " النابغة الذبيانى " :

كَأنِّي وَرحلِي وقد زال النهارُ بِنَا
بذي الجَليل عَلى مُسْتَأنِسٍ وَحِد (٢)

أى : " وقد زال النهار عنا " ومعنى زال النهار : انتصف .
الجليل : واد قرب مكة .

٢٨ ـ وقال " عنترة بن شداد العبسى " :

هَلاَّ سألتِ الخيلَ يَا ابنةَ مَالك
إن كُنتِ جَاهلةً بِما لَم تَعلَمِى (٣)

أى : " عَمَّا لَم تَعلَمى " .

٢٩ ـ وقال " علقمة بن عبدة " :

فَإن تَسألوني بِالنِّساءِ فَإنَّني
بَصيرٌ بِأدواءِ النِّساءِ طَبيبُ (٤)

أى : " عن النساء " .

٣٠ ـ وقال " عمرو بن أحمر الباهلى " .

تُسائِلُ بابنِ أحمَرَ مَن رَآهُ
أعارَت عينُهُ أم لَم تَعارَا (٥)

أى : " عن ابن أحمر " .

٣١ ـ وقال " المفضل النكرى " :

وَسائِلَةٍ بِثَعلَبةَ بنِ سَيْرٍ
وَقَد عَلِقت بِثَعلَبَةَ العَلاق (٦)

أى : " وسائلة عن ثعلبة " .

٣٢ ـ وَقال " الأخطلُ "

دَع المُعَمَّرَ لا تَسألْ بِمَصرَعِهِ
وَاسألْ بِمَصقَلَةَ البَكرِيِّ مَا فَعَلا (٧)

أى لا تَسأل عَن مَصرَعه . وَاسأل عن مصقلة .. مافعلا .

٣٣ ـ ومنه قولهم : سألت به ، إنما أرادَ عنه (٨)

وجاء فى المخصص ١٤ / ٦٥ : " ومهما رأيت الباء بعد سألت أو ساءلت فاعلم أنها موضوعة موضع "عن" .

---

(١) الأزهية ٢٨٥ ـ شعر النابغة الجعدى ٩٢
(٢) أمالى الشجرى ٢ / ٢٧٠ ـ ٢٧١ ـ الأزهية ٢٨٥ ، ديوان النابغة ٣٩ ورواية الديوان : " بيوم الجليل " .
(٣) أمالى الشجرى ٢ / ٢٧٠ ـ ٢٧١ ـ ديوان عنترة ١٤٩
(٤) تهذيب اللغة ١٥ / ٦١٤ ـ المخصص ١٤ / ٦٥ وفيه " طب " مكان "بصير" ـ همع الهوامع ٤ / ١٦١ ـ ديوان علقمة الفحل ١٢ عن محقق الهمع.
(٥) المخصص ١٤ / ٦٥ ـ شعر ابن احمر ٧٦
(٦) الصاحبى ١٣٣ ـ الاصمعيات ٢٣٥ ـ اللسان " سير " .
(٧) المخصص ١٤ / ٦٥ ـ ديوان الاخطل ١ / ١٥٧ ط دمشق .

د ـ دخول " الباء " مكان " فى " مع النكرة والمعرفة : (١)

٣٤ ـ قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا فِيهِ "(٢)

أى : " للذى فى مكة " .

٣٥ ـ وقال الله ـ تبارك وتعالى ـ " وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ "(٣)

أى :"نصركم الله فى بدر " .

٣٦ ـ وقال الله ـ تبارك وتعالى ـ : إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ"(٤)

أى : " يأتمرون فيك " .

٣٧ ـ وقال الله ـ تبارك وتعالى ـ : " وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ "(٥)

أى : "وفى الليل " .

٣٨ ـ وقال الله ـ تبارك وتعالى ـ : " وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ "(٦)

أى : " فى الأسحار " .

٣٩ ـ وقال الله ـ تبارك وتعالى ـ : " إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ "(٧)

أى : " نجيناهم فى سحر " .

٤٠ ـ وقال الله ـ تبارك وتعالى ـ : " بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ " (٨)

أى : فى أيكم " .

٤١ ـ وقال " الأعشى ميمون بن قيس " :

مَا بُكَاءُ الْكَبِيرِ بِالأَطْلَالِ .. وَسُؤَالِى وَمَا تَرُدُّ سُؤَالِى(٩)

أى : " فى الأطلال " .

---

(١) تهذيب اللغة ٦١٤/١٥ ـ الصاحبى ١٣٤ ـ الأزهية ٢٨٦ ـ المخصص ٦٧/١٤ ـ فقة اللغة ٢٢٧ ـ ٢٢٨ ـ أمالى الشجرى ٢٧١/٢ ـ الرضى على الكافية ٣٢٨/٢ الجنى الدانى ١٠٤ ـ المغنى ٩٧/١ ـ همع الهوامع ١٥٨/٤ ـ الإتقان ٢٠٧/١ البرهان ٢٥٦/٤ ـ ٢٥٧ .

(٢) من الآية ٩٦ سورة آل عمران . (٤) من الآية ٢٠ سورة القصص .

(٣) من الآية ١٢٣ سورة آل عمران . (٥) الآيتان ١٣٧ ـ ١٣٨ الصافات .

(٦) الذاريات " آية ١٨ . (٧) من الآية ٣٤ سورة القمر .

(٨) القلم آية ٦

(٩) تهذيب اللغة ٦١٤/١٥ ـ الصاحبى ١٣٤ وفيه : فيهل " مكان " وما " المخصص ٦٧/١٤ ـ فقه اللغة ٢٢٧ ـ ٢٢٨ ـ الرضى على الكافية ٣٢٨/٢ ـ الديوان ٦ ط بيروت ـ ١٩٥ .

٤٢ ـ وقال " الشماخ بن ضرار " يصف عيرا وأتنه :

وَهُنَّ وُقوفٌ يَنتَظِرنَ قَضاءَهُ ∴ بِضاحي غَداةِ أَمرَهُ وَهوَ ضامِزُ (١)

أى : " فى ضاحى غداة " .

٤٣ ـ وقال " الآخر " :

وَلَيلٍ كأنَّ نُجومَ السَّمــا .. ءِ بِهِ مُقَلٌ رَنَّقَت لِلهُجُــــوعِ (٢)

أى : " فيه "

٤٤ ـ وقال : آخر :

إنَّ الرَّزِيَّةَ لا رَزِيَّةَ مِثلُها .. أخَواىَ إذ قُتِلا بِيَومٍ واحِـــدِ (٣)

أى " فى يوم واحد " .

٤٥ ـ وَمِن هَذا قَولُهُم : لا خَيرَ بِخَيرٍ بَعدَهُ النّارُ " (٤)

قيل : إنَّها بمعنى " فى " أى : " فى خير "

هـ ـ دخول " الباء " مكان " اللام " (٥)

٤٦ ـ قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ : " إِنَّكُم ظَلَمتُم أَنفُسَكُم بِاتِّخاذِكُم العِجلَ " (٦)

أى : " لاتخاذكم العجل " .

ـ وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ : " فَبِظُلمٍ من الَّذينَ هَادُوا " (٧)

أى : " لظلم من الذين هادوا " .

---

(١) البرهان فى علوم القرآن ٢٥٦/٤ ـ ٢٥٧ اللسان ـ ضمز ـ الديوان ١٧٧ ط دار المعارف وفيه " عداة " مكان " غداة " .

(٢) جاء غير منسوب فى فقه اللغة وأسرار العربية ٢٢٨ ،ولم أهتد إلى قائله.

(٣) جاء غير منسوب فى أمالى الشجرى ٢٧١/٢ ـ الأزهية ٢٨٦ ،ولم أهتد إلى قائله .

(٤) المغنى ١٠٢/١

(٥) المخصص ٦٩/١٤ ـ همع الهوامع ١٦٠/٤ ـ البرهان ٢٥٦/٤ ـ الجنى الدانى ١٠٤

(٦) من الآية ٥٤ سورة البقرة .

(٧) من الآية ١٦٠ سورة النساء .

٤٨ ـ وقال الله سبحانه وتعالى ـ : " فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ "(١)
أي : " أخذنا لذنبه " .

٤٩ ـ وقال " لبيد بن ربيعة العامري " :
غُلْبٌ تَشَذَّرُ بِالذُّحُولِ كَأَنَّهَا .:. جِنُّ البَدِيِّ رَوَاسِيًا أَقْدَامُهَا (٢)
أي : تشذر للذحول " والمعنى تتهيأ للثأر
وجاء في الجنى الداني ١٥٤ ولم يذكر الاكثرون باء التعليل استغناء
بباء السببية ؛ لأن التعليل والسبب عندهم واحد .

و ـ دخول " الباء " مكان " من " .(٣)

٥٠ ـ قال الله ـ عز وجل ـ : " وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ "(٤)
أي : وامسحوا من رؤوسكم " .

٥١ ـ وقال الله ـ عز وجل ـ : عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ (٥)"
أي : " عينا يشرب منها " .

٥٢ ـ وقال " عنترة " :
شَرِبَتْ بِمَاءِ الدُّحْرُضَيْنِ فَأَصْبَحَتْ .. زَوْرَاءَ تَنْفِرُ عَنْ حِيَاضِ الدَّيْلَمِ (٦)
أي : " شربت من ماء " .

٥٣ ـ وقال " أبو ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي " :
شَرِبْنَ بِمَاءِ البَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ .. مَتَى لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنَّ نَئِيجُ (٧)
أي : " شربن من ماء البحر " .

---

(١) من الآية ٤٠ سورة العنكبوت .
(٢) المخصص ٦٩/١٤ ـ اللسان شذر ـ الديوان ١٧٧ دار صادر ببيروت .
(٣) الصاحبي ١٣٣ ـ المخصص ٦٧/١٤ ـ فقه اللغة ٢٢٧ ـ أمالي الشجري ٢٧٠/٢ ـ الرضي على الكافية ٣٢٨/٢ ـ المغني ٩٨/١ ـ همع الهوامع ١٥٩/٤ ـ ١٦٠ ـ الإتقان ٢٠٧/١ ـ البرهان ٢٥٧/٤ ـ تأويل مشكل القرآن ٥٧٥ ـ الأزهية ٢٨٣ ـ الجنى الداني ١٠٦ .
(٤) من الآية ٦ سورة المائدة .
(٥) من الآية ٦ سورة الإنسان .
(٦) الصاحبي ١٣٢ ، والديوان ١٤٧ ، ورواية المخصص ٦٧/١٤ ، وأمالي الشجري ٢٧٠/٢ : " شربن " تأويل مشكل القرآن ٥٧٥ ـ الأزهية ٢٨٣ .
(٧) المخصص ٦٧/١٤ وفيه : " تصيدت " ـ أمالي الشجري ٢٧٥/٢ ـ المغني ٩٨/١ ، همع الهوامع ١٥٩/٤ ورواية الديوان ٥١ : " تروت بماء البحر " وعلى هذا لا دليل فيه ـ تأويل مشكل القرآن ٥٧٥ ـ الأزهية ٢٨٤ ـ الجنى الداني ١٠٧

٥٤ – وقال " عمر بن أبى ربيعة " وينسب لجميل بن معمر ، وغيره :

قَلثَمْتُ فَاهَا آخذاً بقُرُونِها .. شربَ النَّزِيفِ بِبَرْدِ مَاءِ الحَشْرَجِ (١)

أى : " من برد ماء الحشرج " .

هذا وقد دخلت "الباء" مكان " مع " فى القرآن الكريم ، والشعر العربى وما حكى عن العرب ، ولم أذكر أمثلته لاختلاف النحاة فى حرفية " مع " .

---

(١) الجنى الدانى ١٠٧ – المغنى ٩٨/١ – همع الهوامع ١٥٩/٤ – ديوان عمر بن أبى ربيعة ٨٣ نقلا عن محقق الهمع ، اللسان حشرج منسوبا لعمر بن أبى ربيعة وعلق عليه بقوله : قال " ابن برى " البيت لجميل بن معمر ، وليس لعمر بن أبى ربيعة .

قلت : لم أقف على البيت فى ديوان جميل بن معمر " ط بيروت ١٩٥٣ ، ووجده محقق الجنى الدانى فى شعر عمر بن أبى ربيعة ملحقات الديوان ٤٨٨ وشعر عروة بن أذينة ٤٠٩ .

" علـــــــى "[1]

على الجارة حرف يدل أصلا على الاستعلاء الحقيقى ، مثل قول الله ـ عز وجل ـ " وعَلَيها وَعلَى الفُلكِ تُحمَلُونَ "(٢) أو الاستعلاء المجازى ، مثل قولــه ـ سبحانه وتعالى ـ : تِلكَ الرُّسلُ فَضّلنَا بَعضَهُم على بَعضٍ "(٣)

ومـمـــا قيل فيه بدخول " على " مكان حرف آخر من حروف الجـــر

أ ـ دخول " على " مكان " الباء " : (٤)

٥٥ ـ قال الله ـ عز وجل ـ : " حَقِيقٌ عَلَى أَن لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الحَقّ(٥) "
أى : " حَقِيقٌ بِقَولِه الله " وقرأ " أُبَيّ بنُ كَعب .. رضى الله عنه بها (٦)

٥٦ ـ وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ : " وَمَا هُوَ عَلَى الغَيبِ بِظَنِينٍ (٧) "
فى قراءة " ابن كثير " و " ابى عمرو " و " الكسائى " و " رويس " بالطاء المشالة .
أى بظنين بالغيب " .

٥٧ ـ وقال " امرؤ القيس بن حجر الكندى " وينسب لغيره :
بِأَىِّ عَلاقَتِنا تَرغَبـــو .. ن عَن دَم عَمرٍوعَلى مرثـــد (٨)
أراد : " ترغبون عن دم " عمرو" بدم " مرثد"

---

(١) سيبويه ٤ /٢٣٠ ـ معانى القرآن للفراء ٣٦٨/١ ـ المقتضب ٤٦/١ ـ ٤٢٦/٤ ـ معانى الحروف ١٠٧ : ١٠٩ ـ الأزهية ٢٧٧ : ٢٧٨ المخصص ٦٥/١٤ : ٦٨ ـ ابن يعيش ٣٧/٨ ـ الرضى على الكافية ٣٤٣/٢ ـ المغنى ١٢٥/١ ـ الجنى الدانى ٤٤٤ همع الهوامع ١٨٥/٤ .

(٢) المؤمنون آية ٢٢ .

(٣) من الآية ٢٥٣ سورة البقرة .

(٤) معانى الحروف ١٠٨ ـ الخصائص ٣١٢/٢ ـ الأزهية ٢٧٧ ـ ٢٧٨ ـ المخصص ٦٨/١٤ أمالى الشجرى ٢٦٩/٢ ـ المغنى ١٢٦/١ ـ الجنى الدانى ٤٤٥ ـ الهمع ١٨٧/٤

(٥) من الآية ١٠٥ سورة الأعراف .

(٦) نسب الفراء القراءة فى معانى القرآن ٣٨٦/١ لعبد الله ، أراه ابن مسعود ومعانى القرآن ــــ أقدم مصدر نقلت عنه هذه القراءة ،

(٧) التكوير آية ٢٤ وانظر إتحاف فضلاء البشر ٤٣٤

(٨) الديوان بشرح الأعلم ٣٤٦ ط الجزائر ١٣٩٤ هـ ـ الأزهية ٢٧٧

٥٨ ــ وقال " عوف بن الخرع " :
شدّوا المطى على دَليلٍ دائبٍ .. مِن أهلِ كاظمةٍ بِسيفِ الأبحُرِ (١)
أى " بدليل دائب " .

٥٩ ــ وقال أبو ذؤيب الهذلى " :
وكأنّهنّ ربابةٌ وكأنّه .. يَسَرٌ يُفيضُ على القداح ويَصدَعُ (٢)
أى يفيض بالقداح " .

٦٠ ــ وقال " عمر بن أبى ربيعة " :
فقالت على اسمِ اللّهِ أمرُكَ طاعةٌ
وإن كُنتُ قد كُلِّفتُ ما لم أُعَوَّدِ (٣)
أى : " فقالت باسم الله " .

٦١ ــ " رَميتُ على القوس " يُريدون : بالقوس .
٦٢ ــ " جئت على حال حسنة " يريدون : بحال حسنة (٤).
٦٣ ــ " اركب على اسمِ الله " يريدون : باسم الله (٥) .

---

(١) الخصائص ٣١٢:٢ ــ اللسان دَلل ــ الاقتضاب ٤٤٩ عن شيخى المرحوم محمد على النجار .
(٢) الأزهية ٢٧٧ ــ المخصص ٦٨/١٤ ــ أمالى الشجرى ٢٦٩/٢ ــ ديوان الهذليين ٦/١ المعانى الكبيرة ١١٧١/٣ .
(٣) معانى الحروف ١٠٩ ــ الديوان ١١٣ ط بيروت دار صادر
(٤) معانى القرآن للفراء ٣٨٦/١ .
(٥) المخصص ٦٨/١٤ ــ أمالى الشجرى ٢٦٩/٢ ــ المغنى ١٢٦/١ ــ الجنى الدانى ٤٤٦ وعن محققه أدب الكاتب ٥٤٤ ــ منهج السالك ٢٥٠ .

ب ـ دخول " على " مكان " عن "(١).

٦٤ ـ قال القُحَيف العُجَيلي " يمدح " حكيم بن المسيب القشيري " :

إذا رَضِيَت عَلَيَّ بَنُو قُشَير .. لَعمرُ اللّهِ أعْجَبَنِي رِضاها(٢)

أي : " إذا رضيت عني " .

٦٥ ـ وقال " عدى بن زيد " وينسب لرجل من الأنصار " .

في لَيلةٍ لا نَرَى بِها أحدًا .. يَحكِي عَلَينَا إلاَّ كَواكِبُها(٣)

أي : " يحكي عنا " .

٦٦ ـ وقال : دوسر بن غسان اليربوعي " .

إذا ما امرُؤ وَلَّى عَلَيَّ بِوُدِّه

وأدبَر لم يُصدَر بإدبارِه وُدِّي(٤)

أي : " ولى عني " .

٦٧ ـ وقال " حميد الأرقط " :

أرمِي عَلَيها وَهِي فَرعٌ أجمَع(٥)

أي : " أرمي عنها " .

---

(١) سيبوية ٢٢٦/٤ ، معاني القرآن ٣٨٦/١ ـ الغريب المصنف ورقة ٢٣١/أ ـ المقتضب ٣١٨/٢ : ٣١٩ ـ الخصائص ٣١١/٢ ـ الأزهية ٢٧٦، ٢٧٧ ـ المخصص ٦٥/١٤ أمالي الشجري ٢٦٩/٢ ـ الجنى داني ٤٤٥ ـ المغني ١٢٦/١ ـ همع الهوامع ١٨٦/٤ ـ الرضى على الكافية ٣٤٠/٢ ـ البرهان ٢٨٦/٤ .

(٢) الغريب المصنف ٢٣١/أ ـ المقتضب ٣١٨/٢ ـ ٣١٩ ـ الخصائص ٣١١/٣ ـ ٣٨٩ ـ المخصص ٦٥/١٤ ـ أمالي الشجري ٢٦٩/٢ ـ المغني ١٢٦/١ ـ همع الهوامع ١٨٦/٤ ـ الرضى على الكافية ٣٤٢/٢ ـ البرهان ٢٨٦/٤ ـ الأزهية ٢٧٧ ـ الجنى الداني ٤٤٥ .

(٣) المغني ١٢٦/١ وجاء في ديوان عدى بن زيد ١٩٤ رابع أربعة أبيات نسبت له ولغيره .

(٤) الخصائص ١١١/٢ ، الاقتضاب للبطليوسي ، وشرح أدب الكاتب للجواليقي ٣٥٥ عن محقق الخصائص .

(٥) ابن سيبويه ٢٢٦/٤ ـ الخصائص ٣٠٧/٢ الأزهية ٢٧٦ ـ المخصص ٦٥/١٤ ـ أمالي الشجري ٢٦٩/٢ وعن محقق الأزهية أمالي المرتضى ٣٥١/١ .

وحكى عن العرب :

٦٨ - " رميت على القوس " يريدون : عن القوس " (١)

٦٩ - " رضيت عليك " يريدون : عنك (٢)

<u>جـ - دخول " على " مكان " في " :</u> (٣)

٧٠ - قال الله - تبارك وتعالى - : " وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ (٤) "

أي : " في ملك سليمان " .

٧١ - وقال الله - عز وجل - : " وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا (٥)

أي : " في حين غفلة " .

٧٢ - وقال " الأعشى " :

وَصَلِّ عَلَى حِينِ الْعَشِيَّاتِ وَالضُّحَى

وَلَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهَ فَاعْبُدَا (٦)

أي : " في حين العشيات " :

وحكى عن العرب :

٧٣ - " أتيته على عهد فلان " يريدون : في عهده (٧)

٧٤ - " كان هذا على عهد فلان " يريدون : في عهده (٨)

<u>د - دخول " على " مكان " اللام "</u> (٩)

٧٥ - قال الله - جل وعلا - : " وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ " (١٠)

٧٦ - وقال الله - تبارك وتعالى - : لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ " (١١)

أي : " لهدايته إياكم " .

---

(١) معاني القرآن ٣٨٦/١ .

(٢) الغريب المصنف ورقة ٢٣١/ أ .

(٣) معاني القرآن ٣٢٤،٦٣/١ - الأزهية ٢٧٥ - المخصص ٦٧/١٤ - أمالي الشجري ٢٦٨/٢ - الجنى الداني ٤٤٥ - المغني ١٢٦/١ - همع الهوامع ١٨٦/٤ - البرهان ٢٨٤/٤ - الاتقان ٢١٤/١ .

(٤) من الآية ١٠٢ سورة البقرة .

(٥) من الآية ١٥ سورة القصص .

(٦) سيبويه ٥١٠/٣ - المقتضب ١٢/٣ - الأزهية ٢٧٥ - أمالي الشجري ٢٦٨/٢ ، وعلى رواية سيبويه والمقتضب - والديوان ١٣٧ لاشاهد فيه ورواية الديوان للشطر الأول ∴ وذا النصب المنصوب لا تنسكنه ∴

(٧) الأزهية ٢٧٥ - أمالي الشجري ٢٦٨/٢ .

(٨) المخصص ٦٧/١٤

(٩) المخصص ٦٦/١ - ٦٨ - الجنى الداني ٤٤٥ - المغني ١٢٦/١ - البرهان ٢٨٤/٤ الهمع ١٨٧/٤ - الإتقان ٢١٤/١ .

(١٠) من الآية ١٨٥ سورة البقرة .

(١١) من الآية ٣٧ سورة الحج .

٧٧ - وقال " عمرو بن معديكرب "

عَلامَ تَقولُ الرُّمحُ يُثقِلُ عاتِقي
إذا أنا لَم أطعُن إذا الخَيلُ كَرَّتِ (١)

أى : " لِمَ تقول " .

٧٨ - وقال " الراعى " :

رَعَتْهُ أشهُرًا وَخلاَ عَلَيها
فَطارَ النَّيُّ فيها وَاستَطارا (٢)

أى : " خَلا لَها " .

وحُكِى عَنهُم :

٧٩ - " صِفْ عَلَىّ " يريدون : صِفْ لِى (٣)

هـ - دخول " على " مكان " من " (٤) :

٨٠ - قال الله - سبحانه وتعالى - : " فَآخرَانِ يَقومانِ مَقامَهُما مِنَ الذين استَحقَّ عَليهِم الأولَيانِ (٥) "

أى : " منهم الأوليان " . والذى فى معانى القرآن ٣٢٤/١ " فيهم " ولم أجده فى غيره .

٨١ - وقال الله - عز وجل - : " وَإن مِنكُم إلاَّ وَارِدُها كانَ عَلى رَبِّكَ حَتمًا مَقضِيًّا (٦) " .

أى : " كان الورود حتما مقضيا من ربك " .

٨٢ - وقال الله - سبحانه وتعالى - : " وَالَّذينَ هُم لِفُروجِهِم حافِظونَ . إلاَّ عَلى أزواجِهِم أو مَا مَلَكَت أيمانُهُم " (٧) .

أى : " إلا من أزواجهم " .

٨٣ - وقال الله - جل وعلا - : الَّذينَ إذا اكتالُوا عَلى النَّاسِ يَستَوفونَ " (٨)

أى : " إذا اكتالوا من الناس " .

---

(١) المغنى ١٢٦/١ - الديوان ٥٥ ط مجمع اللغة العربية بدمشق .
(٢) المخصص ٦٦/١٤ - اللسان خلا .
(٣) المخصص ٦٨/١٤ .
(٤) معانى القرآن ٢٣١/٢ - ٢٤٦/٣ - الأزهية فى علم الحروف ٢٧٥ - ٢٧٦ - المخصص ٦٨/١٤ . أمالى الشجرى ٢٦٨/٢ ، ٢٦٩ - الجنى الدانى ٤٤٥ - المغنى ١٢٦/١ - همع الهوامع ١٨٦/٤ - البرهان ٢٨٥/٤ - الإتقان ٢١٣/١ .
(٥) من الآية ١٠٧ سورة المائدة .
(٦) مريم آية ٧١
(٧) الآيتان ٥ ، ٦ من سورة المؤمنون .
(٨) المطففين - آية ٢ .

٨٤ - وقال " أبو المُثَلِّم الهُذَلى " يصف كَتيبة :

مَتى ما تُنكِرُوها تَعرِفوهـــــا
على أقطارِها عَلَقٌ نَفيـــــثُ(١)

أى : " من أقطارها " . والعلق : الدم الجامد .

نفيث : منفوخ .

---

(١) ديوان الهذليين ٢٢٤/٣ ونسب فى المخصص ٦٨/١٤ لصخر الغى الهذلى ، والبيت لأبى المثلم يرد على " صخر " - ولأبى المثلم نسب فى الأزهية ٢٦

" عـــــــن " (١)

عن الجارة حرف يدل أصلا على المجاورة والبعد ، يقال : رمى عن القـــوس ، أى قذف عنها بالسهم وأبعده ، وبها يعدى عدد من الأفعال مثل ، عـــدل ونهى ، ونأى ، يقال : نأى عن الشر أى ابتعد عنه .

ومما قيل فيه بدخول " عن " مكان حرف آخر من حروف الجـــــر

أ ـ دخول " عن " مكان " الباء "(٢)

٨٥ ـ قال الله ـ عز وجل ـ " وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى "(٣)

أى : ماينطق بالهوى " .

٨٦ ـ وقال " امرؤ القيس " :

تَصدُّ وتُبدِى عَن أَسيلٍ وَتَتَّقِــــى
بِناظِرَةٍ مِن وَحشِ وَجرَةَ مُطفِــلِ (٤)

أى " تصد بأسيل " .

وحُكى عن العرب :

٨٧ ـ " رميت عن القـــوس " يريدون : بالقـــوس (٥)

٨٨ ـ " قمت عن أصحابـــى " يريدون : بأصحابـــى (٦)

---

(١) سيبويه ٢٢٦/٤ ـ معانى الحروف ٩٥ ـ الأزهية ٢٧٩ ـ المخصص ٦٥/١٤ ـ شرح المفصل ٣٩/٨ ـ الجنى الدانى ٢٦٠ ـ المغنى ١٢٩/١ ـ همع الهوامع ١٨٩/٤ ـ الرضى على الكافية ٣٤١/٢ .

(٢) معانى القرآن ٢٨٦/١ ـ معانى الحروف ٩٥ ـ الأزهية ٢٧٩ ـ المخصص ٦٥/١٤ ـ أمالى الشجرى ٢٦٩/٢ ـ البرهان ٢٨٧/٤ ـ الجنى الدانى ٢٦٣ ـ المغنى ١٣٠/١ ـ الهمع ١٩٠/٤ ، ١٩٢ .

(٣) النجم آية ٣ .

(٤) الأزهية ٢٧٩ ـ المخصص ٦٥/١٤ ـ الجنى الدانى ٢٦٥ ـ الديوان ٧٥ ـ بشرح الأعلم الشنتمرى ..

(٥) معانى القرآن ٣٨٦/١ ـ الأزهية ٢٧٩ .

(٦) الجنى الدانى ٢٦٤ نقلا عن رصف المبانى .

ب ـ دخول " عن " مكان " على "(١)

٨٩ ـ قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ " فَقالَ إنّى أحبَبتُ حُبّ الخَيرِ عَن ذِكرِ رَبّى حَتّى تَوارَت بالحِجاب (٢)
أى : " على ذكر ربى " .

٩٠ ـ وقال الله ـ عز وجل ـ : " وَمَن يَبخَل فَإنّمَا يَبخَلُ عَن نَفسِهِ ،وَاللّهُ الغَنِى وَأنتُمُ الفُقَراءُ "(٣)
أى : " على نفسه " .

٩١ ـ وقال " ذو الأصبع العدوانى " :
لاهِ ابنُ عَمّكَ لَا أفضَلتَ فِى حَسَبٍ
عَنّى وَلا أنتَ دَيّانِى فَتَخزُونِى (٤)
أى : " لا أفضلت فى حسب على " .

٩٢ ـ وقال " قيس بن الخطيم " :
لَو أنّكَ تُلقِى حَنظلاً فَوقَ بَيضِنَا
تَدحَرجَ عَن ذِى سَامِهِ المُتَقَارِبِ(٥)
أى : " على ذى سامه " ـ السام : عروق الذهب ،الواحدة سامة .
وبه سمى " سامة بن لؤى .

ج ـ دخول " عن " مكان " فى " (٦)

٩٣ ـ قال " الأعشى ميمون بن قيس " :
وَآسِ سَرَاةَ الحَىّ حَيثُ لَقِيتَهُم
وَلَا تَكُ عَن حَملِ الرِّبَاعَةِ وَانِيَا(٧)
أى : " فى حمل الرباعة " .

---

(١) سيبويه ٢٢٦/٤ ـ الغريب المصنف ورقة ٢٣١/أ ـ تهذيب اللغة ٢١٦/٣ ـ ٢١٧ ـ معانى الحروف ٩٥ ـ الأزهية ٢١٩ ـ المخصص ٦٧/١٤ ـ أمالى الشجرى ٢٦٩/٢ ـ الجنى الدانى ٢٦٢ ـ البرهان ٢٨٦/٤ ـ المغنى ١٢٩/١ ـ الهمع ١٩٠/٤

(٢) ص آية ٣٢ . (٣) من الآية ٣٨ سورة " محمد " .

(٤) تهذيب اللغة ٢١٦/٣ ـ معانى الحروف ٩٥ ـ الأزهية ٢٧٩ ـ المخصص ٦٧/١٤ ـ أمالى الشجرى ٢٦٩/٢ ـ الجنى الدانى ٢٦٢ ـ المغنى ١٢٩/١ ـ الهمع ١٨٩/٤ .

(٥) المخصص ٦٧/١٤ ـ الديوان ٨٦ ط بيروت ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م .

(٦) الجنى الدانى ٢٦٣ ـ المغنى ١٣٠/١ ـ الهمع ١٩١/٤ .

(٧) الجنى الدانى ٢٦٣ ـ المغنى ١٣٠/١ ـ الهمع ١٩١/٤ الديوان ٣٢٩ .

د ـ دخول " عن " مكان " اللام "(١):

٩٤ ـ قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : " وَمَا كَانَ استِغفَارُ إبراهِيمَ لِأبِيهِ إلَّا عَن مَوعِدَةٍ وَعَدَهَا إيَّاهُ "(٢)
أى : لِمَوعِدة وعدها إياه " .
٩٥ ـ وقال الله ـ جل وعلا ـ : " وَمَا نَحنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَولِكَ "(٣)
أى : " لقولك " .

هـ ـ دخول " عن " مكان " من "(٣)

٩٦ ـ قال الله ـ عز وجل ـ : " وَهُوَ الَّذِي يَقبَلُ التَّوبَةَ عَن عِبَادِهِ ، وَيَعفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ "(٤)
أى : " يقبل التوبة من عباده " .
٩٧ ـ وقال الله ـ تبارك وتعالى ـ : " أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنهُم أَحسَنَ مَا عَمِلُوا "(٥)
أى : " نتقبل منهم " .
٩٨ ـ وقال " ساعدة بن جُوَيَّة الهذلى " :
أَفَعَنكِ لا بَرقٌ كَأنَّ وَمِيضَهُ
غَابٌ تَشَيَّمَهُ ضِرامٌ مُثقَبُ(٦)
أى : " أَفَمِنكِ " .
وحُكِي عنهم :
٩٩ ـ " عنك جاء هذا " يريدون : منك (٧)
١٠٠ ـ " آخذت هذا عنك" يريدون : منك (٨)

(١) البرهان فى علوم القرآن ٢٨٧/٤ ـ الجنى الدانى ٢٦٣ ـ المغنى ١٢٩/١ ـ الهمع ١٩٠/٤ ـ الإتقان ٢١٤/١.
(٢) من الآية ١١٤ سورة التوبة . (٣) من الآية ٥٣ سورة هود .
(٣) الغريب المصنف ورقة ٢٣١/أ ـ تأويل مشكل القرآن ٥٧٧ ـ تهذيب اللغة ٢١٦/٣ الأزهرية ٢٧٨ ـ المخصص ٦٥/١٤ أمالى الشجرى ٢٦٩/٢ ـ البرهان ٢٨٧/٤ ـ المغنى ١٣٠/١ ـ الهمع ١٩٢/٤ ـ الإتقان ٢١٤/١.
(٤) من الآية ٢٥ سورة الشورى (٥) من الآية ١٦ سورة الأحقاف .
(٦) الغريب المصنف ٢٣١/أ ـ تهذيب اللغة ٢١٦/٣ وفيه " تَسَنَّمَهُ ضرام مُوقد " المخصص ٦٥/١٤ وفيه " تسنمه" ورواية الديوان ١٧٢/١ : " أفمنك " وعلى هذا لاشاهد فيه . (٧) الغريب المصنف ٢٣١/أ .
(٨) تأويل مشكل القرآن ٥٧٧ وجعلها سيبويه ٢٢٧/٤ على أصلها من الدلالة على المجاوزة ، فقال وتقول : أخذت عنه حديثا ، أى عدا منه إلىّ حديث .

" فـــــــــى "(1)

حرف الجر " فى " يدل أصلا على الوعاء والظرفية قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ " غُلِبَتِ الرُّومُ فى أدنى الأرضِ وَهُم مِن بَعدِ غَلَبِهِم سَيَغلِبُونَ فِى بِضعِ سِنِينَ " (2) وتقول : الرجل فى الدار ، واللص فى الحبس ، وتدل على الظرفية الحقيقية كما مثّل ، والمجازية مثل قوله الله ـ تبارك وتعالى ـ : " وَلَكُم فى القِصَاصِ حَيَاةٌ (3) " .

ومما قيل فيه بدخول " فى " مكان حرف آخر من حروف الجـــر

أ ـ دخول الحرف " فى " مكان " إلى "(4) :

101 ـ قال الله ـ عز وجل ـ : " أَلَم تَكُن أَرضُ اللَّهِ واسِعَةً فَتُهاجِروا فِيها " (5)

أى : " فتهاجروا إليها " .

102 ـ وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ : جَاءَتهُم رُسُلُهُم بِالبَيِّنَاتِ ،فَرَدُّوا أَيدِيَهُم فى أفواهِهِم " (6)

أى : " فردوا أيديهم إلى أفواههم .

103 ـ وقال " علقمة بن عبدة " :

طَحَا بِكَ قَلبٌ فى الحِسانِ طَرُوبُ
بُعَيدَ الشَّبابِ عَصرَ حانَ مَشِيبُ (7)

أى : " طحا بك قلب إلى الحسان " .

---

(1) سيبويه 226/4 ـ المقتضب 184/1 ـ 4 /139 ـ معانى الحروف 96 ـ الأزهية 267 ـ المخصص 66/14 ـ أمالى الشجرى 267 ـ شرح المفصل لابن يعيش 20/8 شرح الكافية للرضى 327/2 ـ الجنى الدانى 266 ـ المغنى 144/1 ـ البرهان 303/4 ـ الهمع 192/4 .

(2) سورة الروم الآيات 2 ، 3 ، 4 (3) من الآية 179 سورة البقرة

(4) الأزهية 271 ـ المخصص 66/14 ـ أمالى الشجرى 267/2 ـ الجنى الدانى 267 المغنى 146/1 ـ البرهان 303/4 ـ الهمع 193/4 ـ الإتقان 217/1 .

(5) من الآية 97 سورة النساء (6) من الآية 9 سورة إبراهيم

(7) أمالى الشجرى 267/2 .

- دخول الحرف " في " مكان " الباء " :(1)

١٠٤ - قال الله - عز وجل - : " فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ "(2)

أي : " يَذرؤكم به " .

١٠٥ - وقال " زيد الخير " :

وَيَرْكَبُ يَوْمَ الرَّوْعِ فِيهَا فَوَارِسٌ
بَصِيرُونَ فِي طَعْنِ الأَبَاهِرِ وَالْكُلَى(3)

أي : " بصيرون بطعن الأباهر " .

١٠٦ - وقال " الأعشى ميمون بن قيس " :

رَبِّي كَرِيمٌ لَا يُكَدِّرُ نِعْمَةً
فَإِذَا تُنُوشِدَ فِي الْمَهَارِقِ أَنْشَدَا(4)

أي "تنوشد بالمهارق "

١٠٧ - وقال الآخر :

وَخَضْخَضْنَ فِينَا الْبَحْرَ حَتَّى قَطَعْنَهُ
عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ غِمَارٍ وَمِنْ وَحْلِ(5)

أي : " خضخضن بنا البحر " .

١٠٨ - وقال ثالث :

وَأَرْغَبُ فِيهَا عَنْ عُبَيْدٍ وَرَهْطِهِ
وَلَكِن بِهَا عَنْ سِنْبِسٍ لَسْتُ أَرْغَبُ(6)

أي : " أرغب بها " .

١٠٩ - وقال الراجز : نَلُوذُ فِي أُمٍّ لَنَا مَا تُغْتَصَبْ(7).

أي " نلوذ بأم " أم هنا . جبل من جبلَي طيّئ .

(1) معاني القرآن ٣/٢٢ - تهذيب اللغة ١٥/٥٨٣ - الخصائص ٢/٣١٣ - الأزهية ٢٧١ - ٢٧٢ - المخصص ١٤/٦٦ - أمالي الشجري ٢/٢٦٧ - ٢٦٨ - الجنى الداني ٢٦٦ - ٢٦٧ - المغني ١/١٤٦ - الهمع ٤/١٩٣ - الإتقان ١/٢١٧ .
(2) من الآية ١١ سورة الشورى .
(3) الأزهية ٢٧١ - المخصص ١٤/٦٦ - أمالي الشجري ٢/٢٧٨ - الجنى الداني ٢٦٦ - ٢٦٧ - المغني ١/١٤٦ - الهمع ٤/١٩٣ .
(4) المخصص ١٤/٦٦ - اللسان والتاج "رهق" - الديوان ٢٢٩ وفيه " بالمهارق "
(5) الخصائص ٢/٣١٣ - الأزهية ٢٧٢ - المخصص ١٤/٦٦ - وعن محقق الخصائص الاقتضاب ٤٣٧ أدب الكاتب ٣٥٨ .
(6) تهذيب اللغة ١٥/٥٨٣ .
(7) الخصائص ٢/٣١٤ برواية تغتصب " بالغين المعجمة على البناء للمجهول يصفها بالمنعة ، وفي المخصص ١٤/٦٦ " تعتصب " أي لا تشد عليها العصابة .

١١٠ – قال الله – تبارك وتعالى – : " حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ "(٢)
أي : " حتى إذا كنتم على الفلك " .

١١١ – وقال الله – عز وجل – : " فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ "(٣)
أي : " على جذوع النخل " .

١١٢ – وقال الله – جل وعلا – : " فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا (٤)" .
أي : " من على النار " .

١١٣ – وقال الله – سبحانه وتعالى – : " أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٥)" .
أي : " يستمعون عليه " .

١١٤ – وقال " عنترة " :

بَطلٌ كأنَّ ثيابَه في سَرحةٍ
يُحذَى نِعالَ السِّبتِ ليس بتَوأَمِ (٦)

أي : " كأن ثيابه على سرحة " .

١١٥ – وقال " سويد بن أبي كاهل "

هُم صَلبوا العَبديَّ في جِذعِ نَخلةٍ
فلا عَطَسَتْ شَيبانُ إلَّا بأَجدَعا (٧)

أي : " على جذع نخلة .

١١٦ – وقالت امرأة من العرب :

وَنَحنُ صَلبْنا الناسَ في جِذعِ نَخلةٍ
وَلَا عطبت شَيبانُ إلا بأجذَعِ (٨)

أي "على جذع نخلة "

وحُكي عن العرب :

١١٧ – لا يدخل الخاتم في أصبعي .. يريد : لايدخل على اصبعي ، أو لا يدخل أصبعي فيه (٩)

(١) الغريب المصنف ٢٣١/أ – تأويل مشكل القرآن ٥٦٧ – المقتضب ٣١٨/٢ – تهذيب اللغة ٥٨٣/١٥ – الخصائص ٣٠٣/٣ – معاني الحروف ٩٦ – فقه اللغة للثعالبي ٢٣٦ – الأزهية ٣٦٨ – المخصص ٦٤/١٤ – أمالي الشجري ٢٦٧/٢ – البرهان ٣٠٣/٤ – الجنى الداني ٢٦٦ – المغني ١٤٥/١ – الهمع ١٩٣/٤ – الإتقان ٢١٧/١

(٢) من الآية ٢٢ سورة يونس . (٣) من الآية ٧١ سورة طه .

(٤) من الآية ٨ سورة النمل . (٥) من الآية ٣٨ سورة الطور .

(٦) تأويل مشكل القرآن ٥٦٧ – تهذيب اللغة ٥٨٣/١٥ – معاني الحروف ٩٦ – الخصائص ٣١٢/٢ – المخصص ٦٤/١٤ – المغني ١٤٥/١ – الديوان ١٥٢ .

(٧) تأويل مشكل القرآن ٥٦٧ – المقتضب ٣١٨/٢ – الخصائص ٣١٢/٢ – فقه اللغة ٢٣٦ – الأزهية ٢٦٨ – المخصص ٦٤/١٤ – أمالي الشجري ٢٦٧/٢ – المغني ١٤٥/١

(٨) شرح المفصل لابن يعيش ٢١/٨ ولعل المرأة تدعو هي الأخرى على شيبان – كما دعا " سويد بن أبي كاهل " .

(٩) الغريب المصنف ٢٣١/أ – المخصص ٦٤/١٤ .

د ـ دخول الحرف " فى " مكان " عن " : (١)

١١٨ ـ قال الله ـ عز وجل ـ : " وَمَن كَانَ فِى هَذِهِ أَعمَى فَهُوَ فِى الآخِرَةِ أعمَى " (٢)

أى : " فهو عن الآخرة أعمى "

هـ ـ دخول الحرف " فى " مكان " اللام " (٣) :

١١٩ ـ قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : " لَولَا كِتَابٌ من اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُم فِيمَا أَخَذتُم عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤) " :

أى : " لمسكم لما أخذتم فيه " .

١٢٠ ـ وقال الله ـ عز وجل ـ : " قَالَت فَذَلِكُنَّ الَّذِى لُمتُنَّنِى فِيهِ " (٥)

أى : " لمتننى لأجله .

١٢١ ـ وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ : " لَمَسَّكُم فِيمَا أَفَضتُم فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ " (٦)

أى : " لمسكم لما أفضتم فيه " .

١٢٢ ـ وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " دَخَلَت امرَأَةٌ النَّارَ فِى هِرَّةٍ حَبَسَتهَا " (٧) .

أى : " لأجل هرة " .

١٢٣ ـ وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " فى النَّفسِ مائة من الإبلِ " (٨) .

أى : " للنفس " .

١٢٤ ـ وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " الحُبُّ فى اللَّهِ والبُغضُ فى اللَّهِ من الإيمان (٩) " .

أى : " الحب لله والبغض لله .

---

(١) البرهان ٣٠٤/٤ ـ الإتقان ٢١٧/١ .

(٢) من الآية ٧٢ سورة الإسراء .

(٣) البرهان ٣١٢/٤ ـ الجنى الدانى ٢٦٦ ـ المغنى ١٤٥/١ ـ الهمع ١٩٤/٤ ـ الإتقان ٢١٧/١ .

(٤) الأنفال آية ٦٨ . (٥) من الآية ٣٢ سوره يوسف .

(٦) من الآية ١٤ سورة النور .

(٧) صحيح البخارى كتاب بدء الخلق باب إذا وقع الذباب ١٠٠/٤ ط تركيا . صحيح مسلم كتاب الكسوف باب ماعرض على النبى صلى الله عليه وسلم ـ ص ٩٠٤ دار عيسى الحلبى .

(٨) سنن النسائى ـ كتاب القيامة باب ٤٦ ج ٥٢/٨ ـ تنوير الحوالك على موطأ مالك كتاب العقول باب ج ٥٨/٣

(٩) صحيح البخارى كتاب الإيمان باب ١ ج ٨/١ سنن أبى داود كتاب السنة باب ٣ حديث ٤٥٩٩ ج ٦/٥ مسند أحمد ١٤٦/٥ .

و ـ دخول الحرف " فى " مكان "من " (١).

١٢٥ ـ قال الله ـ جل وعلا ـ : " وَيومَ نَبعَثُ فى كُلِّ أُمَّةٍ شَهيدًا عَلَيهِم " (٢)
آى : " من كل أمة شهيدا " .

١٢٦ ـ وقال " امرؤ القيس " :

وَهَل يَعِمَنْ مَنْ كَانَ أَحدثُ عَهـــدِهِ
ثَلاثِينَ شَهرًا فى ثَلاثَةِ أَحــــوالِ (٣)

أى : " من ثلاثة أحوال " .

١٢٧ ـ وقال " امرؤ القيس " كذلك :

ألا أَيُّها اللَّيلُ الطَّويلُ ألا انْجَلِـــى
بِصُبحٍ وَما الإصباحُ فيكَ بِأَمثَـــلِ

أى : " منك بأمثل " .

---

(١) الأزهية ٢٧١ ـ المخصص ٦٨/١٤ ـ البرهان ٣٠٣/٤ ـ الجنى الدانى ٢٦٧ ـ المغنى ١٤٦/١ ـ الهمع ١٩٣/٤ ـ الإتقان ٢١٧/١ .

(٢) من الآية ٨٩ سورة النحل .

(٣) الخصائص ٣١٣/٢ ـ المخصص ٦٨/١٤ ـ الجنى الدانى ٢٦٧ ـ المغنى ١٤٦/١ ـ الديوان ٩٩

(٤) الجنى الدانى ٢٧١ وهى رواية الديوان ٨١ بشرح الأعلم الشنتمرى ط الجزائر .

" الكـــــــــــاف "(١)

حرف الجر " الكاف " يدل أصلا على التشبيه ،قال الله ـ تعالى ـ : أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ"(٢) وتقـــول: الجندى كالأسد " .

ومما قيل فيه بدخول " الكاف الجارة " مكان حرف آخر من حروف الجـــــــــر

أ ـ دخول حرف " الكاف " مكان " على " (٣):

١٢٨ ـ قال الله ـ عز وجل ـ : " فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ "(٤)
أى : " فاستقم على ما أمرت "(٥)

وحُكِى عن العــــــرب :

١٢٩ ـ كيف أصبحت ؟ فيقول : كخير ، يريد : على خير (٦) ..

١٣٠ ـ كن كما أنت ، يريد : على ما أنت عليه (٧)

١٣١ ـ دعه كما هو ، يريد : دعه على ماهو عليه (٨)

---

(١) سيبويه ٢١٧/٤ ـ معانى القرآن ٤٦٦/١ المقتضب ٧٧/١ ـ ١٤٠/٤ ـ معانـــى الحروف ٤٧ ـ شرح ابن يعيش على المفصل ٤٢/٨ ـ شرح الرضى على الكافيــــة ٣٤١/٢ ـ المغنى ١٥١/١ ـ الهمع ١٩٤/٤ .

(٢) سورة إبراهيم آية ٢٤ .

(٣) الجنى الدانى ١٣٦ ـ المغنى ١٥٢/١ ـ الهمع ١٩٥/٤ ـ الأزهية ٢٩٠ .

(٤) من الآية ١١٢ سورة هود .

(٥) الأزهية ٢٩٠ نقلا عن " الأخفش " فى كتاب " المسائل

(٦) الجنى الدانى ١٣٦ ـ المغنى ١٥٢/١ ـ الهمع ١٩٥/٤ وانظر معانى القرآن ٤٦٦/١ وحكاه دليلا على زيادة الكاف .

(٧) همع الهوامع ١٩٥/٤ .

(٨) الأزهية ٢٩٠ .

ب ـ دخول حرف " الكاف " مكان " اللام "(1):

ودخلت الكاف مكان اللام سواء لحقتها ما الزائدة أو المصدرية أم لم تلحقها ؟

١٣٢ ـ قال الله ـ عز وجل ـ : " كَما أَرْسَلْنَا فِيكُم رَسولًا مِنكُم يَتلُو عَليكُم آياتِنا "(2) .

أى : " لِأجل إرسالى فيكم رسولا منكم " .

١٣٣ ـ وقال الله ـ تبارك وتعالى ـ : " وَاذكرُوهُ كَما هَداكُم وَإن كُنتُم مِن قَبلِهِ لَمِن الضَّالِّين (3)" .

أى : " لهدايتكم " .

١٣٤ ـ وقال الله ـ جل وعلا ـ : " قَالوا يَامُوسى اجعَلْ لَنا إِلَـهًا كَمَا لَهُم آلِهَةٌ " (4) .

أى : " لأجل آلهتهم " .

١٣٥ ـ وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ : " وَيكَأَنَّهُ لا يُفلِحُ الكافِرونَ "(5)

أى : " لعدم فلاحهم " .

وحُكِي عن العرب :

١٣٦ ـ " كما أنه لا يعلم ، فتجاوز الله عنه " يريدون : " لأنه لايعلم(5)"

---

(1) سيبويه ١٤٠/٣ ـ الجنى الدانى ١٣٥ ـ المغنى ١٥١/١ ـ الهمع ١٩٤/٤ ـ ١٩٥ ـ البرهان ٣١٠/٤ ـ الإتقان ٢١٨/١ .

(2) من الآية ١٥١ سورة البقرة .

(3) من الآية ١٩٨ سورة البقرة .

(4) من الآية ١٣٨ سورة الأعراف .

(5) من الآية ٨٢ سورة القصص .

(5) الحكاية فى سيبويه ١٤٠/٣ لبيان أن "ما" لم تكف " الكاف " عن العمل فى "أنّ"

الأثر العربي في لغة الهوسا
"أنموذج من تأثير الأمثال العربية"

للدكتور مصطفى حجازي السيد حجازي
معهد البحوث والدراسات الافريقية

عرف العرب غرب أفريقيا عن طريق الهجرات الفردية والجماعية ، ويرى بعض الباحثين أن سكان هذه البلاد عرفوا الإسلام منذ القرن السابع الميلادى ، ولم يكن ذلك عن طريق الفتح الحربى والضغط والقهر ولكن عن طريق التجارة والمصاهرة والإندماج من الكتب والمدارس والمساجد[1]

وكان من أهم الآثار الثقافية التى تركها العرب فى هذه البلاد كتابة لغة الهوسا بالخط العربى المغربى ، الذى ظلت تكتب به حتى وصل الاستعمار البريطانى إليها ، فأنشأ داراً للنشر فى مدينة زاريا شمال نيجيريا ، واستعمل الحرف اللاتينى بدلا من الحرف العربى ، وبدأت حركة ناهضة للتأليف والترجمة ، وظهرت عشرات الكتب بالخط اللاتينى ، إلى جانب الصحيفة الأسبوعية التى رأس تحريرها الحاج أبو بكر إمام سنة ١٩٣٩ ، إلا أن هذا لم يقض على الخط العربى تماماً ، فقد ظل يستعمل فى المدارس الإسلامية التى تعرف فى هذه البلاد باسم المدارس القرآنية أو مدرسة المنزل ، وهى أشبه ما يكون بالكتاب فى مصر ، إلا أنه يدرس فيها القرآن والحديث والفقه الإسلامى وسائر العلوم الإسلامية الأخرى ، وتنتشر هذه المدارس انتشارا يثير الغبطة فى النفوس . ومن النادر أن تجد غلاما لا يذهب إلى إحدى هذه المدارس منذ طفولته ، فهو فى الصباح يذهب إلى المدرسة المدنية وفى المساء إلى المدرسة القرآنية .

وقد ساعد انتشار الإسلام إلى جانب الخط العربى على انتشار الأثر العربى فى لغة هذه البلاد ، فمن الواضح أن الدعوة الإسلامية فى تلك البلاد - كما هو الحال فى غيرها من البلاد الإسلامية - قد ارتبطت باللغة العربية لغة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ، وسار الاسلام واللغة العربية جنباً إلى جنب مع الجهاد فى سبيل نشر الدين وتوسيع رقعة البلاد الإسلامية فى أفريقيا ، واحترام المسلم الأفريقى للغة

(١) انظر د / إبراهيم على طرخان - الإسلام واللغة العربية فى غرب أفريقيا ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة المجلد السابع والعشرون ، ص ٥٧

العربية احتراما يقرب من التقديس ، لأنها لغة القرآن ، وبها يؤدى صلاته ويتلو القرآن ، وبواسطتها يتعلم علوم الدين .

وقد ساعد على انتشار اللغة العربية والتمسك بها . فضلا عن الجانب الدينى المرتبط بها ، أن الكثير من الشعوب الافريقية فى السودان الأوسط والغربى قد أدعى الأصول الشرقية العربية ، كما ساعد على ذلك أيضاً هجرة القبائل العربية إلى تلك البلاد واستقرارها فيها . وهذه الهجرات قديمة وسابقة على دخول الإسلام ، وازدادت بانتشار الإسلام ، مثل مجموعة القبائل العربية المعروفة فى إمبراطورية البرنو — (جزء من شرق نيجيريا حاليا) باسم « شوا » وهى التسمية التى أطلقها عليها البرنويون ويقال إنهم وصلوا عن طريق وادى النيل والشمال ، واشتهروا بالفروسية[1] .

ويمكن القول أن اللغة العربية حتى سيطرة الإستعمار الأوربى على هذه البلاد كانت هى اللغة الرسمية السائدة فى غرب أفريقيا ، فقد كانت لغة التفاهم إذا اختلفت اللغات وعز التفاهم ، وكانت لغة المراسلات بين الملوك والأمراء ، وبها تكتب المعاهدات والمواثيق ، كما كانت وسيلة الإتصال الوحيدة التى كان يستعملها القادة العسكريون فى الحرب العالمية الأولى مع الجنود الأفارقة : ولو تركت اللغة العربية وشأنها لتعربت هذه البلاد تماماً شأنها فى ذلك شأن السودان فى عصر محمد على ، والجزائر بعد الإستقلال ، ولكن الإستعمار وقف لذلك بالمرصاد ، رغبة منه فى تقطيع أواصر الصلة بين المشرق العربى والمغرب الإسلامى . وكانت بداية هذه الحركة هى محاولة القضاء على الخط العربى باستعمال الخط اللاتينى . إلا أنه لم ينجح إلا لفترة وجيزة ، فقد ظهرت حركة إعادة الخط العربى مرة أخرى ، على يد جماعة من أساتذة جامعة أحمدو بللو بزاريا ، إلى جانب ظهور الجمعيات الإسلامية التى تعمل على تشجيع التعليم الإسلامى .

وبعد الحرب العالمية الثانية ظهرت فى نيجيريا جمعيات إسلامية تهدف إلى مواجهة النشاط التبشيرى . وحماية أبناء المسلمين من الاضطرار إلى إعتناق المسيحية بإبعادهم من المدارس التبشيرية ، فأنشأت هذه الجمعيات كثيرا من المدارس ، منها المدارس الصغرى وهى أعلى قليلا من مستوى الكتاب ، ومنها المدارس النظامية الابتدائية ، والتى تختلف مدة الدراسة فيها من أربع إلى خمس سنوات ، ويلتحق بها إما خريجو الكتاتيب أو المدارس الصغرى ، ليتخرجوا منها كمعلمين بالكتاتيب أو المدارس الصغرى والابتدائية النظامية .

(١) انظر د — إبراهيم على طرخان ، المرجع السابق ص ٦٩

وإلى جانب هذه المدارس الإسلامية الأهلية، توجد بعض المعاهد والمدارس التابعة للحكومة وهى تعادل المعاهد الدينية الأزهرية فى مصر . منها :

١ – مدرسة الشريعة الكبرى فى مدينة كانو ، وتضم فرع الدراسات الإسلامية العالية فقط ، وهى أقدم مؤسسة تعليمية إسلامية فى مدينة كانو . وقد ضُمَّت إلى الإشراف الحكومى أو التبعية الكاملة لإدارة التعليم المحلى فى ولاية كانو ، وقد أسسها الشيخ محمد ناصر كبرا فى أوائل العشرينات برعاية أمير كانو ، ثم تحولت منذ عام ١٩٦١ إلى تبعية الإدارة المحلية الفعلية .

٢ – مدرسة العلوم العربية : فى كانو وفيها فرع للدراسات الإسلامية العالية ، وقسم للمعلمين ؛ وضُمَّت إلى وزارة التعليم فى مدينة كانو . وأنشئت على يد بعض السودانيين والوطنيين ، وكان إنشاء هذه المدرسة نتيجة لضغط الحاجة الملحة إلى تخريج قضاه شريعة للوحدات الإدارية الصغرى .

٣ – كلية المعلمين العربية : فى جوار فى ولاية كانو ، وقد أنشئت سنة ١٩٦٤ ضمن خطة لتخريج معلمى المدارس الابتدائية للولاية ، وتقتصر على قسم تخريج المعلمين .

٤ – كلية المعلمين العربية : فى سكوتو وهى صنو مدرسة العلوم العربية فى مدينة كانو ، ولكنها أنشئت بعدها ، وبها قسم للدراسات الإسلامية العالية ، وآخر للمعلمين

٥ – كلية السلطان أبى بكر : فى سكوتو وقد أنشئت حديثاً ، وبها قسم للدراسات الإسلامية العالية وآخر للمعلمين إفتتح فى عام ١٩٦٩

٦ – مدرسة المعلمين العربية : فى كتسينا وتقتصر على قسم المعلمين .

٧ – كلية سلطان برنو العربية : فى مايدوجرى وبها قسم للمعلمين ، ثم أنشئ بها قسم للدراسات الإسلامية العالية .

هذا إلى جانب أقسام اللغة العربية فى كثير من الجامعات مثل جامعة أحمدو بللو بزاريا ، وجامعة بايرو بكانو ، وجامعة إبادن، وجامعة سكوتو ، وهكذا أخذت اللغة العربية والدراسات الإسلامية تسترد أنفاسها ، وتعود إلى عهدها القديم ، يوم أن كانت لغة العلم والدرس، والخطابة والتأليف والأدب حيث كان يكتب بها علماء الدين أمثال الشيخ عثمان بن فوديو الذى ألف بها ما يزيد على الخمسين كتاباً ، كما ألف بها الإمام محمد بللو بن عثمان بن فوديو كتابه « إنفاق الميسور » وغيرهما كثيرون . ويمكن الرجوع فى ذلك إلى كتاب « الثقافة العربية فى نيجيريا » للدكتور على أبو بكر ، أو كتاب « حركة الأدب العربى فى نيجيريا » للدكتور أحمد سعيد جلادنشى ، وبهما قدر كبير من الشعر والنثر العربيين من إنشاء علماء نيجيريا ، وهذا يدل على مدى انتشار اللغة العربية فى هذه البلاد وما لها من أثر فى لغاتها ولا سيما لغة الهوسا .

ويبدو الأثر العربى فى لغة الهوسا أول ما يبدو فى أقتراض الكثير من الكلمات والعبارات العربية ، وخاصة ما يتعلق منها بالحضارة والدين الإسلامى ، إلى جانب الأدب بصورتيه الشعر والنثر .

ويتناول هذا البحث الأثر العربى فى قسم من أقسام النثر وهو الأمثال الشعبية ، وهى تشيع على كل لسان فى الهوسا بصورة تندر فى اللغات الأخرى ، فلا يكاد يتكلم الهوساوىء عدة دقائق حتى يرد على لسانه أكثر من مثل .

وكذلك لا تخلو صفحة من كتاب أدبى من مثل أو أكثر بل إن أكثر كتب الأدب الهوساوى تختار عناوينها من الأمثال الشعبية ونظرا لغموض الأمثال عادة — يجد القارئ صعوبة فى فهم النص إذا لم يفهم معنى ما يرد من أمثال .

وقد استطعت خلال إقامتى القصيرة فى مدينة كانو أن أجمع أكثر من ثلاثة آلاف ستمائة مثل هوساوى ، من مصادر مختلفة ، وهو عدد لم يتوفر لأى باحث حتى الآن ، وكان أهم هذه المصادر هو كتب الأدب الهوساوى وأفواه المتكلمين .

وقد لاحظت الأثر العربى واضحاً فى أكثر من مائة مثل ونظراً لضيق المساحة انتقيت من هذه الأمثـال عشرين مثلا كأنموذج يوضح جانبا من الأثر العربى فى لغة الهوسا ، وهذه الأمثال منها ما هو مأخوذ من القرآن الكريم والحديث ، ومنها ما أخذ من الأدب العربى ، والأمثال العامية :

وتسهيلا على القارئ عمدت إلى ذكر المثل الهوساوى ثم ترجمته إلى اللغة العربية مع مراعاة الإلتزام بالتركيب الهوساوى وهو قريب إلى التركيب العربى — حتى يسهل معرفة مدلول كل كلمة ، ثم الآية أو الحديث أو المثل الذى أخذ منه المثل الهوساوى ، وقد حاولت بقدر الإمكان أن أكتب الأمثال العربية العامية كما تنطق حتى لا أخرج عن نص المثل .

أولا : أمثال مصادرها الفصحى

(أ) أمثال مستقاه من القرآن الكريم

"Abin da mutum ya aikata shi zai gani"

« ما عمل الإنسان سيراه » وهو مأخوذ من قوله تعالى « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » .

معانى المفردات :

Abin da : ما ، mutum : الإنسان

ya aikata : عمل ، shi : هو ،

zai gani : سيرى .(سيجنى)

*

Abin da mutum ya shuka shi yake girbi, in hairan hairan in sharran sharran.

« ما يزرع الإنسان يحصده ، إن خيراً خيراً ، وإن شراً شراً . وهو مأخوذ من قوله تعالى « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره »

معانى المفردات :

Abin da : ما ، mutum : الإنسان ya shuka :

زرع ، Shi : هو ، yake girbi :

محصد ، in : إن ، hairan : خيراً
شراً : Sharran

Aiki da zato zunubi ne.

« العمل بالظن ذنب » . وهو مأخوذ من قوله تعالى : « إن بعض الظن إثم » .

معاني المفردات :

aiki : العمل ، da : ب ، zato الظن
zunubi : ذنب ، ne : بمعنى يكون .

(ب) أمثال مستقاة من الحديث النبوي الشريف .

Masoyinka ba ya ganin aibinka.

« حبيبك لا يرى عيبك »وهو مأخوذ من الحديث الشريف «حبك الشيء يعمي ويصم».

معاني المفردات :

mosoyi : حبيب ، n : رابطة تربط المضاف بالمضاف إليه ، ka : ضمير المخاطب ، ba : أداة نفي بمعنى لا ، yaganin : يرى ، aibinka : عيبك .

So hana ganin laifi.*

« الحب يمنع رؤية العيب »وهو مأخوذ من نفس الحديث النبوي السابق .

معاني المفردات :

So : الحب ، hana : المنع ، gani : رؤية ، laifi : رابطة للإضافة ، : العيب .

*
Zama da mai turare ya fi zama da makeri
Ko bai ba ka turare ka shafa ba , kaji
Kanshi Amma ak cri ko bai cuce ka ba
tartsatsin wuta yo cuce ka.

« الحياة مع صاحب العطر أفضل من الحياة مع الحداد ، فصاحب العطر إن لم يعطك عطراً لتتعطر فإنك تشم الرائحة الذكية ولكن الحداد إن لم يضرك هو ، ضرتك السنة لهب النار »وهو نفس الحديث النبوي الشريف الذي يقول : « مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير وإما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة » .

معاني المفردات :

zama : الحياة ، da : مع ، mai :
صاحب ، turare : العطر ، yafi :
فضل ، makeri : الحداد ، ko : إن ، bai :
لم ، baka : يعطيك ، kashafa : تتعطر
Kaji : تشم ، kanshi : رائحة طيبة
amma : أما ، cuce ka : يضرك
tartsatsi : ألسنة ، n : رابطة للإضافة ،
wuta : النار ، yacuceka : ضرك

(جـ) أمثال مستقاة من الأدب العربي

من الشعر :

Ba a shan zuma sai an sha harbi.

« لا يشرب الإنسان عسل النحل إلا إذا لدغ منه »وهو مأخوذ من قول المتنبي :

---

(١) K — تنطق قريبة من القاف العربية
(٢) C — تنطق مثل ch الإنجليزية في كلمة chair

« تريدين إدراك المعالى رخيصة
ولابد دون الشهد من إبر النحل »

معانى المفردات :

ba :أداة نفى بمعنى لا ، a shan : يشرب
zuma : عسل النحل ، Sai : إلا إذا ،
an sha : شرب ، harbi : لدغ النحل.

*

Dan halas ake zargi, bawa sai sanda.

« ابن الحلال يلام — وليس العبد
إلا العصا »وهو نفس قول الشاعر :

العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الملامة .

معانى المفردات :

Da : ابن ، halas : الحلال ،
ake zargi : يلام bawa : العبد ، sai :
إلا ، sanda. : العصا .

من النثر :

Da yawa ake zargin mutum ba laifinsa.

*

«كثيراً ما يلام الإنسان وليس عيبه»
وهو نفس المثل العربى الذى يقول رب ملوم
لا ذنب له » .

معانى المفردات :

da yawa : كثيراً ، ake zargi : يلام
n : رابطة تربط الفعل بالمفعول : mutum
الإنسان ، ba : ليس ، laifi : عيب
n : رابطة ، sa : ضمير الغائب فى حالة
الإضافة .

*

yawan magana ya kan kawo karya.

«كثرة الكلام عادة تجلب الكذب»
وهو قريب من قول القائل«من كثر كلامه
كثر سقطه » .

معانى المفردات :

yawa : كثرة ، n : رابطة ، magana :
الكلام ، kan : عادة ، ya kawo : يجلب
karya : الكذب .

*

ثانيا : أمثال مصدرها العامية :

Ba Karenka yunwa ya bi ka.

« أجع كلبك يتبعك»وهو نفسه مثل
عامى

معانى المفردات :

Ba : أعط ، kare : كلب ، n :
رابطة ، ka : ضمير المخاطب ، yunwa:
الجوع ، ya bi ka : يتبعك

*

A bar jaki a buga taiki.

« يترك الحمار ويضرب الغبيط »وهو
نفس المثل العامى الذى يقول : « يسيب
الحمار ويضرب البردعة » .

معانى المفردات :

a bar : يترك ، jaki : الحمار ،
abuga : يضرب ، taiki : الغبيط .

*

Ba a hayaki sai wuta.

« لا يكون دخان إلا بالنار» وهو نفس
المثل العامى « مفيش دخان من غير نار » .

(١) D – تنطق مثل الطاء فى اللغة العربية .

معانى المفردات :

ba : لا نافيه ، a : يكون ، hayaki : دخان ، Sai : إلا ، wuta : نار .

*

Bako makaho ne ko yana gani.

« الغريب أعمى ، ولو كان يرى » وهو نفس المثل العامى « الغريب أعمى ولو كان يبصر » .

معانى المفردات :

bako : الغريب ، makaho : أعمى ، ne : بمعنى يكون ، ko : ولو كان . yana gani : يرى

*

Biri a idon uwarsa barewa ne.

القرد فى عين أمه غزال«وهو نفس المثل العامى العربى .

معانى المفردات :

biri : القرد ، a : فى : ido : عين ، n : رابطة ، uwa : أم ، r : رابطة : sa ضمير الغائب فى حالة الإضافة ، barewa : غزال ، ne : بمعنى يكون

*

Hannu daya ba ta tafi

« يد واحدة لا تصفق » وهو نفس المثل العامى الذى يقول « إيد واحدة ماتسقفش »

معانى المفردات :

hannu : يد ، daya : واحده ، ba : لا نافية ، ta tafi : تصفق

*

Sai baki ya ci ido kan ji kunya

« إذا أكل الفم شعرت العين عادة بالحياء » وهو نفس المثل العامى الذى يقول « أطعم الفم تستحى العين »

معانى المفردات :

sai : إذا ، baki : الفم ، ya ci : أكل ، ido : عين ، kan : عادة ، ji : الشعور ، kunya : الحياء .

*

Im mafadan magana wawa ne mai ji yana da hankali.

« إن كان قائل الكلام مجنونا فالسامع عنده عقل » وهو نفس المثل العامى الذي يقول إذا كان المتكلم مجنون يكون المستمع عاقل » .

معانى المفردات :

im : إن ، mafada : المتكلم ، n : رابطة ، magana : الكلام ، wawa : مجنون ، ne : بمعنى يكون ، mai ji : المستمع ، yana da : يملك ، hankali : عقل .

*

Wanda ya tafi farauta 'aka farauce shi.

« الذى ذهب يصطاد ، صيد » وهو نفس المثل العامى الذى يقول « رحت اصطاد صادونى » .

معانى المفردات :

wanda : الذى ، ya tafi : ذهب ، farauce : الصيد ، aka farauce : صيدَ ، Shi : ضمير الغائب .

*

Zabi makwabci tun ba ka gina gida ba.

---

(١) d – تنطق مثل حرف الطاء فى اللغة العربية .

« اختر الجار قبل أن تبنى الدار »
وهو نص المثل العامى « الجار قبل الدار »

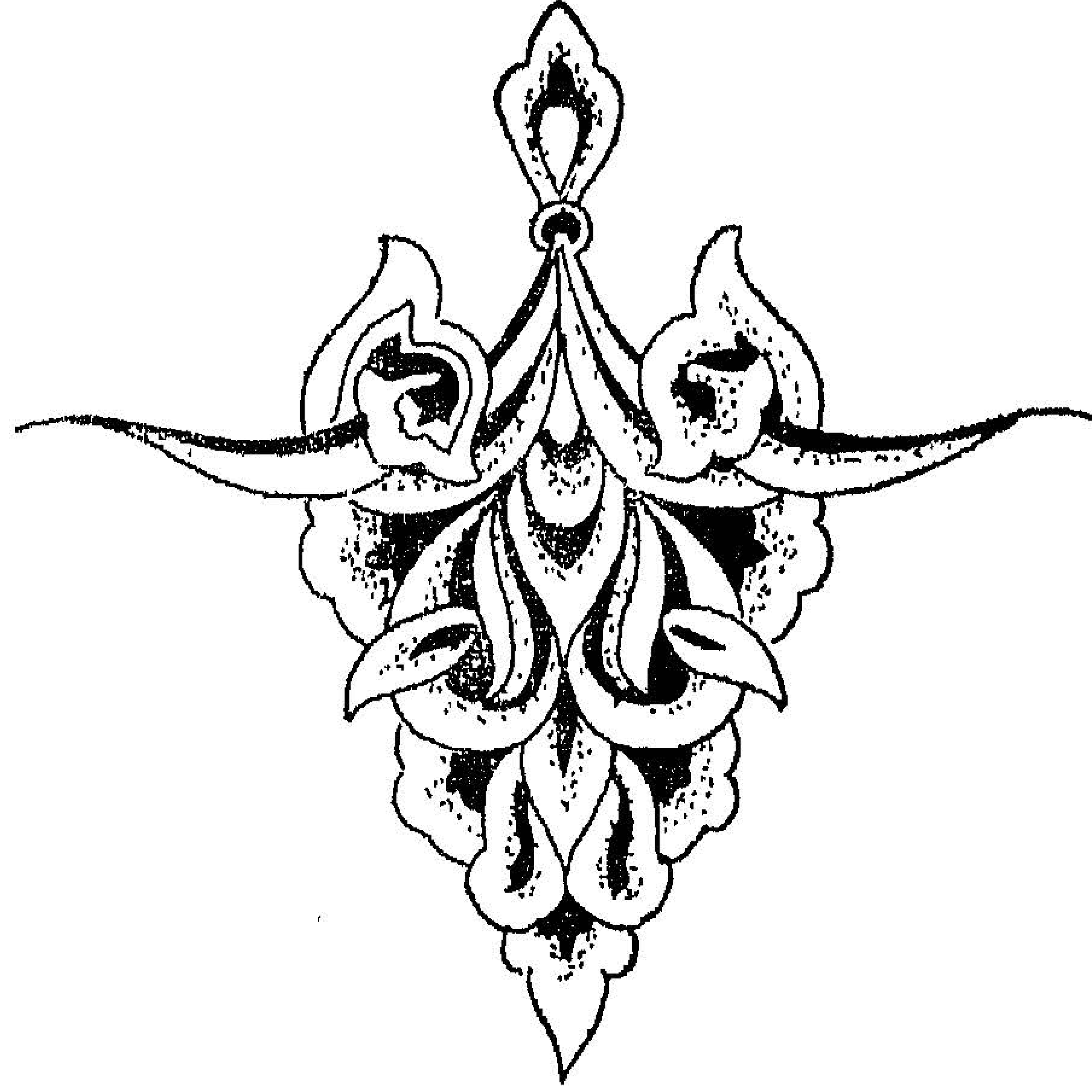
معانى المفردات :

zabi : أختر ، makwabci : الجار
gida تبنى : kagina ، قبل : tunba... ba
الدار .

ومن هذا العرض السريع نلاحظ أن انتقال الأمثال العربية إلى لغة الهوسا تم على مستويين ، المستوى الأول هو الفصحى ممثلة فى القرآن الكريم والحديث الشريف والأدب العربى بقسميه الشعر والنثر ، والمستوى الثانى هو العاميه حيث أختلط الهوسا بالمهاجرين العرب الذين استوطنوا هذه البلاد ونقلوا عنهم أمثالهم العامية .

كما نلاحظ أن بعض هذه الأمثال قدترجم عن اللغة العربية ترجمة حرفية ، وأن البعض الآخر قد ناله شيء من التغير البسيط الذى لا يخفى عروبته .

الدكتور/مصطفى حجازى السيد
أستاذ مساعد
بمعهد البحوث والدراسات الافريقية
جامعة القاهرة



في ضوء التحليل اللغوي
من نماذج الانسجام الصوتي داخل بعض بنيات القرآن الكريم
للدكتور البدراوي زهران

إثارات

دراسة الجانب الصوتي في اللغة اهتمام الباحثين في القديم والحديث على السواء . . . فقد أدرك العلماء فائدة الدراسات الصوتية وأهميتها فأعطوها حظها من العناية والجهد[1] وقد استقرت الدراسات الصوتية اليوم علما متعدد الزوايا واسع الجنبات يقدم خدمات جليلة في دراسة اللغة على المستويين العام والخاص وفي المجال التطبيقي ، والمجال النظري المتخصص على السواء[2] .

ومعلوم أن الكلام الإنساني يتكون من سلسلة من الأصوات تصدر عن قائلها في موقف لغوي معين تتطلبه مقتضيات الحياة العامة عندما تتفاعل اللغة بالمجتمع في خضم واقعها الحياتي ، أو حتى في مواقف الإبداع الفني التي تستغرق فيه الكلمة منشأها . . .

فجمل كل لغة وكلماتها ترتد من الناحية الصوتية إلى مجموعة محددة من الأصوات وإلى عدد معين من المقاطع الصوتية تبرز من خلالها مقدرة المتكلم على انتقاء الوحدات اللغوية المتفاعلة فيما بينها فتعطي أنماطا متعددة من الأبنية اللغوية وفقا لما تعارفت عليه جماعة المتكلمين فيما بينهم من قواعد وأحكام تكون أدل ما يكون على ما يريد منشؤها .

وقد يحدث من خلال هذا الموقف نوع من الانسجام الصوتي داخل بنيات الكلام أو بناء جمله وقد لا يحدث فهو غير مطلوب لذاته بل قد يصبح عبثاً إذا صحبه نوع من التكلف على حين أن نوعا من الانسجام

---

(١) اقرأ علم الأصوات اللغوية – لمحة تاريخية من ص ٩١ وما بعدها من كتاب : علم اللغة – مقدمة د . محمود السعران : واقرأ : علم اللغة العام : الأصوات من ص ٢١٦ د . كمال بشر :

واقرأ المباحث الخاصة بذلك في كتاب :

Reading in Linguistics (1) - Fourth Edition

The Development of Descriptive Linguistics in America, 1925-56 Edited Martin Joos.

وانظر : Phonetics in Linguistics A Book of Reading - Edited by W.E. jones and Longma London and New York.

(٢) السابق – واقرأ : علم الأصوات وأهميته في دراسة اللغة من ص ٢١٥ إلى ص ٢٥٧ من كتاب د . كمال بشر : (السابق) واقرأ أيضا : The Sound Pattern of English Noam Chomsky and Morris Halle

الصوتى قد يأتى فى سهولة ويسر عفو الخاطر فتستريح له النفس . وقد كان فصحاء العربية وبلغاؤها يحرصون على مثل ذلك الحرص كله .

وقد قال أهل البديع من علماء العربية القدماء فى هذا الصدد : « إذا قوى الانسجام فى النثر جاءت فقراته موزونة بلا قصد .

فمما يشغل بال العلماء دراسة الخواص المتنوعة التى تتمثل فى المميزات الصوتية عندما يكتمل البناء اللغوى — فالتلك — الأصوات فيما بينها خصائص وتحكمها علاقات ذات قواعد وأصول لها من الأهمية مكانتها — وللغويين القدماء والمحدثين فى هذا دراسات متعددة ذات اتجاهات ومجالات متنوعة[1].

وقد ذكر جلال الدين السيوطى فى كتابه « معترك الأقران فى إعجاز القرآن »[2] رأى السلف من علماء البديع الأقدمين — من أن انسجام فقرات النثر يجعلها تأتى موزونة بلا قصد » فقد قال أهل البديع : « وإذا قوى الانسجام فى النثر جاءت فقراته موزونة بلا قصد لقوة انسجامه ، ومن ذلك ما وقع فى القرآن موزونا »[3] .

---

(١) من ذلك مثلا عند المحدثين ما يطلق عليه مصطلح Paralanguage — ويقصد به الجوانب الصوتية التى تصاحب الكلام — وتتمثل فى حالة الصوت عند نطق الألفاظ ارتفاعا أو انخفاضا أو تنغيما أو غير ذلك مما تؤدى معه وظائف عرفيه فقد تضيف إلى المعنى، وقد تؤدى عكس ما تؤديه الألفاظ المنطوقة ومن موازينها (Volume Scale) جهازة الصوت — و(Pitch Scale) طبقة الصوت ، و(Oppenness Scale) انفتاح الصوت — و (Drawing Clipping Scale) بطء الصوت وسرعته وغير ذلك — أو نغمات مافوق التركيب وهى المعروفة بمصطلح Suprasegmental phonemes أو ما يعرف بمصطلح (Secondary Phonemes) الفونيمات الثانوية .

ومجال آخر من هذه الدراسات عند المحدثين أيضا قريب مما صنعه لغويو العربية القدماء فى مجال الدراسات البلاغية يطلق عليه المحدثون « Phonostylistics

— أما علماء العربية القدماء فلهم فى هذا باع عريض — لهم مباحثهم العميقة المتعددة فى الجناس والسجع وغير ذلك من المحسنات المختلفة — مثلا — لابن الأثير — فى المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر — ولابن سنان الخفاجى — فى سر الفصاحة والزمخشرى فى كشافه . . الخ — وللسيوطى فى الاتقان فى علوم القرآن — وفى معترك الأقران . . وغيرهم . . فقد قدم هؤلاء العلماء دراسات جليلة حول المحسنات الصوتية داخل أساليب القرآن وما تؤديه من وظائف تتصل بالدلالة وتسهم فى إبرازها .

(٢) الحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر السيوطى : معترك الأقران فى إعجاز القرآن تحقيق على محمد البجاوى قسم أول ص ٣٨٦

(٣) السابق ص ٣٨٦

— من الثابت أن للقرآن أسلوبه ، وأن الله نزهه عن شعر الشعراء وسجع الكهان قال تعالى : « وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ، ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون — (الحاقة ٤١ — ك ٦٩)
وليس فيما جاء من أقوال السلف الصالح من أن فى القرآن الكريم أقوالا تمثل بحور الشعر المختلفة ما يجعل أحدا يظن أنهم ينسبون القرآن للشعر — فهذا اليس واردا عندهم — ولا تقره وجهة نظر الدراسة اللغوية سواء فى القديم أو الحديث على السواء — فوجود الإيقاع أو الوزن فى بعض النثر لا يعده شعراً فالشعر تحدده علاقات بمجموعات من القوانين كما أن الفوارق البنيوية بين نغة النثر لا تقتصر على الجانب الموسيقى وإنما تمس فى المقام =

ورأى جلال الدين السيوطى أن مثل هذا الذى وقع فى القرآن يعد وجهاً من وجوه إعجازه وذكره تحت عنوان « الانسجام » وقال عنه : « وهو أن يكون الكلام لخلوه عن العقدة متحدرا كتحدر الماء المنسجم ، ويكون لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقة والقرآن كله كذلك »[1]

ثم أتى من القرآن الكريم على صدق ما يرى بأقوال مجرد تمثل بحور الشعر الخمسة عشر ... الخليل بن أحمد وفى كتب من نبعه من السلف[2]

وهذه الظاهرة اللغوية التى لفتت نظر السلف من العلماء وزنها واعتبارها لاسيما وأن فصحاء العربية وبلغاءها كانوا يحرصون على مثلها الحرص كله ، ولا اعتراض على ما ذهبوا إليه من اعتبارها من بين ظواهر الإعجاز خاصة وأنهم ضموها إلى غيرها من بقية الأنواع التى يرون أن القرآن الكريم معجز بها كلها ، وقد أنهاها بعضهم إلى مائتى نوع[3] . . . وهذه الأنواع بدورها تدخل تحت وجوه أخرى متعددة وهو اتجاه محمود منهم وجهد مشكور لهم .

، غير أنى أرى أن ما جاء فى القرآن الكريم من ظواهر لغوية متنوعة إنما جاءت لأن القرآن الكريم جار على سنن العرب فى كلامهم ، ومذاهبهم فى أقوالهم . . .

والحقيقة التى أراها ماثلة أمامى ويؤكدها البحث اللغوى الدقيق ان كل قول قرآنى كريم من الأقوال التى ذكرها السيوطى فيما نحن بصدده يعد وحده دون أن يضم إليه شئ غيره معجزة فى ذاته ، وآية فى نفسه مهما قل حجمه يتضح ذلك من منهج التحليل اللغوى على نحو ما سيتبين مما نعرض له . . .

= الأول طبيعة التركيب اللغوى نفسه فى كل منهما وطبيعة الدلالة التصويرية وقد أثبتت بحوث اللغويين الشكليين أن النثر الأدبى كثيراً ما ينتظمه إيقاع معين وأن النثر ليس مجرد مادة لغوية مضادة للايقاع . .

بل وقد أثبتت البحوث العكس بأن فى النثر تنظيم صوتى لايقل أهمية عن التنظيم الصوتى فى الشعر غير ان طبيعة كل منهما مختلفة – فقد نرى فى النثر درجة من التنظيم الموسيقى بأوسع معانى الكلمة دون أن يصبح شعراً كما أن الشعر قد يقترب من اتجاه النثر مثل الشعر الحر دون أن يصبح نثرا – كما أن ضعف الأنماط الموسيقية فى الشعر الحر تعد سببا غير كاف لحمل الشعر على أن يتنازل عن عرشه ويصبح نثرا – وسر ذلك عندهم : أن النثر الموقع لا يخرج عن نظام النثر الكلى . كما أن الشعر الخالى من الإيقاع لا يخرج عن النظام الشعرى الشامل . كما أن من الفروق الهامة فى ذلك : الدور الوظيفى الذى يقوم به الإيقاع فى كل منهما – اقرأ نظرية البنائية فى النقد الأدبى . د . صلاح فضل من ص ٥٧/٥٨/٦٠

(١) معترك الأقران (السابق) ص ٣٨٦

(٢) اقرأ على سبيل التمثيل : مفتاح العلوم لأبى بكر يعقوب بن أبى بكر بن محمد على السكاكى متوفى سنة ٦٢٦هـ اقرأ ط مصر / واقرأ ط العراق : تحقيق أكرم عثمان يوسف ص ٧٨١ .

(٣) انظر المعترك (السابق) من ص ٣٧٣

(٤) اقرأ المعترك (السابق) بأقسامه الثلاثة .

وعلى نحو ما كان للسلف رضوان الله عليهم مناهجهم فى مناقشة تلك القضايا فان لعلم اللغة الحديث مناهجه أيضا فى مناقشتها . . .

وأن المنهج التحليلى التركيبى Structuralism [1] فى علم اللغة الحديث يمكننا من دراسة أى نص لغوى دراسة دقيقة سواء صغر حجمه أو كبر . .

لذا فقد أردت أن أعرض على هذا المنهج ما تيسر من نصوص قرآنية كريمة مما ذكرها السيوطى تمثيلا لتلك الظاهرة لنستجلى ملامح العظمة القرآنية من خلال منهج لغوى محدث [1] .

وإن الإطار البنائى الذى يعمل فيه المنهج التركيبى لتحليل اللغة يقوم على أساس الوقوف أمام كل مستوى لغوى على حده [2] .

---

(١) من خصائص المنهج البنائى أنه تحليلى تركيبى فى وقت واحد – فهو منهج شمولى ، وتأتى الناحية التحليلية فى البنائية من أنها تبحث عن العلاقات التى تعطى للعناصر المتحدة قيمة وصفها فى مجموع منتظم مما يجعل من الممكن . إدراك هذه المجموعات فى أوضاعها الدالة – وهذا هو الذى يبين من فكرتى الشمولى والعلاقات المتبادلة – فتعتبر المجموعات ذات صفة كلية إذا انتظمت فى تشكيل يكشف عن حدودها ووصفها الداخلى دون أن تكون مجرد تراص عفوى خارجى لمجموعة من العناصر المستقلة – وهذا هو التصور الرياضى للبنية الذى يحددها على أنها مجموعة من العناصر التى لا يعرف جوهرها إلا عن طريق العلاقات القائمة فى داخلها .

فليس التحليل فى البنائية معناه التفتيت أو التجزئ – فالبنائية تقابل الجزئية الذرية التى تعزل العناصر وتعتبرها مجرد تراكم أو تراكب .

فالمنهج البنائى يهتم بمعرفة العلاقات بين المجموعات المتنظمة كما يتمثل فى تنظيمها حول محور دلالى دقيق يجعلها تبدو كتنويعات مختلفة ناجمة عن نوع من التوافق والائتلاف –فالبنية مجموعة متشابكة من العلاقات تتوقف فيها الأجزاء والعناصر بعضها على بعض من ناحية – وعلى علاقتها بالبناء الكلى من ناحية أخرى . . . .

وإن كان بارثيس أحد دعاة البنيائية البارزين يصف العملية البنائية بأنها حل الشئ لاكتشاف أجزائه والوصول من خلال تحديد الفروق القائمة بينها إلى معناها، ثم تركيبه مرة أخرى حفاظا على خصائصه التى توضح لنا أن أى تعديل فى الجزء يؤدى إلى تعديل فى الكل .

كما يميز بارثيس أيضا بين بنائية جاكبسون التحليلية التى يتزعمها بنفسه – وبنائية شومسكى التركيبية التى ينتهجها

وقد أدرك ليفى اشتراوس أنه لابد للبنيوية من أن تجئ فتحل محل « النزعة الذرية» atomisme خصوصا بعد أن ثبتت خصوبة « الفرض البنيوى» فى مجال فهم الكثير من الظواهر اللغوية والأنثروبولوجية .

إقرأ مشكلة البنية : تأليف الدكتور زكريا ابراهيم – مكتبة مصر .

ونظرية البنائية فى النقد الأدبى . د . صلاح فضل– واقرأ فى نظرية البنائية : الرد على اتهام البنائية بالجزئية ص ص ١٥٥ - ١٥٦

(٢) لما كان من الممكن أن تحدد البنائية على أساس أنها التيار اللغوى الذى يعنى بتحليل العلاقات بين العناصر المختلفة فى لغة ما حيث يتم تصورها على أنها كل شامل تنتظمه مستويات محددة – فقد اختلف حول ترتيب المستويات وعددها . ولكنها على العموم لا تخرج فى مجموعها عن الترتيب الآتى :

١ – المستوى الصوتى . ٢ – المستوى الصرفى . =

— فعند المستوى الصوتى تحلل الأصوات ومواقع النبر ، وأنماط التغنيم ، وتحدد التراكيب المقطعية ، والظواهر التى يحدثها التعاقب من تماثل وتخالف وتجانس ونحو ذلك وتدرس كذلك الحروف ورمزيتها وتكويناتها الموسيقية وما تحدثه خصائصها من آثار

— وعند المستوى الصرفى ، تحدد المورفيات والوحدات الصرفية وطرق اتصالها ، وقيمة كل وحدة ووظيفتها فى التكوين اللغوى ودورها فى بناء التركيب وتعليق وحداته بعضها ببعض وما يترتب على ذلك الاتصال من تغيرات ..

— وعند مستوى التراكيب تحدد أنواع الجمل ويبحث عن القوانين التى تخضع لها ، وعن الوسائل الصياغية الممثلة للبنية النحوية والتى تستعملها اللغة للتعبير عن معان وعلاقات خاصة (Systematic Formal devices) مع وصف الملامح التى تعبر بصورة منتظمة عن المعانى . والعلاقات مع بيان دور كل عنصر من العناصر

---

٣ — المستوى المعجمى . ٤ — المستوى النحوى . . بما يدخل فيه مستوى تحليل تراكيب الجمل الكبرى لمعرفة — خصائصها الأساسية والثانوية . .

٥ — المستوى الدلالى . ٦ — المستوى الرمزى : وتقوم فيه المستويات السابقة بدور الدال الجديد الذى ينتج مدلولا جديدا يقود بدوره إلى المعانى الثوانى أو إلى ما يسمى باللغة داخل اللغة . .

وهذه المستويات تعمل كلها مجتمعة فى وقت واحد والبناء اللغوى يشتملها وهو فى ذهاب وإياب بينها — والفصل بين هذه المستويات فصل صناعى تتطلبه الدراسة ودقة التحليل — وكذلك فإن الرؤية البنائية السيميولوجية عززت نظرية المستويات — فمن الثابت فى دراسة أى بناء لغوى اعتباره كلا مكونا من عناصر مختلفة ، متكاملة فيما بينها على أساس هذه المستويات التى تمضى فى نظام متعدد الجوانب متكامل الوظائف فى النطاق الكلى الشامل .

والاختلاف فى عدد المستويات وترتيبها يرجع إلى اختلاف اللغويين المحدثين فى فروع علم اللغة — فجراى (Gray) مثلا يرى أن للغة جانبين ١ — عضوى أو ميكانيكى (٢) ونفسى أو غير ميكانيكى ويقابل الجانب الأول فرعان من فروع علم اللغة وهما : علم الأصوات التنظيمى — وعلم الصرف . ويقابل الجانب الثانى : النحو — وعلم المعنى ، ويضيف إلى هذه الأربعة علم تاريخ الكلمات وأصولها . على حين يرى بلو مفيلد مثلا أن دراسة اللغة يمكن أن تجئ وفق التقسيم الآتى : ١ — علم الأصوات . (٢) علم المعنى ويشمل علم المعنى علمين علم المعجم وعلم القواعد — ويشمل القواعد علمين علم الصرف : وعلم النحو .

اقرأ : بلو مفيلد اللغة :

Bloomfield ; language ; Chapter 8. phonetic Structure pp 127, 138 Chapter 9 Meaning PP. 139, 157, 9-chapter lo grammatical forms pp 158, 169 chapter 12, syntax pp 148, 206, chapter 13 : Morphology pp 207, 225

ويعد ليونارد بلو مفيلد Bloomfield من أعلام مؤسسى المدرسة اللغوية البنيوية فى أمريكا كما يعد كتابة الذى نشر عام ١٩٣٣ دستور هذه المدرسة — ويسمى منهجة المنهج البنيوى الوصفى Structure Approach Descriptive ويركز على التركيب الشكلى أو البنية الظاهرة للغة مما يترتب عليه اكتشاف القواعد : العناصر والعلاقات بينها .

— واقرأ مستويات التحليل عند روبنز :

R.H. Robins ; general linguistics an introductory Surrvey 1·3·1·
levels of analysis - 1-3-4 phonetics, Phonology, grammar Semantics pp 17-30

النحوية من نحو موقعية الكلمة أو طرق توزيعها وعنصر المطابقة بوصفه ملمح نحوى ودور كل عنصر فى تغير الدلالة مع النظر فى بقية الوظائف التى تتصل بتركيب الجمل وتاليفها وكيفية تكوينها مما يترتب عليه خصائص دلالية وبنائية .

— أما عند مستوى المفردات : فيلاحظ أن كلمات اللغة تكون نظاما معقدا لفئات من العناصر وأن تلك الفئات تتداخل من حيث الدلالة والصيغة والتوزيع والوظيفة النحوية بالإضافة إلى عمومية الكلمة أو خصوصيتها وإلى ما يعرف بخمول الكلمة أو نشاطها . (١) .

— وإنهاء بمستوى الدلالة التى تتكشف من بعد تمـام البناء والكشف عن عناصره والعلم بجميع مكوناته وأجزائه والوقوف على العلاقات بين عناصره المختلفة وما يحدثه كل عنصر من أثر مباشر أو غيره ...

ويدخل فى الاعتبار كل مايعد لغة ، ولن لم تكن منطوقة من نحو : لغة الحركة الجسمية أو ما يعرف بعلم الكينات (٢)

أو من نحو ما هو معروف بالخلفية الثقافية (Culture) بكل ما تشتمل عليه من عادات وتقاليد وأنماط سلوك داخل المجتمع وغيره (٣) وبدراسة هذه المستويات فى نفسها أولا — ودراسة

---

(١) صنف فريز charles fries الكلمات الانجليزية أربع مجموعات : الكلمات الوظيفية Functional wards — وكلمات البدائل Substitutional words — وكلمات التوزيع النحوى grammatically distributed words وكلمات المحتوى content words

charles fries; the structure of English (New york; Harcout, Brace, and Co., 1952.)

وانظر التقابل اللغوى وتحليل الأخطاء . د . محمود اسماعيل صينى — واسحق محمد الأمين — كيف نقارن بين نظامين للمفردات — اروبرت لادومن ص ٥٧ —

(٢) اقرأ دراسات فى علم اللغة . د فاطمة محمد محجوب / دار النهضة العربية القاهرة — موضوع : علم اللغة وعلم الحركة الجسمية من ص ١٥٩ —

— واقرأ : الفصل الثامن : الدلالة : من كتاب اللغة العربية معناها ومبناها : دتمام حسان من ص ٣٣٦ —

(٣) اقرا اللغة : لادوارد سابير : Edward Sapir. Language. An introduction to the study of speech., chapter VII. Types of linguistic Structure pp 120, 147 chapterx language, Race and culture pp. 207, 221-

واقرأ : د . احمد أبو زيد : البناء الاجتماعى — الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ موضوع : البناء الاجتماعى والثقافى ص ١٧٨ / ٢٤٦»

وانظر أيضا : الأنثربولوجيا الاجتماعية ترجمة د . احمد أبو زيد تاليف : ايفا نزبريتشارد — الهيئة المصرية العامة للكتاب .

واقرأ . اللغة وعلوم المجتمع . د . عبده الراجحى — اللغة والاتصال من ص ٣٥ / ٦١

ما بينها من علاقات متبادلة ، وتوافقات فى الأنشطة الخلافية المتمثلة فيها ثانياً مع الكشف عن القوانين البنائية الثابتة وشبكات التداعى وقوانين الدلالة والثقافة ودراسة أنواع التماسك مما يتجاوز حدود القول ويتصل بالأبنية العامة بهذا كله تتحدد فى النهاية البنية المتكاملة (١).

ونعرض فى ضوء ماسبق أول نص قرآنى كريم من النصوص التى ذكرها جلال الدين السيوطى حيث يقول (٢) :

« ومن ذلك ماوقع فى القرآن موزونا فمنه من بحر الطويل :

« فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر »(٣)

---

(١) بجانب هذه النظرية النباتية توجد نظرية أخرى – ترى أن اللغة – تقع فى قوالب Tagmemes – وتبدأ هذه النظرية بالتدرج من الجملة فشبه الجملة فالكلمة فالمورفيم – الخ فان كان التحليل فى البناية من الجزء إلى الكل فهو فى نظرية القوالب من الكل إلى الجزء –

وقد نادى بهذه النظرية اللغوى الأمريكى المعروف كنث بايك ((K Pike) وأسهم فى تطويرها عدد من اللغويين منهم لو نجيكر longacare وولتركوك Walter cook و لا تلتزم هذه النظرية أيضا فى دراسة النحو بالتقسيم الثنائى binary division الذى تتبعة أكثر النظريات النحوية الأخرى ، وذلك لانها ترى أن اللغة تقع فى قوالب وكل قالب يتكون من (Solts) أى مساد – وما يسدد ذلك المساد Filter وتوضيح ذلك أنه قد يكون فى الجملة العربية خبر المبتدأ هو المسد وبالتالى فان ما يسد مسده قد يكون مفردا أو جملة اسمية أو فعلية أو شبة جملة– الخ

ويعتبر منهج بايك Pike هذا منهجا متكاملا متماسكا حيث إنه يتناول الظاهرة اللغوية موضوع الدرس من ثلاثة جوانب : قطاعى – وموجى – وميدانى ويتمثل الجانب القطاعى عنده فى خلاصة تصور بلو مفيلد عن اللغة – قفى الجانب القطاعى يدرس الظواهر الصوتيةوالصرفية والنحوية والدلالية للوصول إلى روية عامة ترتكز على أساس توزيعى ثابت يتكون من وحدات مختلفة تشبه القوالب (– قوالب الطوب التى يتكون منها مبنى ما)

أما الجانب الموجى فمن طريقه يمكن الوصول إلى روية متحركة نشطة تشرح حقيقة أساسية هى أن اللغة عبار عن تيار مستمر من الحركات التى تصب فى أنظمة مركبة متراكبة (قريب مما اقترحه سابير) وتشبيه الموجات لا يعنى عنده أن احداهاتنحل فى الأخرى وإنما يعنى أنها تتراكب فوق بعضها كما تتراكب الوحدات الصوتية والصرفية فى كلمة ما لاعلى التوالى وإنما بالانصهار فى شكل متموج .

أما الجانب الميدانى فن خلالة نصل إلى روية وظيفية عميقة تأخذ فى اعتبارها النص ومخزون الذاكرة الذى يعتمد علية فى وقت واحد – أى أن اللغة كنظام مكون من أجزاء مترابطة لا يمكن لأحدها أن ينفصل عن وظيفته فى المجموع – وهذا المجموع فى دوره هو حصيلة الأجزاء فى علاقاتها الوظيفية من ناحية وسياقها الاجتماعى الدال من ناحية آخرى

— Pike, kenneth L. — Language in Relation to auni Fied theory of the Structure of Human Behavior (the Hague : Mouton, 1967).

— Pike kenneth L.—Atraining device for translation theory and Praetice,. Bibliotheca Sacra, 114 (1957) 347-362.

أنظر علم اللغة وصناعة المعجم د. على القاسمى ص ١٦-١٧

أقرأ : نظرية البنائية . . (السابق) – د . صلاح فضل . ص ١١٢-١١٣ –

(٢) معترك الأقران (السابق) ج ١ ص ٣٨٦

(٣) سورة الكهف ١٨– آية ٢٩

والقول القرآنى الكريم من حيث النظرة الموسيقية العروضية التقليدية التى ينص عليها السيوطى يجئ على النحو الآتى :

فن شا	ء فليؤمن	ومن شا	ءفليكفر (١)
فعولن	مفاعيلن	فعولن	مفاعيلن

ولو أعدنا كتابة القول القرآنى الكريم على النحو الآتى :

فن	شاء	فليؤمن
ومن	شاء	فليكفر

لاتضح أمامنا وجود عنصر التكرار ، أو التجانس بمعنى وجود عناصر يتكرر ورودها بعينها وهى ما بين فونيمات — ومورفيمات. وكلمات ذات توزيع نحوى — وكلمات تعد من المكونات الأساسية للجملة وهى من أقسام الكلام الرئيسية ..

فتطالعنا مثلا (من) — فنجدها من عناصر ربط الكلام والتعليق بينه — وهى عنصر مورفيمى — وذات توزيع نحوى ويترتب على وجودها وجود وحـدات لغوية أساسية وهى من الكلمات النشيطة فى اللغة — ونجد أن ورودها يتكرر مرتين — ونلاحظ أنها تمثل مقطعا صوتيا قائما بذاته — ولأنها صيغة مورفولوجية فهى تقوم بدورها الوظيفى فى البناء والدلالة معا — .

وترتب على ماسبق أن جاء بعدها كلمة من وحدات الأقسام الرئيسية فى الكلام ومن مكونات الجملة الأساسية — وهى كلمة (شاء) — وتتكرر ورودها أيضا . مرتين . .

كما ترتب على وجود الوحدة اللغوية الأولى والثانية أن جاءت (فـ) فى جواب الشرط التى يتكرر ورودها أيضا مرتين (٢) مما يعطى البناء اللغوى سمة التماثل والتناسق — وترتب على ما سبق وجود السابقة (لـ) التى يتكرر ورودها أيضا مرتين — ليسبق المضارع فى الحالتين السابقة الدالة على الغائب (يـُ) (يؤمن) و (يكفر) فيحقق التقابل الدلالى بين الفعلين ما يماثله من تماثل وتناسق بين البناءين — ونتيجة لتكرار هذه السابقة الصرفية الصوتية البحتة الأخيرة (يـُ) يأتى التركيب المقطعى فى البنيتين واحدا

(فـ) (لـ) (يؤمن) — (فـ) (لـ) (يكفر) على اختلاف فى التركيب المقطعى لما ضمهما آمن — و — كفر — ومصدرهما : إيمان — كفر

---

(١) أصل الطويل : فعولن مفاعيلن — أربع مرات — وله فى غير المصرع عروض واحدة مقبوضة — وثلاثة أضرب — انظر كتب (العروض) ومفتاح العلوم (السابق) ص ٧٩١ / ٧٩٥ —

(٢) اقتران جواب الشرط الطلبى بالفاء .

ونلاحظ أنه قد طرأ على البنيتين من العوامل اللغوية نتيجة للجزم ما استوجب انتقال النبر من موضعة إلى المقطع الأول [1]

وتلاوة القرآن تستوجب أمرا آخر مخالفا لما عليه نطق العربية فتجعل له تقسيما مقطعيا آخر — يقول ابن خالويه : « فلو قرأ قارئ (فلِيَنْظر الإنسان) بكسر اللام لكان سائغا فى العربية غير أنه لا يقرأ به — إذ لم يتقدم له إمام — والقراءة سنة يأخذها آخر عن أول ولا تحمل على قياس العربية » [2]

فحركة لام الأمر الداخلة على المضارع سقطت عند اتصالها بالفاء [3]

فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (لا نقول فلِيُؤْمن) ولا نقول (فلِيَكْفرُ) وكان لهذا أثره على التركيب المقطعى على نحو مايتضح من التقسيم المقطعى الآتى :

= وإن نظرة واحدة على الكتب التى صنفها المتخصصون فى القراءات نجدها قد أجمعت على أنه :

« لا يوقف على المضاف دون المضاف إليه ، ولا على المنعوت دون نعته ولا على الشرط دون جوابه سواء كان الجواب مقدما أو مؤخرا — ولا على الرفع دون مرفوعه ولا على الناصب دون منصوبه ولا على المؤكد دون توكيدة ، ولا على المعطوف عليه دون المعطوف ، ولا على المبدل دون البدل ، ولا على أن أو كان او ظن أو أخواتهن دون اسمهن ولا على خبرهن ... ولا على المستثنى منه دون المستثنى ... إلى أخره

انظر إيضاح الوقف والابتداء . لأبى بكر بن الأنبارى تحقيق محى الدين رمضان دمشق ١٣٩١ / ١٩٧٢ / ج ١ ص ٤٢١

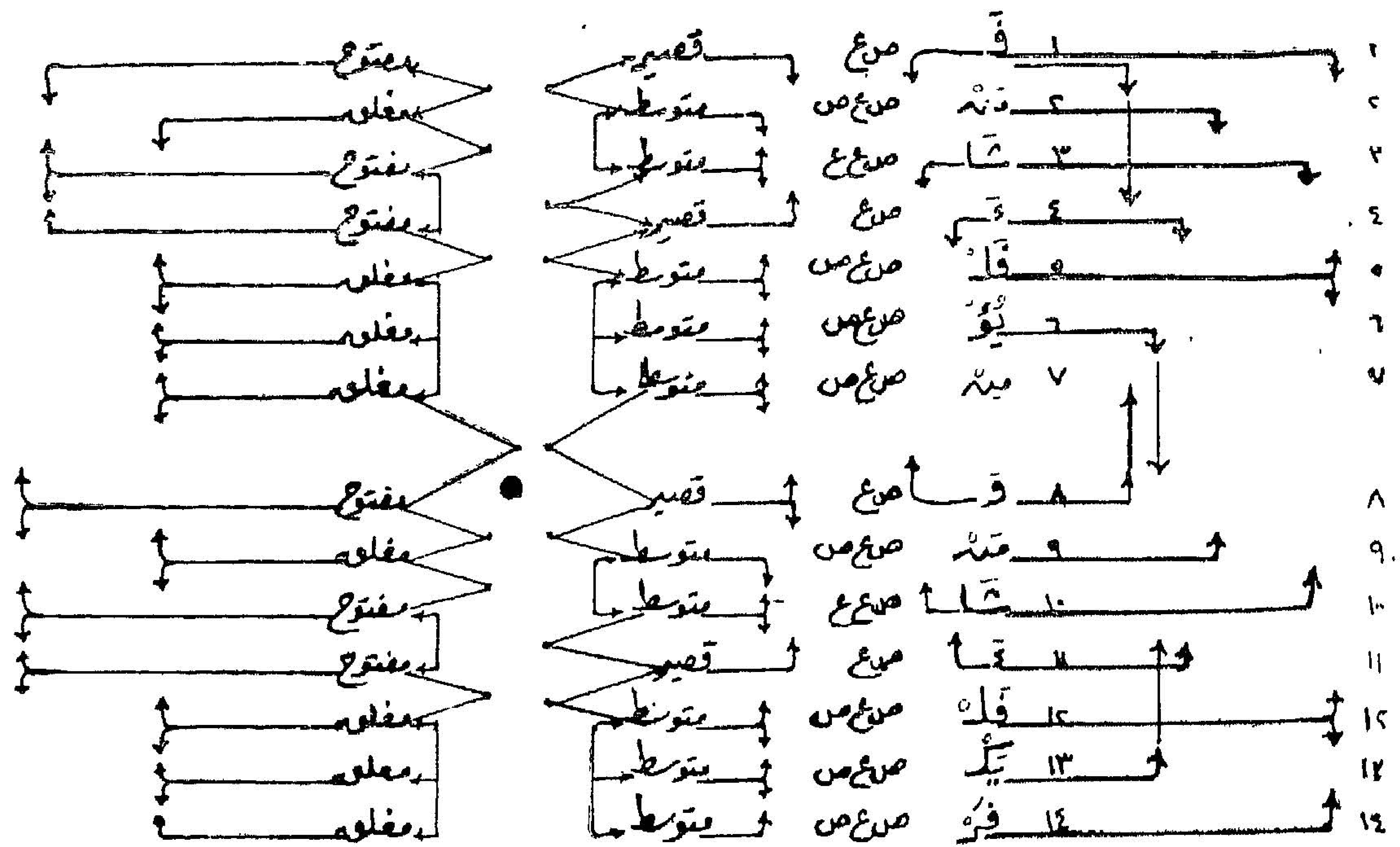
ومنار الهدى فى بيان الوقف والابتداء احمد بن محمد الأشمونى مصر ١٣٥٣ / ١٩٣٤ م وبهامشه كتاب المقصد لتلخيص مافى المرشد لأبى زكريا الأنصارى ص ١٧

وكتاب القطع والائتناف تصنيف أبى جعفر النحاس — واقرأ مقدمةالمحقق أحمد خطاب العمر ص ١٢ —

(١) هذا واضح فى اللغة فى غير تلاوة القرآن يدركه المتخصصون ، يقول . د . ابراهيم أنيس : « يطرأ على الكلمة من العوامل اللغوية مايستوجب انتقال النبر من موضعه — ويلاحظ هذا بصفة خاصة مع ادوات الجزم فالنبر فى الفعل (يكتب) على المقطع (تُ) فاذا جزم الفعل انتقل النبر إلى المقطع الذى قبلة وهو (يكْ) — الأصوات اللغوية ط ٥ سنة ١٩٧٩ — ص ١٧٦ —

(٢) ابن خالوية : إعراب ثلاثين سورة ٤٢ —

(٣) يقول د . رمضان عبد التواب : « وسقوط حركة — لام الأمرعلى المضارع عنداتصالها بالفاءأوالواو أمر لازم فى قراءة القرآن — فلم ترد الصورة الأصلية الظاهرة فى أية قراءة قرآنية » أنظر التطور اللغوى ص ٩٠ / ٩١ —



(١) الخطوط ذا الحمراء المستقيمة فى الجهة اليمنى تشير أسهمها فى قسمى القول الكريم إلى مواضع التجانس الاستهلالى (alliteration) وهى مواضع الصوامت التى يتكرر ورودها فى أوئل الكلمات والمقاطع – والخطوط الزرقاء المستقيمة فى نفس الجهة تشير إلى التجانس غير التام والخطوط الحمراء المقابلة لها والتى تتصل بالحركات تشير أسهمها إلى مواضع تجانس الحركات .

وفى القسم الثانى قسم كم المقطع نشير أسهم الخطوط الحمراء المستقيمة إلى التماثل بين المقاطع (Assimilation) وخطوط الزوايا الزرقاء تشير إلى التخالف داخل التماثل والقسم الأخير قسم الانفتاح والانغلاق تشير الخطوط الحمراء المستقيمة إلى مواضع التماثل من الجهتين – والخطوط الزرقاء التى على هيئة زاوية تشير إلى التخالف داخل التماثل .

وهذا التحليل المقطعى يكشف عن عدة جوانب نتناولها جانباً جانبا :

« أ » من حيث الصوائت والصوامت :

نجد بين المقاطع (١) و (٥) و (١٢) و (١٤) اتحاداً فى الصوت من حيث الصائت والصامت معاً وهو ما يعرف بمصطلح (alliteration) أى التجانس الاستهلالى وهذا فى عمومه يتعاون مع غيره فى إعطاء ما يعرف بالتماثل (assimilation) فى مجمل القول الكريم ومثله المقطعان (٢) و (٩) فالتجانس بينهما من كل الوجوه كما ونوعاً فهو تجانس تام ، وكذلك مثلهما المقطعان (٣) و (١٠) وأيضا المقطعان (٤) و (١١) والمقطعان (٥) و (١٢)

أما المقطعان (١) و (٨) فتجانسهما غير تام ولكن أوجه التشابه فيهما متعددة فنوع وكم الصائت فيهما متحد — وكذلك الصامت متحد فى معظم الخصائص : فالواو والفاء مخرجهما حد فهما شفويان — كما أنهما مرققان فعندما تأتى أنواع من التخالف (Dissimilation) على هذه الصورة وسط هذا التماثل يحدث الأثر السمعى الذى نحسه ولا ندرك كنهه .

أما المقاطع : السادس والثالث عشر ، والسابع والرابع عشر فنجد بينها اتحاد من حيث النوع والكم فكل واحد منها متوسط مغلق وبين السادس والثالث عشر تجانس استهلالى من حيث الصامت الأول — على حين بينها تخالف من حيث الصائت الأول كذلك : حيث إن السادس يعتمد على الحركة الخلفية القصيرة الضيقة (Colse) أما الثالث عشر فيعتمد على الحركة — الأمامية القصيرة المتسعة (open) — أما نهاية المقطعين فهما متحدان من حيث الانغلاق وبينهما تخالف من حيث الصامت ومع ذلك فبين الصامتين خصائص مشتركة متعددة فيجمعهما الشدة والهمس والترقيق فالهمزة صوت حنجرى شديد مهموس مرقق — والكاف صوت لهوى شديد مهموس مرقق (١)

أما المقطعان (٧) و (١٤) فبينهما تخالف من حيث الصوامت والصوائت ويجمعهما الانغلاق — أما من حيث الصائت فقد اعتمد السابع على الحركة الأمامية الضيقة — (الكسرة) واعتمد الرابع عشر على الحركة الخلفية الضيقة — (الضمة) . أما من حيث الصامت فقد اعتمد السابع على الميم واعتمد الرابع عشر على الفاء وبينهما من التوافق أى أن كلاً منهما شفوى أسنانى وبينهما من التخالف أن الفاء رخو مهموس مرقق وأن الميم يكون انفيا مجهورا .

---

(١) د . تمام حسان : مناهج البحث فى اللغة ص ٩٥ / ٩٧ —

وكتاب العين للخليل بن أحمد ج ١ ط عبد الله درويش .

والكتاب لسيبويه ج ٤ ط هارون — وبين القدماء والمحدثين خلاف فى بعض الصفات لها تعليلها وليس هنا مجال الخوض فيه) .

ولهذه الأسباب مجتمعة نجد أن لهذا التماثل (assimilation) الذى يتخلله هذا التخالف هذه الصورة الصوتية .

ومن زاوية أخرى عندما تنظر إلى الصوائت التى تنتهى بها المقاطع المنفتحة — نجد كلها تعتمد على نوع واحد تختلف فى الكم وتتحد فى الكيف فكلها تعتمد على الحركة — الأمامية المتسعة ما بين قصيرة وطويلة . فالمقطع (١) منفتح يعتمد على الحركة الأمامية المتسعة القصيرة . وكذلك المقطع رقم (٤) أما المقطع الثالث فهو يعتمد على الحركة الأمامية المتسعة الطويلة . وعندما ننظر إلى القسم الثانى من القول الكريم نجد تماثلا تاما فالمقطع (١) يماثله مقطع (٨) ومقطع (٣) يماثله مقطع (١٠) ومقطع (٤) يماثله مقطع (١١) .

ونلقى نظرة أخرى على المقطع من حيث كمه فنرى بين قسمى القول الكريم تناسقا تاما ففى القسم الأول مقطع رقم (١) قصير يعقبه مقطعان متوسطان — ثم يأتى المقطع الرابع قصير يعقبه مقاطع ثلاثة متوسطة ويتلو ذلك القسم الثانى مقطع رقم (٨) قصير — يعقبه مقطعان متوسطان ثم يأتى المقطع رقم (١١) قصير يعقبه المقاطع الثلاثة الأخيرة متوسطة — فهذا التناسق التام يمثل تماثلا فى تخالف يؤدى وقعا موسيقيا على الآذن ويحدث دورة فى النطق .

ومن زاوية كم المقطع أيضا نجد ترتيبا دقيقا على نحو ما تشير أسهم الجهة اليسرى نجد قصيرا يعقبه متوسط وفى ذلك تخالف ثم نجــد المتوسط يعقبه متوسط وفى ذلك تماثل ثم نجد المتوسط يعقبه قصير وفى ذلك تخالف — ثم نجد القصير يعقبه متوسط وفى ذلك تخالف أيضا — ثم نجد المتوسط يعقبه متوسط وفى ذلك تماثل ثم نجد المتوسط يعقبه متوسط وفى ذلك تماثل أيضا — ثم نجد الأخير من قسم القول الكريم الأول متوسطا ثم يعقبه قصير من القسم الثانى ثم نجد القصير يعقبه متوسط ليحدث التخالف من جديد ثم نجد المتوسط يعقبه متوسط فيحدث التماثل ثم يعقب المتوسط قصير فيحدث التخالف ثم يعقب القصير متوسط فيحدث تخالف أيضاً ثم يعقب — المتوسط متوسط فيحدث تماثل ثم يعقب المتوسط المتوسط الأخير فيحدث التماثل أيضا — وفى هـــذا ما يفسر ما قاله القدماء من أنه يتحدر تحدر الماء المنسكب .

ثم نلقى نظرة أخرى على المقاطع من حيث الكيف : الانفتاح والانغلاق فنجد بين قسمى القول الكريم تناسقا تاما ونجد بين عناصر كل قسم تناسقا دقيقا على النحو الآتى ففى القسم الأول مقطع رقم (١) منفتح يعقبه مقطع رقم (٢) منغلق وفى ذلك تخالف ثم يأتى المقطع الثالث منفتح فيحدث بينه وبين الثانى تخالف كذلك — ثم يأتى مقطع رقم (٤) منفتح ليعقبه مقطع رقم (٥) منغلق فيحدث بينهما تخالف كذلك — وهذا التخالف الذى

نراه فى القسم الأول من القول – يخرج من خلال تماثل ينبثق على النحو الآتى المقطعان (١) و (٣) منفتحان بينهما (٢) منغلق والمقطعان (٣) و (٤) منفتحتان فبينما تماثل ثم يعقبهما المقاطع الثلاثة الأخيرة (٥) و (٦) و (٧) منغلقة فيحدث بينهما تماثل كذلك – ثم يأتى القسم الثانى من القول الكريم على نفس منوال القسم الأول – المقطعان (٨) و (١٠) منفتحان بينهما مقطع (٩) منغلق – والمقطعان (١٠) و (١١) منفتحان يعقبهما المقاطع الثلاثة الأخيرة (١٢) و (١٣) و (١٤) منغلقة وبذلك يتم التناسق بين القسمين فى تماثل يتخلله تخالف فيجيء تأثير الصورة السمعية على نحو ما نلمس الوقع الموسيقى على الأذن وعذوبة النطق على اللسان وقد نرجعه إلى الوزن العروضى على نحو ما صنع الأقدمون – والحق أن الوزن العروضى جانب واحد من جوانب هندسة الصورة الصوتية السمعية للقول القرآنى الكريم .

ومن المعلوم أن من تمام الدراسة الصوتية دراسة التنغيم (Intonation) والتنغيم يرتبط بأنواع الجمل . والقول القرآنى الكريم يعد جملتين يمكن أن تنتهى كل واحدة منهما بنغمة هابطة (falling Intonation) إذا وقفنا عند تمام كل واحـدة منهما . ويمكن أن نقرأ الجملتين معاً فى سلسلة من الأصوات متعاقبة تنطق فى نفس واحد . وبذلك تكون النغمة الموجودة نغمة مسطحة وهى تلك التى تقع بعد الفقرة التنفسية [١] – وللنغمة فى الحالتين وظيفتها فى إبراز الدلالة – وفى الحالة الأولى تكون النغمة تقريرية بعد كل جملة وللواو وظيفتها التعليقية بين الجملتين .

وفى الحالة الثانية حالة النغمة المسطحة تُظْهر كيفية النطق أثر استواء الحالتين عند الله – الإيمان والكفر – كما أن الواو تحمل دلالة الاختيار – ومن واقع تجارب حياتنا الدنيا لكل اختيار نتيجة فكما أن هناك حرية اختيار بملء الإرادة فيجب أن يكون هناك تقبل لنتيجة الاختيار ورضاً به – ويتمنى الإنسان عندما يكون فى تجـربة اختيار أن يبصر بكل أبعاد الحقيقة ليأتى اختياره على بينه. كما يتمنى أيضا لو استطاع أن يعرف مستقبل اختياره وعاقبته – وكل هذا فى حياتنا أنىّ لنا به إنه متروك لحسن تفكيرنا ولعمق بصيرتنا ونضج تجربتنا بالحياة ثم تأتى فى النهاية عاقبة اختيارنا التى قد نرضى بها أو نندم عليها ونتمنى أن لو كان هناك من بصّرنا

(١) اقرأ عن النغمة المسطحة – د . تمام حسان – اللغة العربية معناها ومبناها ص ٢٣٠ / ٢٣١

وتأتى وظيفة الفــاء هنا من الناحية المرفولوجية التركيبية فهى بالإضافة لكونها فونيما هى مورفيم أى وحدة صوتية صرفية تقوم بوظيفتها داخل البناء وبالتعليق بين أجزائه فهى تربط هذا القول الكريم بالسابق عليه وهو : « وقل الحق من ربكم . فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » وهى هنا أيضا من خلال وظيفتها التركيبية تؤدى وظيفة دلالية منبعثة عن خلفية ثقافية واجتماعية[1] تتضح حقيقتها عندما نضع أمامنا تفسير قول الله : يقول تعالى لرسوله ﷺ قل يا محمد للناس هذا الذى جئتكم به من ربكم هو الحق الذى لا مرية فيه ولا شك . فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر »[2] والخطاب للناس أجمعين أى أنهم بُصِّروا بأبعاد الحقيقة ليأتى اختيارهم على بينة من أمرهم فيتقبلوا النتيجة ، ثم تأتى بعد نهاية التركيب (إن) ذات الوظيفة الصرفية التركيبية[3] فهى تربط ما قبلها بما بعدها وتفرغه إفراغا واحداً فيكون تمام القول الكريم :

« وقل الحق من ربكم . فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها وأن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ».

والخلفية الثقافية التى وضعها القرآن الكريم أمام الناس ليبنوا عليها اختيارهم بملء حريتهم وإرادتهم كانت تفضلا من الله عليهم فقد بصرهم بالحق — وليس بعد الحق إلا الضلال . فمن يدع الحق ويقع اختياره على الضلال فقد ظلم نفسه — ثم يأتى البعد الآخر وهو بعد المستقبل وعاقبة الذين ظلموا أنفسهم بسوء اختيارهم « إنا أعتدنا للظالمين ناراً » وهكذا تأتى عظمة البناء القرآنى فى وضع دستور حرية الاختيار فى هذه القضية الخطيرة قضية حرية الرأى فى الدين والعقيدة — والحرية مكفولة للجميع لكل من شاء ما شاء وفوق هذا وذاك تفضل الله على عباده بأنه وضع أمامهم ما ينير طريقهم وما هم فى حاجة له رحمة بهم وهذا منّة من الله عليهم وليس لله حاجة فى إيمانهم أو كفرهم .

فليست القضية قضية انسجام صوتى فحسب أو وزن شعرى كما حسب بعضهم وكما قال

---

(١) تعتبر الخلفية الثقافية (Culture) جزءاً من تحليل اللغة ويشمل مفهوم تلك الخلفية عقائد الناس وشمائلهم وعاداتهم وغير ذلك — وهو ماتنعكس علية اللغة من حيث المفردات والتعبيرات الاصطلاحية وكذلك من حيث المعانى فالدراسة التحليلة اللغوية تتضمن ذلك ومن تمامها الإشارة اليه .

والجانب الثقافى فى استيعاب المعنى اللغوى البلاغى أثره الهام فمن خلاله تبرز الخصائص العقلية للجماعة اللغوية — اقرأ فى ذلك ما يراه همبولت فى كتاب أوتويسبرس :

Otto jesperson, Language, its nature, development and origin, PP 60 ...

(٢) مختصر تفسير ابن كثير ح ٢ ص ٤١٧

(٣) اقرا عن وظيفة إن الصرفية . د. البدرادى زهران : عالم اللغة عبد القاهر الجرجانى ص ١٢٧ وما بعدها /١٣٣

السيوطى فما أسهل الوزن الشعرى .
والله تعالى نزه رسوله عن الشعر [1] وليس هو فقط تحدر الكلام تحدر الماء المنسجم . وإنما هو بناء لغوى أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ، فى اختيار للوحدات اللغوية والدقة فى الهندسة بين أجزائها على نحو ما رأينا من التقسيم المقطعى وموقعية كل عنصر فى مكانه وطرق تعليق دقيقة محكمة تنبعث عن كل ذلك دلالة تظللها خلفية ثقافية يؤدى فيها النغم الموسيقى دوره فتتجاوب أصداؤها راحة فى خفايا النفس وجنباتها .

من منا يقدر على أن يأتى بمثل هذا البناء اللغوى على الرغم من قصره ومن أن وحداته اللغوية من بين أقوالنا ودلالته نحن نرددها ليعالج على هذه الكيفية تلك القضية الفلسفية التى تتصل بجوهر العقيدة قضية الإيمان والكفر وحرية الرأى فى ذلك .

إن البناء القرآنى هنا يفوق كل بديل من حيث تحقيقه ما هدف إليه يتضح ذلك فى عناصر البناء اللغوى المختلفة من أدق عنصر داخل البناء مع اتساقه مع بقية عناصر البناء المختلفة التى بنيت عليها وانبثقت عنها الدلالة وتتجلى عظمة البناء القرآنى فى مواءمته لحال المخاطبين .

كما تتجلى عظمة البناء القرآنى فى طرح البدائل [2] لينبثق البناء عن علاج هذه القضية الفلسفية فى ذلك الوقع الموسيقى مؤدية هذا الغرض اللغوى فالوزن الموسيقى والانسجام الصوتى السمعى وعناصر البناء اللغوى وهندستها ووظيفة كل عنصر فى موقعه والمعنى الذى تحققه والغرض الذى أداه وأحدثه كل هذا مجتمعا هو الذى يعطينا ما نحس به من دلالة قوية منبثقة عن صورة صوتية سمعية مكتملة .

* * *

وعلى نحو ما عالج القرآن الكريم هذه القضية النظرية الفلسفية على هذا النحو من الانسجام الصوتى عالج القضايا العلمية العميقة التى تتعب فيها البحوث المعملية والتحليلات العلمية ويقف أمام عظمة دلالتها علم العلماء خاشعا متواضعا فمن ذا الذى كان يدرى قبل التحليلات العلمية المعملية حقيقة تلك النطفة التى خُلِقَ منها الإنسان وأنها أخلاط ومكونات متنوعة [3] ولنتأمل كيف جاءت تلك القضية فى القرآن الكريم فى بناء لغوى محكم له وقع موسيقى عذب تتضح منه الدلالة وتبرز جوانبها المختلفة من خلال وحدات البناء اللغوية التى تتحدر عناصرها فى جنبات النفس تحدر الماء المنسجم

---

(١) فهو القائل جل جلاله : « وما علمناه الشعر وما ينبغى له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين » يس مكيه ٣٦ أية رقم ٦٩ -

(٢) جاء طرح البدائل الخاصة بهذه الآية فى نهاية هذا البحث أنظر ص ١٥٣ وما بعدها

(٣) على نحو ما أوضحت ذلك علوم متعددة مثل علم الحياة «البيو لوجيا» - وعلم الوراثه وعلم الأجنة وغير ذلك من العلوم المختلفة ومن المؤلفات المتعددة فى ذلك .

فى سهولة ويسر تشع الدلالة من خلالها :
ولنتأمل قول الله تعالى :

« إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً »[1] من حيث النظرة العروضية التقليدية فان موسيقى القول القرآنى الكريم من البحر المنسرح على نحو ما ذكره جلال الدين السيوطى[2] وعلى هذا فان تفعيلاته تجىء على النحو الآتى :

إننا خلق   نل إنسان   من نطفتن
مستفعلن   مفعولات   مستفعلن
أمشاجن
مفعولات

عمق علمى فى عرض قضية خلق الإنسان وابتلائه بالخير والشر واختباره فى الشكر فى السراء ، والصبر فى الضراء ، وابتلاء بالتكلفة بعد تمام الخلق . ليكون الإنسان مأموراً بالطاعة منهيا عن المعاصى آمرا بها وناهيا عنها[3] .

قضاء فى قضية علمية عميقة فى بناء لغوى تعرف العرب كل وحداته ودلالة كل واحدة كما أنها تعرف أيضا طرائق بنائها فى جمل وطرق التعليق بينها لتصنع منها أساليب أقوالها المختلفة ولكن أنىّ لها أن تأتى بمثل هذا البناء الذى تنبثق عنه مثل هذه الدلالة ونقف أمام ذلك البناء اللغوى وننظر له نظرات متعددة :

ولتكن النظرة الأولى للبناء من خلال اكتماله ، ولتكن إلى طريقة نطقه وكيفية تنغيمه وتلك نظرة من صميم التحليل اللغوى على نحو ما سبق .

ومعلوم أن دراسة التنغيم ، وكيفية النطق تحددها نوعية الجمل ، والقول القرآنى الكريم عدة جمل :

أ) « إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُطفَةٍ أَمْشَاجٍ » هذه جملة تقريرية وتنطق بنغمة هابطة واثقة يعرف عمقها من خلق .

كما أن قول الله تعالى : « نبتليه » جملة ثانية ، وهى تقريرية كذلك ، وتنطق بنغمة هابطة واثقة تلقى فى روع المؤمن الإيمان بقدرة الله وتعرف الإنسان الغاية من وجوده وتبصّره بما يجب أن يكون عليه أمره فى الدنيا لحصاد يوم المعاد .

---

(١) سورة الانسان – آية ٢

(٢) معترك الأقران – فى إعجاز القرآن ح ١ ص ٣٨٧

(٣) اقرأ فى ذلك كتب التفاسير المختلفة – الفخر الرازى – والقرطبى . وابن كثير – ومختصر تفسير ابن كثير الخ .

كما أن قوله تعالى : «فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً » جملة ثالثة ، وهى الأخرى تقريرية ونغمة نطقها هابطة أيضا — والجمل الثلاث من حيث البناء اللغوى معلق بعضها ببعض فجملة (نبتليه) معلقة بالسابقة عليها كما أن الفاء فى الجملة التى بعدها تربطها بالسابقة عليها[1] ومعنى ذلك أن القول الكريم يمكن أن يقرأ معاً فى سلسلة من الأصوات متعاقبة تنطق فى نفس واحد وبذلك تكون النغمة الموجودة كلها نغمة مسطحة — وهى تلك التى تقع بعد الفقرة التنفسية[2] .

وللنغمة فى الحالتين وظيفتها فى إبراز الدلالة — ففى الحالة الأخيرة يتلقى المتلقى دفقة لغوية فى نسيج محكم البناء على نسق صوتى معين يعيش إيحاء دلالته وفيض معانية فتتنوع استجابة المتلقين على نحو ما تشاء إرادة كل واحد منهم .

وفى الحالة الأولى حالة تلقى الجمل التقريرية فيتلقى المتلقون اختبار الله لهم والعرب منهم ونزل القرآن بلغتهم شيئا معلوما لهم مجهولا عليهم .

«إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ » فكل المفردات الداخلة فى التركيب معروفة

فالعرب يعــرفون كلمة النطفة — ويستعملونها — ولكنهم «يطلقون كلمة النطفة على كل ماء قليل فى وعاء ويعرفون كلمة الأمشاج ويستعملونها كذلك ، ولكنهم يطلقون كلمة الأمشاج بمعنى الأخلاط . وواحدها عندهم مِشْجٌ ومشيج . ويقولون مشجت هذا بذلك أى خلطته . فهو ممشوج ومشيج[4] ولكن دلالة ما تحتويه الآية مجهول لهم — مما جعل عقولهم تنطلق إنطلاقات مختلفة فى مفهوم الآية وكلها انطلاقات مقبولة — وهذا جانب آخر من جوانب عظمة التراكيب القرآنية وما تنبثق عنه بعد تمامها من دلالة فهذا البناء القرآنى على صورته تلك يوحى إلى ابن السكيت بأن يقول :

« الأمشاج الأخلاط لأنها ممتزجة من أنواع فخلق منها الإنسان ذا طبائع مختلفة »[5] وجعل قتادة يصف القضية على ضوء فهمه من وحى القرآن ومما جاء عليه التركيب : بأن هذه الأمشاج تصير أطوار الخلق ،

---

(١) اقرأ عن دور الفعل المضارع المثبت غير المنفى ووظيفته فى الربط بين الجمل من ص ١٢٢ عالم اللغة عبد القاهر السابق وكذلك عن دور الفاء ووظيفتها فى ربط الجمل .

(٢) هذا من الناحية اللغوية التحليلية الصرفة — وهو كذلك فى القراءة القرآنية — والقراءة سنة كما هو معلوم .

(٣) القرطبى ح ٨ ص ٦٩١١

(٤) القرطبى : السابق — وفى مختصر ابن كثير ج ٣ ص ٥٨ : أمشاج : أى أخلاط والمشج والمشيج الشئ المختلط بعضه فى بعض

(٥) القرطبى السابق ج ٨ ص ٦٩١٣

طورا علقة ، وطورا نطفة وطورا عظاما ثم نكسوا العظام لحما » (١) .

وجعل ابن عباس يتصور القضية على الصورة الآتية : الأمشاج : الأخلاط ، « يعنى ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا ، ثم ينتقل بعد طور إلى طور ، وحال إلى حال »(٢) وهذا أيضا جعل عكرمة ومجاهد يقولان :

« الأمشاج هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة» (٣) ......،.....وهكذا البقية .
فالدلالة انبثقت بعد تمام الكلام .

فانسجام عناصر البناء اللغوى وأتلاف وحداته وعذوبة نغمته أدت دورها الوظيفى فى انبعاث الراحة فى جنبات النفس ، وترددها فى خفايا الصدر مع ما ينبعث من دلالة وتنطلق من إشعاعات معان فمن خلال وقع النغمة على الأذن وأتلاف المقاطع وانسجام البناء فى تآلف بين عناصره وتماسك تنبعث الدلالة القوية فيتم التجاوب بين عناصر الصورة الصوتية ودلالاتها المعنوية بكل ما تحمل من إيحاءات وإشعاعات وما يتخللها من ظلال .

والقضية قضية دلالة عميقة وفكرة بعيدة جديدة تنبثق من خلال انسجام صوتى جاء نتيجة لائتلاف عناصر لغوية وفق قواعد وأحكام من داخل بنيات وبناء أحكم فى دقة متناهية يقف العلم أمام كل عنصر منها وقفة إجلال واكبار وخشوع .

ونلقى نظرة على النسيج المقطعى للآية الكريمة نرى من خلالها مدى تماسك عناصر البناء اللغوى للصورة الصـــوتية ومدى مابينها من ائتلاف وتناسق ـ ومدى مابين أجزائها من هندسة فى البناء(٤) .

---

(١) القرطبى السابق ج ٨ ص ٦٩١٣
(٢) مختصر تفسير ابن كثير مجلد ٣ ص ٥٨٠
(٣) مختصر تفسير ابن كثير السابق ج ٣ ص ٥٨٠
(٤) الصفحة القادمة ، ١١٢

١	إنْ	صع ص	متوسط	مغلق
٢	نَا	صع ع	متوسط	مفتوح
٣	غَ	صع	قصير	مفتوح
٤	لَوْ	صع ص	متوسط	مغلق
٥	نَلْ	صع ص	متوسط	مغلق
٦	إِنْ	صع ص	متوسط	مغلق
٧	سا	صع ع	متوسط	مفتوح
٨	بَ	صع	قصير	مفتوح
٩	مِنْ	صع ص	متوسط	مغلق
١٠	نُطْ	صع ص	متوسط	مغلق
١١	فَ	صع	قصير	مفتوح
١٢	تِمْ	صع ص	متوسط	مغلق
١٣	أمْ	صع ص	متوسط	مغلق
١٤	شا	صع ع	متوسط	مفتوح
١٥	جِنْ	صع ص	متوسط	مغلق
١٦	نَبْ	صع ص	متوسط	مغلق
١٧	تَ	صع	قصير	مفتوح
١٨	لِي	صع ع	متوسط	مفتوح
١٩	هِ	صع	قصير	مفتوح
١٨ - ٢٠	لِيهْ	صع ع ص	طويل	مغلق

١٨ ، ١٩ : نغمة منحة حالة الوصل

١٨ ، ٢٠ : نغمة هابطة تقريرية حالة الوقف

وصورة التحليل المقطعي التي أمامنا ينظر إليها من عدة زوايا .

(١) من حيث الصوامت والصوائت نجد بين المقطع الأول والمقطع السادس تجانسا استهلاليا تاما (alliteration) في الصوامت والصوائت معا . وكذلك بين المقاطع (٢) و (٥) و (٨) و (١٠) و (١٦) تجانس استهلالي تام من حيث الصامت وكذلك الصائت فهي كلها تعتمد على الحركة الأمامية القصيرة المتسعة (open) (الفتحة) ما عدا المقطع العاشر فقط فإنه يعتمد على الحركة الخلفية القصيرة الضيقة (Close) (الضمة) وكذلك بين المقطعين الثاني عشر والسابع عشر تجانس استهلالي تام من حيث الصامت غير أن الأول منهما يعتمد على الحركة الأمامية القصيرة الضيقة (الكسرة) والأخير منهما يعتمد على الحركة الأمامية القصيرة المفتوحة — كما أن بين المقطعين السابع والرابع عشر تجانس استهلالي ناقص من حيث الصامت ولكن بين الصامتين خصائص مشتركة متعددة فتجمعهما الرخاوة والهمس والترقيق — فالسين أسناني لثوي رخو مهموس مرقق — والشين غاري رخو مهموس مرقق [1] كما أن الصائت الذي اعتمدا عليه واحد فهو الحركة الأمامية الطويلة المتسعة .

وكذلك المقطعان الرابع والثامن عشر بينهما تجانس استهلالي من حيث الصامت الأول منهما فهو متحدان — وكذلك بين المقطعين التاسع والخامس عشر تجانس تام من حيث الصامت الثاني — ولهذه الأسباب مجتمعة نجد أن لهذا التماثل (assimilation) الذي يتخلله هذا التخالف تلك الصورة الصوتية .

وكذلك من زاوية الصوائت لتجانس الحركات دورها فكما حدث بين الصوامت هذا التجانس الذي مر نجد أن بين الصوائت (الحركات) تجانسا على النحو الآتي «المقاطع : الثاني والسابع والرابع عشر والثامن عشر بينها تجانس من حيث كم الصائت — وبين الثاني والسابع والرابع عشر تجانس تام من حيث الكم والنوع فكلها اعتمدت على الحركة الأمامية الطويلة المتسعة — أما الثامن عشر فقد اعتمد على الحركة — الأمامية الطويلة الضيقة وهو بهذا يحدث بينه وبين التاسع عشر تجانساً حيث إن الأخير اعتمد على الحركة الأمامية الضيقة القصيرة وكذلك التجانس التام بين حركات المقطع الثالث والثامن والحادي عشر ، والسابع عشر دوره في إحداث الصورة الصوتية على النحو الذي نرى .

ثم نلقي نظرة على التقسيم المقطعي للقول الكريم من حيث الكم فنجد تجانسا على النحو الآتي بين المقاطع ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥

(١) د. تمام حسان : مناهج البحث ص ١٠٠ / ١٠١

٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨ من حيث الكم فكلها متوسطة ويتخالل هذا التجانس تخالف على النحو الآتى فنجد أن المقاطع (٣) و (٨) و (١١) و (١٧) و (١٩) مقاطع قصيرة وهذا يحدث فى نسق صوتى : مقطعان متوسطان يعقبهما قصير وأربعة متوسطة يعقبها قصير — ثم اثنان متوسطان يعقبهما قصير ثم خمسة متوسطة يعقبها قصير ، وفى النهاية متوسط يعقبه قصير فى حالة النغمة المسطحة ووصل الكلام ليحدث تلاؤم مقطعى من جديد ، ولهذه الأسباب نجد الوقع الحسن لتلك الصورة الصوتية حيث يتخلل هذا التماثل ذلك النوع من التخالف فى نسق متلائم . داخل متواليات

ثم نلقى نظرة أخيرة على التقسيم المقطعى من حيث الانفتاح والانغلاق فنجد أن المقطع الأول مغلق يعقبه مقطعان مفتوحان ثم تأتى ثلاثة مقاطع مغلقة يعقبها مقطعان مفتوحان ثم يأتى مقطعان مغلقان يعقبهما مقطع مفتوح ثم يأتى مقطعان مغلقان ثم يعقبهما ثلاثة مفتوحة فى حالة النغمة المسطحة ووصل الكلام ليحدث ذلك التناسق المتتابع وهكذا صورة صوتية سمعية متسقة من جميع الزوايا تتعاون كل جوانبها فى تكامل.

وهكذا من خلال التماثل يجىء التخالف فى تناسق بين الصوائت والصوامت كماً وكيفا حسب التقسيم المقطعى فتكتمل الصورة الصوتية السمعية من مجموع ما سبق على النحو الذى ندركه ولا نعرف أكثر من أن نقول إنه وقع موسيقى عذب على الأذن أو خفة على اللسان أو يرى العروضيون أنه يتمثل فى الوزن الشعرى أو يراه البلاغيون تحدرا للألفاظ تحدر الماء المنسجم وهكذا .

وإن كان اللغوى العربى القديم أو البلاغى وقف أمام شىء من هذا فحسبه هذا دلالة على حسه اللغوى المرهف وكفاه ما توصل إليه وإن كان ما قالوه يمثل فى الواقع جانبا واحدا وهو فى مجال التحليل العلمى أمره غامض فالحكم متروك للحسن حيث يختلف من حوله المختلفون وحتى لو قصرنا عليه وحده القول ففيه ما فيه من تحدٍّ للعرب أرباب البلاغة والفصاحة وصناع الكلام فلم يجىء مثل هذا الوزن الشعرى فى نثر بعضهم إلا مجرد صدفة وفى معارض بعض أقوالهم وقد لا تتكرر — ولكن ما جاء منه فى القرآن الكريم على هذا النحو الصوتى جاء فى كل الأغراض وفى مختلف المواطن إمعانا فى التحدى وإشعارا بالعظمة وبأن القرآن كله يمكن أن يجىء على هذا النحو — وعلى أى نحو شاءوا — ولكنه لم يجىء كله على هذا النسق وإلا لأعلنوا أنه غير جار على سنن قولهم وأنهم لا طاقة لهم إلا بما ألفوا وعهدوا فجاء منه على نحو ما جاء فى نثر بعضهم غير أنه جاء فى كل أغراض القول فليأتوا بمثله على أى نحو شاءوا — وفى أى غرض أرادوا فما داموا قد قبلوا التحدى — فما الذى يمنعهم؟

«وَإِذَا تُتلَى عَلَيْهِم آيَاتُنَا قَالُوا : قَد سَمِعْنَا لَو نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثلَ هَذَا »(١) .

فأين ما جاءوا به بل أين ما قاله أرباب الفصاحة والبلاغة منهم من قبل نزول القرآن أو من بعده .

فان ما قالوه بين أيدينا سواء من قبل أن ينزل القرآن أو من بعده فأين هو فى ضوء مثل تلك الملاحظات العامة بله التحليل العلمى .

وقد جاء فى القرآن الكريم على هذا النمط فى كل عرض — فلماذا لم يأتوا بما يقدرون عليه فى أى عرض فرادى أو مجتمعين والأكثر فإن باب التحدى ما زال مفتوحا لم يغلق ولن يغلق إلى يوم القيامة .

* * *

ومما جاء فى القرآن الكريم فى غرض الإخبار عن غيب يوم القيامة قوله تعالى :

« يَوْمَ التَّنَادِ ، يَوْمَ تُوَلُّونَ مدبرينَ »

فهذا القول الكريم من المضارع على نحو ما ذكره السيوطى وبناء عليه فان وزنه على النحو الآتى :

يومتت ناديوم توالون مدبرين
مفعول فاعلات مفاعيل فاعلات

بناء لغوى محكم يخبر عن يوم الآخرة يوم التناد ، وما يحدث فيه من أهوال وويلات فى نغم صوتى ذى نسق مبرز للدلالة من لحمة بناء أسلوبى متناسق فى قصص إلهى على لسان مؤمن آل فرعون يحذر بأس الله تعالى فى الدنيا والآخرة فقال : (يَاقَومِ إِنِّى أَخافُ عَلَيكُم مِثلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ) أى الذين كذبوا رسل الله فى قديم الدهر كقوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم من الأمم المكذبة (وما الله يريد ظلما للعباد) أى إنما أهلكهم الله تعالى بذنوبهم وتكذيبهم رسله ومخالفتهم أمره فأنفذ فيهم قدره ثم قال يَاقَومِ إِنِي أَخَافُ عَلَيْكُم يَوْمَ التَّنَادِ) .

والحمل هنا غايتها النصح والإرشاد تنطق فى نغمة تقريرية هابطة عميقة عمق إيمان مؤمن آل فرعون عندما تنطق مفردة وفى نغمه مسطحة عندما تنطق متصلة وفى كلتا الحالتين يتلقى المتلقى دفقة البناء اللغوى ذى النسيج المحكم والنسق الصوتى فيعيش إيحاء الدلالة وفيض الإيمان وتنوع الاستجابة بين معاند مستمر فى عدوانه ومؤمن يعيش معانى القول وإيحاء دلالاته .

---

(١) سورة الأنفال مكية ٨ — الآية رقم ٣١
(٢) سورة غافر — آية ٣٢ ٣٣
(٣) تفعيلات المضارع : مفاعيل / فاع لاتن ولكن فى أول البيت (الخرب) وهو حذف الميم فنقل إلى مفعول . وجاء على نحو مانرى .

وعلى نحو ما أخبرنا كتب التراث فيوم التناد يعنى يوم القيامة وسمى بذلك لما جاء فى حديث الصور إن الأرض إذا زلزلت وانشقت من قطر إلى قطر وماجت وارتجت فنظر الناس إلى ذلك ذهبوا هاربين ينادى بعضهم بعضا — وقال الضحاك بل ذلك إذا جئ بجهنم ذهب الناس هرابا منهم فتتلقاهم الملائكة فتردهم إلى مقام الحشر وهو قوله تعالى « والملك على أرجائها » وقيل لأن الميزان عنده ملك إذا وزن عمل العبد فرجح نادى بأعلى صوته ألا قد سعد فلان ابن فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا وإن خف عمله نادى : ألا قد شقى فلان ابن فلان . وقيل سمى بذلك لمناداة أهل الجنة أهل النار (أن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّمْ مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ) .

ومناداة أهل النار أهل الجنة (أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ) .

ولمناداة أصحاب الأعراف أهل الجنة — أهل النار كما هو مذكور فى سورة — الأعراف — واختار البغوى وغيره أنه سمى بذلك (يَوْمَ التَّنَادِ) لمجموع ذلك وهكذا قوله تعالى (يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ) أى ذاهبين هاربين (٣) .

تأمل كلمات قليلة جاءت مؤتلفة ذات انسجام بين عناصر بنائها اللغوى تؤدى أدورا وظيفية متعددة تتردد بين جنبات النفس شفاء للصدور وتستقر فى القلب إقناعا للعقل وإيمانا بالغيب وكشفا لحجبه وبصيرة بما وراء ستره وهكذا من خلال وقع النغمة وأتلاف المقاطع وإنسجام البناء وتماسكه يحدث المراد من خلال عناصر الصورة الصوتية السمعية ودلالتها المعنوية فى اكتمال وتناسق .

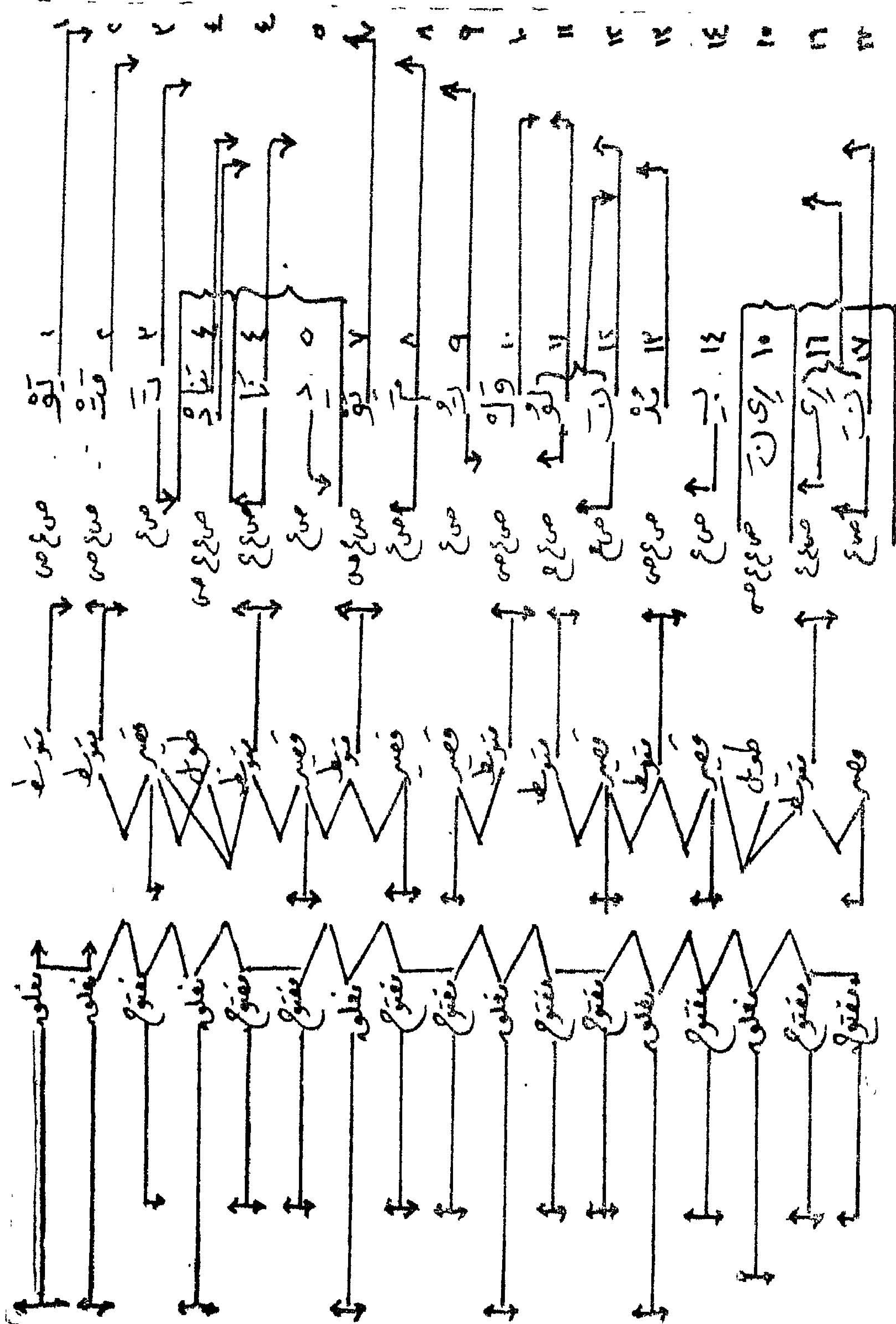
وفى ضوء هذا نلقى نظرة على عناصر البناء اللغوى من خلال نسيجه المقطعى .

---

(١) انظر التفاسير السابقة — واقرأ مختصر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٤٣

(٢) السابق واقرأ مختصر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٤٣

(٣) اقرأ التفاسير السابقة — تفسير الفخر الرازى — القرطبى — وابن كثير ، والكشاف ... الخ. ومختصر تفسير ابن كثير (السابق) ج ٣ ص ٢٤٣ —



يكشف التحليل المقطعي الذي أمامنا عن الجوانب الآتية :

١ ـ من حيث الصوامت والصوائت :

بين مقطع (١) ومقطع (٧) تجانس استهلالى تام فى صوامتهما وصوائتهما معا . وكذلك (٢) و (٨) بينهما تجانس استهلالى وكذلك (٣) و (٩) بينهما تجانس استهلالى فى الصامت وتخالف فى الصائت فالثالث يعتمد على الحركة الأمامية القصيرة المتسعة ـ والتاسع يعتمد على الحركة الخلفية القصيرة الضيقة وكذلك بين المقاطع (٤) و (١٢) و (١٧) تجانس استهلالى وبين العاشر والحادى عشر تجانس من نوع ما ـ وبين الحادى عشر والثانى عشر معا ـ فى مقابلة السادس عشر والسابع عشر أيضا تجانس يتخلله نوع من التخالف على النحو الآتى : فصامت الأول لثوى جانبى مجهور من النوع المتوسط وصامت الثانى لثوى تكرارى مجهور من النوع المتوسط كذلك(١) . ويعتمد الأول على الحركة الخلفية الضيقة الطويلة على حين يعتمد الثانى على الحركة الأمامية الضيقة الطويلة .

وهذه الأسباب مجتمعة نجد أن لهذا التجانس مع ما يحدثه من تماثل وما يتخلله من تخالف تلك الصورة الصوتية .

أما من حيث الصوائت وتجانس الحركات وأثرة فنجد التجانس على النحو الآتى :

نجد تجانسا فى الحركات بين المقاطع : (٣) و (٤) و (٨) (١٢) و (١٧) فكلها من نوع واحد وهو الحركة الأمامية المتسعة ما بين قصيرة وطويلة .

وكذلك بين مقاطع : (٦) و (١٤) و (١٦) تجانس فهى من نوع واحد وهى الحركة الأمامية الضيقة ما بين القصيرة والطويلة وكذلك بين مقطعى (٩) و (١١) تجانس فهى من نوع واحد وهى الحركة الخلفية الضيقة ما بين القصيرة والطويلة .

ولكل هذا دوره فى إحداث الصورة الصوتية السمعية .

ثم ننتقل إلى التقسيم المقطعى من حيث الكم فنجد تجانسا على النحو الآتى : المقاطع (١) و (٢) و (٤) و (٧) و (١٠) و (١١) و (١٣(و (١٦) كلها مقاطع متوسطة وهذا يحدث تماثلا بين المقاطع يتخلله ذلك التخالف الذى تحدثه المقاطع القصيرة الآتية : (٣) و (٥) و (٨) و (٩) و (١٢) و (١٤) و (١٧) ولا سيما عندما يأتى التخالف من خلال التماثل على النحو الآتى بين (٢) و (٣) وبين (٣) و (٤) وبين (٤) و (٥) وبين (٥) و (٦) . وبين (٦) و (٧) وبين (٧) و (٨) وبين (٩) و (١٠) وبين (١١) و (١٢) وبين (١٢) و (١٣) وبين (١٣(و (١٤)

---

(١) انظر مناهج البحث فى اللغة . د . تمام حسان ص ١٠٤ / ١٠٥ يتصعد بالتوسط اتساع مجرى الهواء الخارج من الرئتين حالة النطق بالصوت ـ (السابق) .

وبين (١٤) و (١٥) وبين (١٥) و (١٦) وبين (١٦) و (١٧) — فهذا التخالف في ذلك التماثل يحدث ذلك التناسق الذي تحسه ولا ندرك كهنه .

أما النظرة الأخيرة على التقسيم المتعاطي فهي من حيث الانفتاح والإنغلاق يأتي التماثل في التخالف على النحو الآتي مغلقان يعقبهما مفتوح . ثم مغلق يعقبه مفتوحان ثم مغلق يعقبه مفتوحان ثم مغلق يعقبه مفتوحان — ثم مغلق يعقبه مفتوح . وفي النهاية مغلق يعقبه مفتوحان .

من كل ما مضى يحدث التناسق المتتابع في إحداث الصورة الصوتية السمعية المتسقة من جميع زواياها ومما جاء في القرآن الكريم على هذا النمط .

في غرض مقابل للذي مر — وفي معرض الإخبار عن أحوال الأمم السابقة وتاريخهم وما حل بهم وآثارهم .

قال تعالى :

« فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ »[١] .

فهذا القول الكريم من البحر البسيط على نحو ما ذكر جلال الدين السيوطي — وأما تفعيلاته فتجيء على النحو الآتي :

« فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ »[١] .

فأصبحوا : (مُتَفْعِلُنْ)	لايرى : (فَاعِلُنْ)
اللامسا : (مُسْتَفْعِلُنْ)	كنهم : (فَعِلُنْ)

والخلفية الثقافية يساعد على إبرازها ذكر صاعقة عاد — عندما أجابوا هودا قائلين «أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ» أي أنهم استعجلوا عذاب الله وعقوبته استبعادا منهم وقوعه (فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا) أي لما رأوا العذاب واستبشروا به — وقد كانوا ممحلين محتاجين إلى المطر — فقال تعالى : (بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا) — أي هو العذاب الذي قلتم (فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) — ريح فيها عذاب أليم تخرب كل شئ في بلادهم بأمر مرورها أي بأذن الله لها في ذلك ، (مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ) ولهذا قال عز وجل : (فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ)[٢] أي هذا حكمنا فيمن كذب رسلنا وخالف أمرنا (٣) ونستطيع أن نتصور ما تنبثق عنه الدلالة من خلال الخلفية الثقافية عندما نستعرض هذه المأثورات : قال أبو وائل : وكانت المرأة والرجل إذا بعثوا وفداً لهم قالوا : لا تكن كوافد عاد(٤)

---

(١) سورة الأحقاف . آية ٢٥

(٢) التفاسير السابقة — ومختصر ابن كثير ج ٣ ص ٣٢٢ — (٣) انظر السابق —

(٤) أخرجه الإمام أحمد بن الحارث البكري ، وهو حديث غريب كما قال ابن كثير من غرائب الحديث وأفراده — السابق

وروى الإلام أحمد عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : ما رأيت رسول الله (ﷺ) مستجمعا ضاحكا حتى أرى منه لهواته إنما كان يبتسم ؛ وقالت كان رسول الله ﷺ إذا رأى غيما أو ريحا عرف ذلك فى وجهه . قالت : يارسول الله إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر ، وأراك إذا رأيته عرفت فى وجهك الكراهية — فقال رسول الله (ﷺ) بإعائشة ما يؤمننى أن يكون فيه عذاب — قد عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب وقالوا هذا عارض ممطرنا) وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ . إذا عصفت الريح قال : اللهم إنى أسألك خيرها ، وخير ما فيها ، وخير ما أرسلت به ، وأعوذ بك من شرها ، وشر ما فيها ، وشر ما أرسلت به) — قالت :وإذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر — وإذا أمطرت سرى عنه — فعرفت ذلك عائشة رضى الله عنها — فسألته — فقال رسول الله ﷺ «لعله ياعائشة كما قال قوم عاد : (فلما راوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا »[1] . فليست القضية قضية وزن شعرى أو انسجام وحدات صوتية فحسب وإنما هى دلالته تنبثق عن صورة صوتية خاصة بها تعمق معناها ويترك أثرها صدى قويا لايمحى .

وهكذا جاءت وحدات البناء على الرغم من قوة ما تحمله من دلالة تنساب فى نغمة عذبة ورصانة صوتية لتأتلف عناصرها فى بناء محكم تتعاون فيه كل الأجزاء فى إعطاء دلالة هى عبرة زاجرة وعظة بالغة لكل من كان له قلب أو ألقى السمع .

والقول القرآنى الكريم هنا ينطق . بنغمة تقريرية هابطة عميقة مع الضغط على مقطعى (إلا) والمقاطع الأخيرة بعد الحركة الطويلة الممتدة المتسعة (مساكنهم) فيتلقى المتلقى تلك الدفقة اللغوية على هذه الكيفية فيعش إيحاء الدلالة فى فيض قدرة القدير . . . — وغفلة الانسان عما يحيط به من حوله وعما ينتظره من غيب لا يعرف من أمره شيئا .

وإن البناء القرآنى هنا يفوق كل بديل من حيث طرح البدائل ووظيفة كل عنصر فى موقعه فالفاء لها وظيفتها التعليقية فى الربط بين أجزاء التركيب فقد ربطت هذا بالسابق عليه — (تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا .) وفعل أصبحوا — هنا لا يغنى غيره غناءه — من حيث الوظيفة النحوية والصرفية التركيبية وإيحاء الدلالة — فكأنهم لم يستغرقوا سوى سواد ليل . ودمروا فى عشية دون أن

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه = (السابق) .

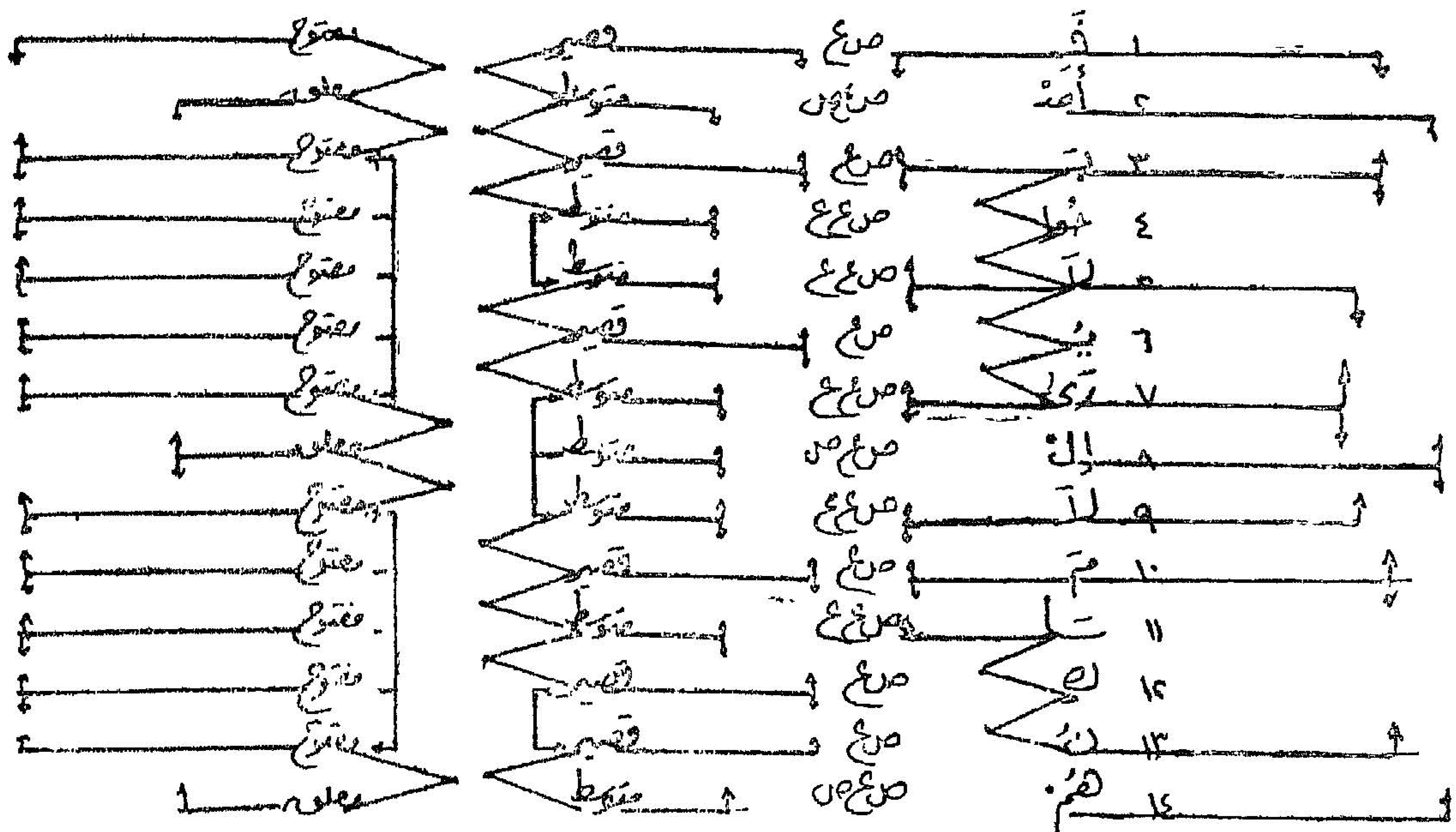
يدركهم ضحاها . . كما أن استخدام الفعل المضارع المنفى المبنى للمجهول ذى الوظيفة التركيبية التعليقية المعروفة (لا يُرَى) لا يؤدى غيره أداءه فقد ربط ما قبله بما بعده دون حاجة لاستخدام أداة معه[1] كما أن البناء للمجهول يوحى بالتعميم . كما أن استخدام إلا الاستثنائية فى استثناء مفرغ منفى على هذه الصورة بالإضافة إلى أنه يفيد الحَصْر إلا أن الدلالة بعد تمام البناء تؤكد أنهم قد استؤصلوا وتوحى بما هو أبعد بأن حياة الأحياء الأخرى نفسها ربما قد قضى عليها ، ولم يبق لها أثر (فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم) .

وأسأل ألسنا نستعمل فى كلامنا كلمة مساكن مفردة أو مجموعة وكلمة أصبح مسندة أو غير مسنده وأداة الاستثناء إلا والفعل يرى فى كل حالاته مبنيا للمجهول أو للمعلوم ؟ . . هل المسألة إذن مسألة وزن ناشئ عن مفردات كما يظن بعضهم أو مسألة تحدر كلمات . . . إنه بناء لغوى أحكم ثم فصل وتفاعلت فيه أدق العناصر وأعلاها ليؤدى كل عنصر دوره حتى كيفية النطق وطريقة الأداء وما يقام عليه من خلفية ثقافية . . . كل ذلك يتعاون فيما بينه لتنبثق الدلالة عن تمام بناء هى أدل ما يكون عما يراد . . . ولو أديرت ألسنة الخلق على أن تبدل عنصرا مكان عنصر ما كان وهنا تتجلى عظمة البناء فى أنه يفوق كل بديل — وفى ضوء ماسبق نلقى نظرة على عناصر البناء اللغوى من خلال نسيجه المقطعى

---

(١) انظر عالم اللغة : عبد القاهر الجرجانى : الاتجاه التحديدى فى الدراسة الصرفية عنده .

(٢) القراءة سنة .. ، اقرءوا كما قرأ أوائلكم .. ، القرآن تلق وأداء ... ...



يكشف هذا التحليل المقطعي عن شيء مخالف لما مضى — فعندما نلقى نظرة على الصوامت نجد أنه لا يوجد تجانس تام استهلالى أو غيره باستثناء مقطعى (٢) و (٩) — ومع ذلك يأتى التجانس غير التام بين المقاطع ليؤدى دوره الذى لا يعدله دور والذى يفرق كل بديل فبين المقاطع (٢) و (٨) و (١٤) تجانس غير تام حيث إن الصامت فى الثانى والثامن هو الهمزة ولكن الحركة التى يعتمد عليها كل منهما مختلفة فهى فى أولهما: أمامية قصيرة متسعة ولكنها فى الثانى منهما أمامية قصيرة ضيقة على حين أن الصامت فى الثالث منهن مختلف حيث إنه (هاء) ولكن عناصر التشابه بين الصوتين أدت دورها فالهمزة : صوت حنجرى شديد مهموس مرقق[1] أما الهاء فهى صامت حنجرى رخو مهموس [2] مرقق .

---

(١) بخصوص جهر الهمزة وهمسها هناك خلاف بين المحدثين من اللغويين بشأنها — فمن اللغويين العرب المحدثين من يراها مهموسة ومنهم د. تمام حسان — ومنهم من يراها لابالمجهورة ولابالمهموسة ومنهم د. كمال بشر.

أما علماء العربية القدماء فانهم يرونها مجهورة — وقدعرضت رأى القدماء هنا حيث إن وصفهم مرتبط بالقرآن ومستمد من نطقه كما نطقه الأولون ونحن هنا بصدد الحديث عن ظواهر قرآنية .

(٢) فى القراءة القرآنية يكون صوت الهاء مجهورا — مناهج البحث . د. تمام حسان ص ١٣١ ولكن فى النطق العادى فى مصر صوت الهاء مهموس انظر علم اللغة مقدمة د. السعران ص ١٩٥

كما أنه بين عناصر المقاطع (١) و(٣) و (١٠) و (١٣) من الخصائص المشتركة ماله دوره القوى فى ذلك : فالفاء فى المقطع الأول : صامت شفوى أسنانى رخو مهموس مرقق .

والباء فى المقطع الثالث : صامت شفوى شديد مجهور مرقق .

والميم فى المقطع العاشر : صامت شفوى أسنانى أنفى مجهور مرقق .

والنون فى المقطع الثالث عشر : صامت أسنانى أنفى مجهور مرقق .

ولكن الحركة التى اعتمدت عليها المقاطع الأربعة واحدة فقد اعتمدت على حركة أمامية قصيرة متسعة .

أما المقطع رقم (٧) فان بين خصائص صامته المشتركة وخصائص صامت المقطعتين (٥) و (٩) ما يؤدى دورا قويا فى ذلك أيضا : فان اللام : صامت لثوى جانبى مجهور — وكذلك الراء : صامت لثوى تكرارى مجهور — وفى كليهما يمر الهواء دون انحباس أو احتكاك ذلاتساع مجرى الهواء دوره أيضا .

وعنـــدما نلقى نظرة أخرى على تجانس الحركات نجـــد أن التجانس بينها قوى فالحركة واحدة فى المقاطع (١) و(٣) و (٥) و (٧) و (٩) و (١٠) (١١) فهى أمامية متسعة تتراوح بين الطول والقصر — ثم تأتى حركة مقطع (٤) لتصنع مع حركتى (٣) و (٥) تخالفا فهى خلفية ضيقة طويلة — فيحدث ذلك التخالف دورة بين هذا التماثل ثم تأتى حركة مقطع (١٢) لتصنع تخالفا بين حركتى مقطعى (١١) و (١٣) فحركة مقطع (١١) أمامية متسعة طويلة تعقبها حركة مقطع (١٢) أمامية ضيقة قصيرة ثم تعقبهما حركة مقطع (١٣) خلفية ضيقة قصيرة وهكذا يحدث التناسق بين التماثل والتخالف فى تداخل متسق يؤدى كل دوره فى إحداث الأثر الصوتى داخل تلك الصورة .

ثم نلقى نظرة على التقسيم المقطعى من حيث الكم فنجد أن المقاطع (١) و (٣) و (٦) و (١٠) و (١٢) و (١٣) مقاطع قصيرة يتم بينها تماثل على نحو ما — ثم نجد أن المقاطع (٢) و (٤) و (٥) و (٧) و (٨) و (٩) و (١١) و (١٤) متوسطة فيتم بينها أيضا تماثل ما ثم يحدث داخل

هذا التماثل نوع من التخالف على النحو الآتى : بين (١) و (٢) ثم بين (٢) و (٣) ثم بين (٣) و (٤) ثم بين (٥) و (٦) ثم بين (٦) و (٧) - ثم بين (٩) و (١٠) و (١١) ثم بين (١١) و (١٢) ثم بين (١٣) و (١٤) ومن مجموع هذا يحدث ذلك الأثر الصوتى كذلك -

ثم نلقى نظرة على نوع المقطع من حيث الانغلاق والانفتاح فنجد أن المقاطع (١) و (٣) و (٤) و (٥) و (٦) و (٧) و (٩) و (١٠) و (١١) و (١٢) و (١٣) مقاطع مفتوحة يحدث بينها تماثل يتخلله تخالف المقاطع المغلقة (٢) و (٨) و (١٤) على النحو الآتى بين (١) و (٢) وبين (٢) و (٣) وبين (٧) و (٨) وبين (٨) و (٩) وبين (١٣) و (١٤) .

ومن مجموع كل ما سبق يحدث ذلك التناسق المتتابع فى إحداث الصورة الصوتية المكتملة فى بناء لغـوى متماسك فى تناسق تنبعث من تمامه الدلالات المعنوية بإيحاءاتها وما يتخللها من إشعاعات وظلال معان - فللانسجام الصوتى وظيفته الدلالية فى تعميق المعنى وترسيخه .

فلم يعد الشأن شأن وزن أو ألفاظ ترص فحسب . . .

وننتقل إلى قول قرآنى كريم أخرجاء موزونا وقد ذكره السيوطى أيضا فى السابق .

ومن حيث الغرض فقد جاء على النقيض من الغرض السابق حيث جاء مخبرا عن مستقبل ومبشرا بغيب تحقق وفى هذا ما يكفى إ. . . -. . وهو قوله تعالى :

« قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ »[1] .

فقد أمد بنو أمية حلفاءهم من كنانة بالسلاح والطعام ونكثوا أيمانهم ، وأعانوا بنى بكر على خزاعة حلفاء الرسول ، وقتلوا من الخزاعيين أقواما . . -- . .

. . وخرج عمرو بن سالم الخزاعى فى نفر إلى النبى ﷺ ليخبره بما كان . . - . .[2]

وهنا بشر الله نبيه فى ذلك البناء اللغوى ذى النسق المحكم - بفعل أمر جوابه مجزوم بمعنى المجازاة ويتكرر المضارع لتتكرر المجازاة وتؤدى الواو دورها المورفيمى

(١) التوبة آيات ١٢ ، ١٣ ، ١٤ .
(٢) انظر القرطبى ج ٤ ص ٢٩٢٤

فى التعليق بين وحدات الأفعال المضارعة المترابطة المكونة جملا مفرغة إفراغا واحدا فى بناء أسلوبى محكم تنبثق منه الدلالة التى تبشر المؤمنين بما سيحل بأئمة الكفر وبما سيشفى آلام بنى خزاعة ويذهب غيظ قلوبهم .

« قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين» فهذا القول الكريم من البحر الوافر على نحو ما ذكر السيوطى — وبناء عليه فتفعيلاته تجئ على النحو الآتى :—

ويخزهم — وينصركم — عليهم — ويشف صدو
مفاعلتن — مفاعلتن — فعولن — مفاعلتن

رقوم من مؤ — منين
مفاعلتن — فعولن(١)

وتفعيلات الوافر هنا على نحو ما نحس وكأنها تأتى متتابعة فى قوة توحى بالتأكيد ليخرج من الخصوص إلى العموم فالبناء اللغوى هنا جاء بنتظيم قانونا إلهيا عاما فى المؤمنين كلهم وفوق هذا فهو يحمل الحض على قتال المشركين الناكثين بأيمانهم ويغرى بهم ، فى أى زمان حتى تستقر كلمة الله هى العليا فى الأرض إلى يوم الدين (٢) .

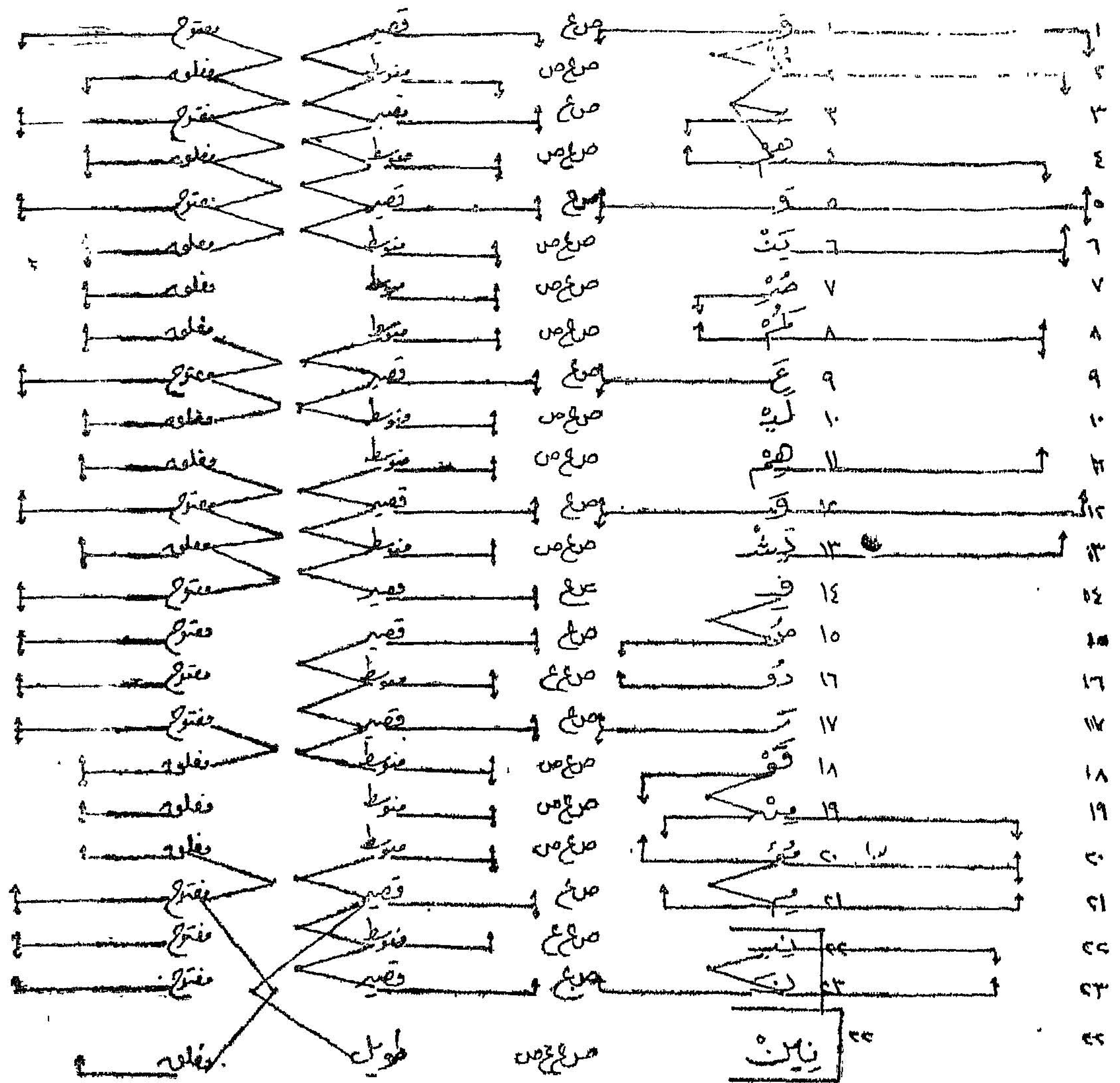
وعلى نحو ما سبق فان من تمام الدراسة الصوتية دراسة التنغيم وكيفية النطق ، والقول القرآنى الكريم هنا يعد من الناحية التركيبية جملا متعددة يمكن أن نقف عند تمام كل واحدة منها ويمكن أن تقرأ معا فى سلسلة من الأصوات متعاقبة والنغمة فى الحالتين سواء كانت نغمة هابطة أو نغمة مسطحة وظيفتها فى إبراز الدلالة — والواو فى الحالتين وظيفتها التعليقية فى الربط بين الجمل — غير أن وظيفة الواو هنا من الناحية التركيبية الصوتية تشير إلى إمكانية وقفة معلقة (Tentative Pause) ومعناه أنها تشير إلى أبنية التحديد والوصف (modification) فعندما تأتى موقعية الواو عاطفة قوله تعالى (ويخزهم) على جواب الأمر (يعذبهم الله بأيديكم) فان قيمة الوقفة المعلقة هنا تفوق من حيث الوظيفة الدلالية جملا بتمامها وكذلك عندما يأتى القول الكريم على نفس النحو (وينصركم عليهم) ويأتى بعده (ويشف صدور قوم مؤمنين) فان أبنية التحديد والوصف كلها تنضم إلى جواب الأمر الصادر عن الله سبحانه وتعالى (قاتلوهم) ويمتد النفس بالحركة الأمامية المتسعة مع القاف ما شاء له أن يمتد ثم يأتى الضغط على المقطع الثانى ويمتد بعده النفس بالمقطع الثالث فى حركة خلفية ضيقة .

---

(١) من البحر الوافر .
(٢) انظر التفاسير السابقة .. وأقرأ مختصر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٢٩

.. ثم يأتى التركيز فى شدة على مقطع (هم) محدداً لطبيعة صيغة الأمر هنا مشيرة دلالته إلى من صدر عنه وإلى من صدر إليه فمن أصدره القاهر القادر المطاع ومن تلقاه السامع المطيع وبذلك يستمر القانون الإلهى منتظماً المؤمنين فى كل زمان ومكان .

فلو نظرنا إلى القضية من حيث طرح البدائل من أصغر عنصر إلى أكبر وحدة لغوية ووضعنا فى الاعتبار الخلفية الثقافية فاننا نجد أن البناء القرآنى يفوق كل البدائل هذا بالإضافة إلى الانسجام بين عناصره وأتلاف وحداته التى لم تجىء لمجرد الانسجام أو الوزن أو حسن الوقع .



ص ح
ص ح ص
قصير
متوسط
مفتوح
مغلوق
طويل
ص ح ح ص

شيء يدعو للتأمل فإن الوزن العروضي الذين ظنوه سبب الانسجام — قائم وموجود شأن البقية، ولكن أين أشياء أخرى كثيرة! أين التجانس الاستهلالي في المقاطع أو غيره — إنه قليل على نحو ما نرى في الصوائت والصوامت معا ومتباعد كذلك كما أن التماثل والتخالف بين طع ألمة قليل ومتباعد كذلك — ومع ذلك فالتناسق بين عناصر البناء موجود اذن ليست في الوزن العروضي ولا في كثرة مقاطع الاستهلال و . ى كثرة مقاطع التماثل والتخالف — وإنما هو تناسق يتم بين العناصر وفق ما يتلاءم مع وضع كل حال من تفاعل وفق قواعد وأحكام — ومن هنا ندرك سبب ما نحسه في قول بعضهم من تكلف وعدم استجابة النفس أو استراحتها لأنواع من المحسنات قد يثقلون بها أقوالهم ظنا منهم أن فيها الحسن جريا وراء التقليد

ولكن عندما ننتقل إلى كم المقطع ونوعه فإننا نفاجأ بإن الاتساق في كم المقطع ونوعه من حيث التماثل والتخالف داخل التماثل جاء في دقة تامة محكمة من مقطع (١) حتى بداية مقطع ١٦ ثم يأتي بعد ذلك تراوح في المقاطع بحيث أننا نجد التخالف يتسق مع التماثل في تبادل بين الكم والكيف :

ولو أعدنا النظر على كم المقطع لوجدنا قصيرا يعقبه متوسط، ثم قصير يعقبه متوسط ثم قصير يعقبه متوسط — ثم متوسطان يعقبهما قصير أي أن مامر تخالف في تماثل لينتهي بثلاثة مقاطع متوسطة متماثلة ثم يأتي قصير يعقبة متوسطان ثم يأتي قصير يعقبه متوسط ثم يأتي قصيران يعقبهما متوسط — ثم يأتي قصير يعقبة ثلاثة مقاطع متوسطة —

— وكمية المقاطع هذه هي الدفقات الصوتية التي نحسها وكأنها توحي بالتأكيد والقوة معا وهي التي يخرج من بينها عناصر الاتساق الصوتي فيظنها بعضهم تحدر الكلام تحدر الماء المنسجم .

ولو نظرنا إلى المقاطع من حيث الانغلاق والانفتاح وهو الذي يحدث الوضوح[1] في السمع لوجدنا انفتاحا يعقبة انغلاق ثم انفتاحا يعقبه انغلاق ثم انفتاحا يعقبه ثلاثة مغلقة ثم انفتاحا يعقبه مغلقان ثم انفتاحا يعقبة مغلق ثم أربعه مقاطع منفتحة معاً يعقبها ثلاثة منغلقة — وفي النهاية انفتاح وانغلاق حسب نوع النغمة ما بين هابطة ومسطحة ومن تفاعل الوضوح السمعي مع قوة النطق تتحقق الوظفية الدلالية التي تنبعث في النفس قوة في اليقين ورسوخا في الإيمان تنبعث عنها الاستجابة العملية لأمر الله سبحانه وتعالى (١) .

(١) لسنا هنالك بصدد الحديث عن وجهات نظر المدارس اللغوية سواء الا جتماعية أو السلوكية أو غيرها.. ولكن من المسلم به لدى اللغويين أن اللغة ردود أفعال — سواء كان عن طريق المثير والاستجابة أو غير ذلك .

فعندما يحدث نتيجة لتفاعل العناصر على هذه الكيفية نوع من الوزن العروضى أو الإيقاعى فهل يقام له اعتبار وسط كل هذه العناصر اللغوية المحكمة الدقيقة داخل هذا الكل المعقد على نحو ما نرى .

* * *

ومما جاء مخبرا بغيب مبشرا بقدرة الله ونعمته، فى بناء لغوى محكم ذى نسق صوتى يعطى من ظلال المعانى وإيحاءاتها ما يمكن أن يملأ صفحات، ما جاء على لسان يوسف عليه السلام عندما طلب من إخوته أن يذهبوا بقميصه فيلقوه على وجه أبيه ...

فقد حكى ابن السدى عن أبيه عن مجاهد أن جبريل أخبر يوسف أن أرسل قميصك فإن فيه ريح الجنة ، لأنه قميص ابراهيم عليه السلام الذى ألبسه له الله فى النار وقد كان إسحق كساه يعقوب وكان يعقوب أدرجه فى قصبة من فضة وعلقه فى عنق يوسف عليه السلام لما كان يخاف عليه من العين وحمل يهوذا القميص وقال ليوسف أنا الذى حملت إليه قميصك بدم كذب فأحزنته . وأنا الذى أحمل هذا الآن لأسره ، وليعود إليه بصره فحمله (١)

ولنستمع إلى النسق اللغوى الذى جاء على لسان يوسف عليه السلام فى قول الله عز وجل : « فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا (٢) ».

وعلى نحو ما ذكر السيوطى فإن القول القرآنى الكريم من بحر الهزج — وعلى هذا تكون تفعيلاته على النحو الآتى :

فألقوهُ/ على وجهِ/ أبى يأتِ/ بصيرَنْ

مفاعيلُ / مفاعيلُ / مفاعيل / مفاعلْ

والأمر ليس أمر وزن شعرى وإنما يجب أن ينظر إلى القضية نظرة أعمق .

إن البنية النحوية للبناء اللغوى هنا تأتى وفقاً لعرف اللغة المتبع فى صيغ متبعة والفاظ مألوفة وموقعية معروفة إلا أن الذى ينشأ بعد ذلك معجز بكل المعايير — ومن المعلوم أن البراعة فى أساليبنا نحن البشر تأتى بسبب التفنن فيها بالخروج على المألوف وذلك يكون إما بالتفنن فى الاختيار أو التنوع فى الموقعية أو المطابقة أو غير ذلك مما يتصل بالتفنن فى أنواع الأبنية وأنماط الأساليب — أما الوسائل الصياغية المنتظمة — والتى يطاق عليها systematic formal devices) فانها لا ينشأ عنها الا الصحة المصطنعة (artificial Correctnes)

---

(١) اقرا القرطبى ج ٤ ص ٣٤٨٧ / ٢٤٨٨

واقرأ غيرة من التفاسير — وقد حكاه السدى عن أبيه عن مجاهد .

(٢) سورة يوسف آية ٩٣

وهى ما تعرف بمرتبة الصحة التى تعلو الفساد [1] – أى هى مرتبه لا ينشأ عنها الا مجـرد الصحة والصـواب والبعد على الخلل والفساد فقـط – إلا أن البناء الذى أما منا ليس بناء عاديا بل هو معجز بكل المعايير – على الرغم من أن العناصر البنائية والصيغ المستعملة داخل البناء عناصر معروفه وتعبر عن علاقاتها النحوية المألوفة وتؤدى وظائفها التى يدركها كل من يتعلم العربية – وكذلك المعانى المفردة التى تؤديها الصيغ هى معان معروفة وصيغها صيغ مألوفة إلا أن البناء بعد تمامة و ما يتمخض عنه من دلالة وإيحاء وما يظلله من ألوان المعانى يهز وجدان المتلقى من أعماقه . فماذا تجدد فى هذا البناء « إِذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكُم أَجْمَعِينَ » .

لنذهب إلى ما هو أبعد و نعرض عناصر البناء على التحليل اللغوى المعروف لنرى ماذا تجدد (اذهبوا بقميصى هذا) جملة فعلية تامه يمكن الوقوف عليها بوقفه معلقه (tentative Pause) : واذهبوا جملة فعلية فاعلها مضمر فيها وفعلها فعل أمر عدى بالباء إلى قميصى واسم الإشارة (هذا) جاء بعد المبدل منه، من حيث الصيغ وطرق التعليق والموقعية (Word order) ليس فى كل هذا أمر غير معروف ، كله معروف مألوف – ثم تأتى الفاء فى رأس الجملة الفعلية التالية لتؤدى وظيفتها التعليقية والدلالية على النحو المعروف كذلك – وتأتى جملة الأمر (ألقوه) فى تسلسلها المطلوب ثم يأتى الجار والمجرور والمضاف إليه ليحدد الجهة – ويأتى جواب الأمر مضارعاً مجزوما ثم يأتى الحال فى موضعه منصوبا – وتأتى بعد ذلك الواو لتؤدى وظيفتها التعليقية وتربط جملة الأمر هنا بسابقتها ويعدى فعل الأمر هنا بالباء – ويأتى التوكيد بأجمعين فى نهاية العبارة.

فى ضوء المعايير المألوفة ليس هناك شيء مجهول على العربى أو حتى على الأعجمى الذى يتعلم أنماط التراكيب العربية ذات الوسائل الصياغية المنتظمة فقط (Systimatic Formal devices) كل شيء معروف – ومع ذلك لا يقدر أحد على أن يأتى بمثله – ومثل ذلك الوزن الشعرى أمر يعرفونه وفى مقدورهم فليست المسألة مسألة مفردات تنتقى أو صيغ تختار ويعلق بينها فالقرآن الكريم لم يخرج عن قواعد النحو وإنما إعجازه جاء من خلال اتباعها وأنه جار على قواعدهم وأن الفاظه وصيغه من بين ما يرددونه ولكن عند ما يكتمل البناء لا يقدر أحد على الاتيان بمثله

---

(١) مما يطلقون عليه فى علم الأسلوب مصطلح انحراف الأسلوب ومعناه مخالف الأسلوب ومفارقته (Departure) أى انحراف (Deviation) عن النمط المعيارى (normal) وتبدو انبراءة المنشيء من خلال المقارنة الصريحة splitic Comparision أو المقارنة الضمنية implicit Comparision بينهما أنظر الأسلوب سعد مصلوح ص ٢٨/٢٧ وما بعدها والأسلوبة والأسلوب للمسدى –

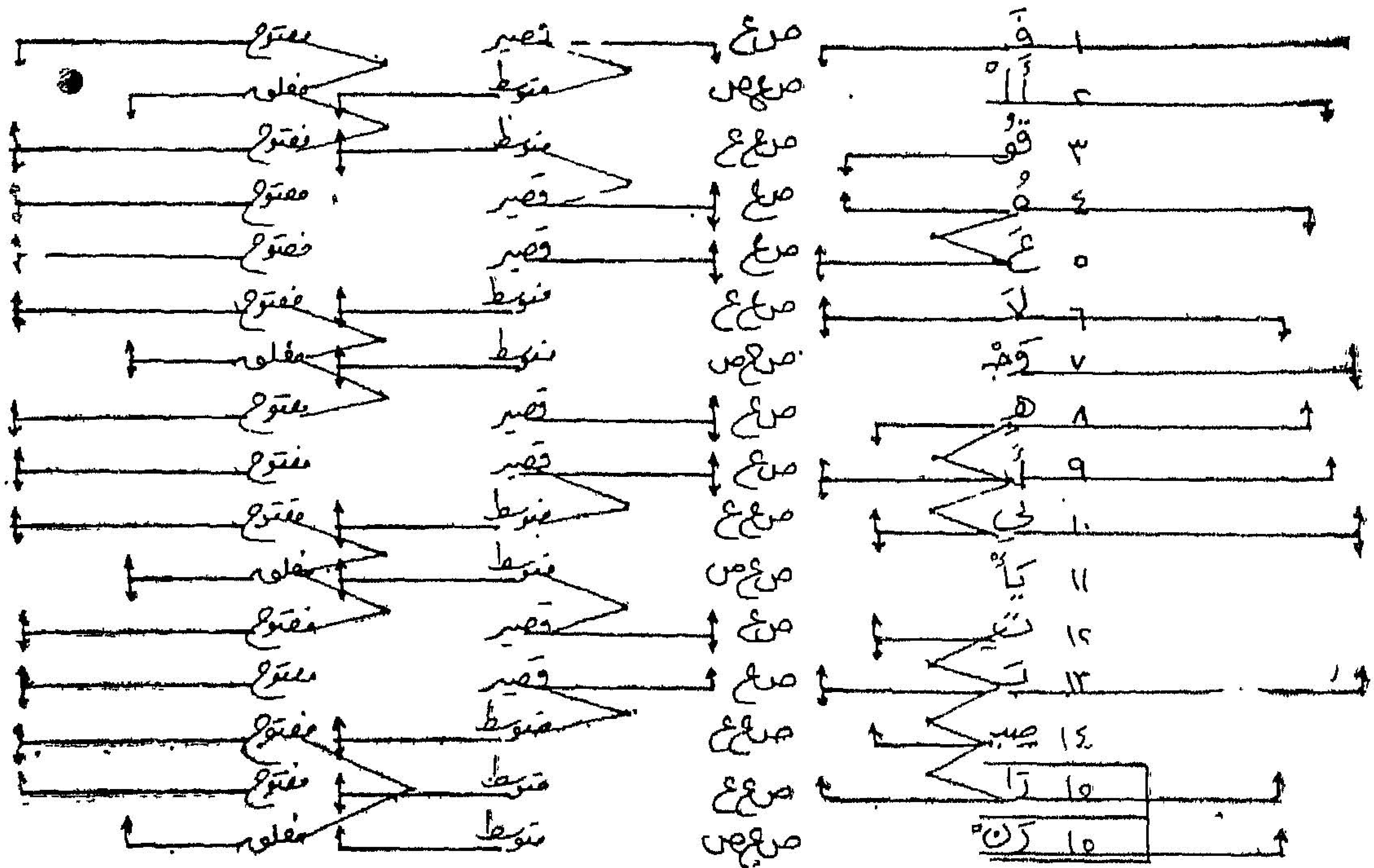
وكتابنا اسلوب طه حسين فى ضوء الدرس اللغوى الحديث .

(٢) انظر مراتب النظم عند عبد القاهر الجرجانى فى كتاب عالم اللغة ص ٢١٤

فالعبره فى مجموع الأبنية وما ينبثق عنها من دلالة يؤدى فى إبرازها كل عنصر من عناصر البناء منطوق أو غير منطوق حتى الموقعية لها وظيفتها فى ذلك وكذلك الإشارة وحركة الجسم وغير ذلك مما يعد جزءاً من اللغة وإن لم يكن لغة — من فى مقدوره أن ينبىء عن غيب، ويقدر على عمل معجزة ليس ذلك فى استطاعة أحد غير الله، من يقدر على إبراء الأكمة؟ — ورد بصر الأعمى؟ إنها قدرة الله — ثم تأتى الخلفية الثقافية تفيد بعدا جديدا — فإن فضل الله يسبغه على من يشاء من عباده .

— (وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونَ) —[1] هكذا إعجاز فى إعجاز .

وهاك التركيب المقطعى :



(١) يوسف آية ٩٤

إن التجانس الاستهلالى هنا فى صوامت المقاطع قليل على نحو ماترى ولا سيما إذا أردنا تجانساً تاماً فلا نجد إلا بين المقطع الثانى والتاسع وأما المقاطع الأخرى فان اتحد صامتها فقد اختلف صائتها على نحو ما ترى فى مقطعى (١٠) و (١٣) ، ومقطعى (٤) و (٨) — وماعدا ذلك فلانجد تجانساً بالمعنى التام وإنما نجد نوعاً ما من اتحاد الخواص والصفات بين المقاطع فعلى ما هو معروف فإن وحدات الفونيم تعد من وحدات النظام الصوتى المعقد فنجد أن الوحدة الواحدة بينها وغيرها عدة تقابلات وعدة تماثلات وتجمعها خصائص إما فى المخرج وإما فى مجرى الهواء وإما فى الصفات — لذلك فالأسهم تشير إلى الصفات المشتركة بين المقاطع فى الاتجاهات التى توضحها .

والصوائت نجـــد التجانس فيها قليلا ومع ذلك يخرج التخالف من خـــلال التماثل على نحو متسق فبين المقطعين الرابع والخامس تخالف فالرابع حركة — — خلفية ضيقة قصيرة والخامس أمامية ضيقة قصيرة ثم بين الثامن والتاسع والعاشر تخالف فحركة الثامن أمامية ضيقة قصيرة وحركة التاسع أمامية قصيرة مفتوحة وحركة العاشر أمامية ضيقة قصيرة .

ثم بين المقاطع (١٢) و (١٣) و (١٤) و(١٥) تخالف فحركة المقطع (١٢) أمامية ضيقة قصيرة وحركة — (١٣) أمامية قصيرة مفتوحة — و (١٤) أمامية ضيقة قصيرة — وحركة مقطع (١٥) أمامية قصيرة مفتوحة فالتخالف يخرج تناسقا من خلال تماثل .

ثم ننتقل إلى كم المقطع فنجد تماثلا فى تخالف على النحو الآتى : مقطع قصير يعقبه مقطعان متوسطان ، ثم يأتى مقطعان قصيران يعقبهما مقطعان متوسطان ثم يأتى مقطعان قصيران يعقبهما مقطعان متوسطان ثم يأتى مقطعان قصيران يعقبهما مقطعان متوسطان . لو نظرت على الجانبين لوجدت سلم التماثل منسقاً يتخلله نوع من التخالف الذى يحكم البناء .

وعندما ننظر إلى نوع المقطع من حيث الانغلاق والانفتاح فالمقاطع هى : مفتوح يعقبه مغلق ثم أربعة مقاطع مفتوحة يعقبها مقطع واحد مغلق — ثم ثلاثة مقاطع مفتوحة يعقبها مقطع واحد مغلق وتنتهى بأربعة مفتوحة فى حالة النغمة المسطحة — أو بثلاثة مفتوحة ومقطع مغلق فى حالة — النغمة المنخفضة — والمقاطع المنفتحة فيها قوة ووضوح فى السمع — ومعنى ذلك أن صورة البناء الصوتية السمعية متعاونة فيما بينها على إعطاء نوع الدلالة المطلوبة .

* * *

ومما جاء فى القرآن الكريم مبشراً بالرحمة والغفران ، ومتوعداً بالعذاب والكيد المتين .

من الأول قوله تعالى :

« نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١) »

ذكر فى سبب نزولها مارواه ابن جرير عن ابن أبى رباح عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال: طلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الباب الذى يدخل منه بنو شيبة فقال : « لا أراكم تضحكون » — ثم أدبر حتى إذا كان عند الحجر رجع علينا القهقرى فقال : « إنى لما خرجت جاء جبريل عليه السلام فقال : يا محمد إن الله يقول : لم تقنط عبادى ؟ (نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ) .

وقال قتادة : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع من حرام ، ولو يعلم العبد قدر عذاب الله لبخع نفسه (٢) » .

ويجىء البناء اللغوى فى هذه القوة من كلا جانبيه — ومن وجهة نظر النحو التوليدى التحويلى فان عظمة هذا البناء تبدو فى طرح البدائل من حيث الوحدات منفردة ومن حيث وظيفة كل وحدة على حدة .. ومن حيث تعاونها فيما بينها بعد تمام البناء واكتماله لتتمخض عنه الدلالة . .

ويكشف المقام عن عظمة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وكيف أنه يتراجع عن قوله ليصدع بالحق الذى تلقاه عن ربه وهو مخالف لما قاله لنفس المخاطبين وفى نفس الزمان والمكان .. وانظر كيف تجىء الوحدات اللغوية آمرة الرسول بفعل (نبىء) — ومجىء لفظة عبادى بعدها لتتم جملة ثم تأتى أن لتقوم بوظيفتها فى إفراغ التركيبين إفراغاً واحداً (٣) (أنى أنا الغفور الرحيم) ويأتى أنا بعد ياء المتكلم فى قوة وعزة تنبىء عن قدرة القوى الغفور الرحيم — هل فى مقدور أحد أن يأتى بمثل هذه الكلمات لتحمل نفس المعانى ويمثل لفظها محتواها .

ليس الأمر أمر وزن ولا مفردات : : الأمر أمر أبنية ودلالات . وإن عناصر البناء المختلفة التى تتمثل فى أدق دقائق الجانب الصوتى حتى فى طريقة النطق وكيفيته وما يقوم عليه البناء مما يعرف بالفونيات القطعية ، وما فوق القطعيه وما يدخل فى الدلالة من كيفية النطق وماقد يتبعها من حركة أو إشارة ومن وظائف وحدات لغوية مختلفة وطرق تعليق متنوعة فعناصر الصورة الصوتية والسمعية كلها

---

(١) سورة الحجر — آية ٤٩ — والآية التى بعدها « وأن عذابى هو العذاب الأليم » آية ٥٠ ، ذكر السيوطى فى المعترك (السابق) أنه من المجتث .

(٢) انظر التفاسير السابقة . واقرأ : مختصر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣١٤ —

(٣) انظر وظيفة أن ودورها فى : عالم اللغة عبد القاهر الجرجانى المفتن فى العربية ونحوها ص ١٢٧

لها دورها البعيد فى هذا فاذا خرجت الدلالة من خلال الانسجام الصوتى على نحو ما ترى فهو الأثر القوى العميق .

. . .

ومما جاء فى القرآن من الثانى : قول الله تعالى :

« وأُمْلِي لَـهم إنَّ كَيْدِيَ مَتِينٌ » (١) .

وقد ذكر السيوطى أنه من المتقارب (٢) . ومعنى ذلك أن تفعيلاته على النحو الآتى :

وأملى / لهم إن / كيدى / متين
فعولن / فعولن / فعولن / فعولن

ليست العبرة فى الوزن الشعرى : وحده أو فى غيره مما يظنه الظانون من أمور شكلية فحسب » تأمل قول الله تعالى : « وأملى لهم . » ذلك البناء الذى تنبعث عنه تلك الدلالة من خلال ذلك النسق الموسيقى . فمعنى أملى لهم : أى أطيل لهم المدة وأمهلهم وأؤخر عقوبتهم (٣) من يقدر على قول ذلك ؟ . وإذا قال فعل غير من بيده الأمر جل وعلا ..وذلك عندما نضع فى الاعتبار الخليفة الثقافية .. وأثر ذلك القول على جماعة المتكلمين باللغة فى ذلك الحين

وقد نزلت فى المستهزئين من قريش قتلهم الله فى ليلة واحدة بعد أن أمهلهم مدة (٤) . فلما قست قلوبهم بالكفر والإصرار على المعصية —(استأصلناهم وسطونا بهم) (٥).

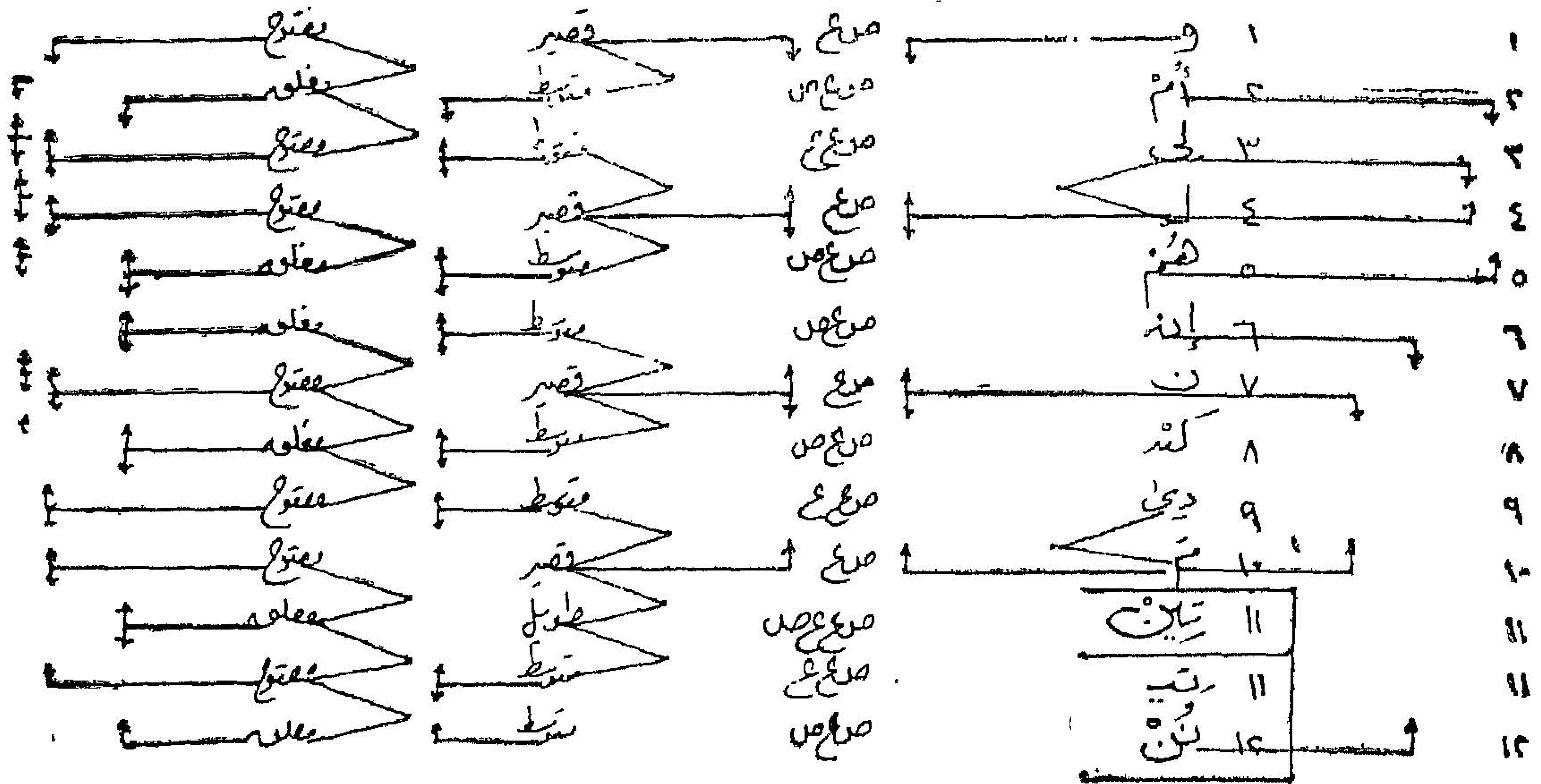
هل المسألة بعد ذلك وزن ؟ — ما أسهله .. : انظر عظمة البناء اللغوى والدلالة التى تنبثق عنه فى موقفها وسياق حالها : (Cpntext of Situation) — ثم انظر أيضاً كيف تنتقل لتصبح قاعدة إلهية — وقانوناً لله فى خلقه — ينبئ عن حكمة بالغة — تذكر فيذكر معها فضل الله بخلقه — وقدرته عليهم —

إن عظمة البناء القرآنى هنا تبدو فى طرح. البدائل من أصغر الوحدات اللغوية إلى أكبرها من فى مقدوره إذا قال : « وأملى لهم » أن يفتح لهم أبواب الرزق ووجوه المعاش فى الدنيا حتى يغتروا بما هم فيه ..و(حَتَّى إِذَا فَرِحُو بِمَا أُوتُو أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مبْلِسُونَ) (٦) ومن يقدر على أن يقول : (إن كيدى متين) ويستطيع أن يستدرجهم من حيث لا يعلمون ويكيد لهم كيدا قوياً سديداً ؟ يستأصلهم فى ليلة واحدة ويتركهم عبرة لمن يعتبر

---

(١) سورة الأعراف : آية ١٨٣
(٢) السيوطى : المعزك . السابق .
(٣) اقرأ القرطبى ج ٤ ص ٢٧٦٥ / ٢٧٦٦
(٤) السابق —
(٥) القرطبى ج ٣ ص ٢٤٢٢ / ٢٤٢٣ —
(٦) أقرأ مختصر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧٠
(٧) السابق —

يجيء التقسيم المقطعي للقول الكريم على النحو الآتي :



القسم الأول : قسم الصوامت والصوائت : التجانس التـــام في الصوامت يكاد يكون معدوماً — وأما في الصوائت فإنه يوجد في المقاطع (١) و (٤) و (٧) و (١٠) ومع ذلك فهناك نوع من التماثل غير التام بين بعض الصوامت و مثله بين الصوائت و لكنه قليل — كما أن التخالف الذي يخرج من الصوائت تليل يصنع نوعاً من التناسق . . و ذلك على النحو الآتي : مقطع (٣) يعتمد على حركة أمامية ضيقة طويلة ، و مقطع (٤) يعتمد على حركة أمامية متسعة قصيرة — و صامتهما واحد فيخرج التخالف من داخل التماثل في تناسق يتبعه

وقريباً منه ما يحدث بين مقطعى (٦) و (٧) ومقطعى (٩) و (١٠) — ومن حيث الصوامت فبين مقطعى (٢) و (٥) تماثل يتخلله تخالف فى تناسق على النحو الآتى التماثل تام غير أن الأول منهما بدأ بالهمزة والآخر بدأ بالهاء — والهزة صامت حنجرى شديد مرقق (١) — والهاء صامت حنجرى رخو مرقق — أما من حيث كم المقطع فان التماثل ومايتخلله من تخالف يجىء على النحو الدقيق الآتى :

مقطع قصير يعقبه متوسطان ثم قصير يعقبه متوسطان ثم قصير يعقبه متوسطان للمرة الثالثة ثم قصير يعقبه متوسطان فى حالة النغمة المسطحة ووصل الكلام — وإما قصير يعقبه فى حالة النغمة الهابطة والوقف — وفى كلتا الحالتين تنبثق الدلالة القوية من خلال ذلك النسق مع امتداد النفس بالصائت فى مواضعـــه الطويلة مما يعطى قوة فى الإسماع — فيتحقق المراد — وبذلك يتلقاها المتلقى عبرة زاجرة وحكمة تستقر فى قلبه وعقله يعاون فيها التماثل والتخالف الذى يحدثه انغلاق المقطع وانفتاحه على النحو الآتى :

يبدأ بمفتوح يعقبه مغلق ثم يأتى مفتوحان يعقبهما مغلقان ثم يأتى مفتوح يعقبه مغلق ثم يختم بمفتوحين يعقبهما مغلقان فى حالة الوقف والنغمة الهابطة أو مفتوحان يعقبهما مغلق ومفتوح فى حالة النغمة المسطحة ووصل الكلام . .

* * *

ومما جاء فى القرآن الكريم منبئاً بما فى أعماق النفوس قول الله تعالى :

«فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا» (٢) .

ذكر السيوطى أن القول الكريم من المقتضب (٣) — ومعنى ذلك أن تفعيلاته على النحو الآتى :

فى قلوب / هم مرضن /

فاعلاتُ / مُفْتَعِلُنْ /

هل المسألة مسألة وزن . ؟ ؟

ما أسهله إنه بناء لغوى ينبىء عن قضية لا يعرف عمقها إلا من خلق

إخبار من الله تعالى عن الفساد الذى فى عقائد هؤلاء . .

(٢) سورة البقرة آية ١٠

(٣) المعترك — السابق —

عندما نطرح البدائل .. من كان يدرى معنى المرض النفسى ؟ ؟

لقد أوحى هذا البناء إلى ابن فارس اللغوى بأن يقول : « المرض كل ما خرج به الإنسان عن الصحة والتوفيق والرعاية والتأييد من علة أو نفاق أو تقصير فى أمر) فأخبر الله عما هم فيه – (فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً) [١].

وقال أرباب المعانى : فى قلوبهم مرض أى بسكونهم إلى الدنيا وحبهم لها وغفلتهم عن الآخره – وإعراضهم عنها –[٢].

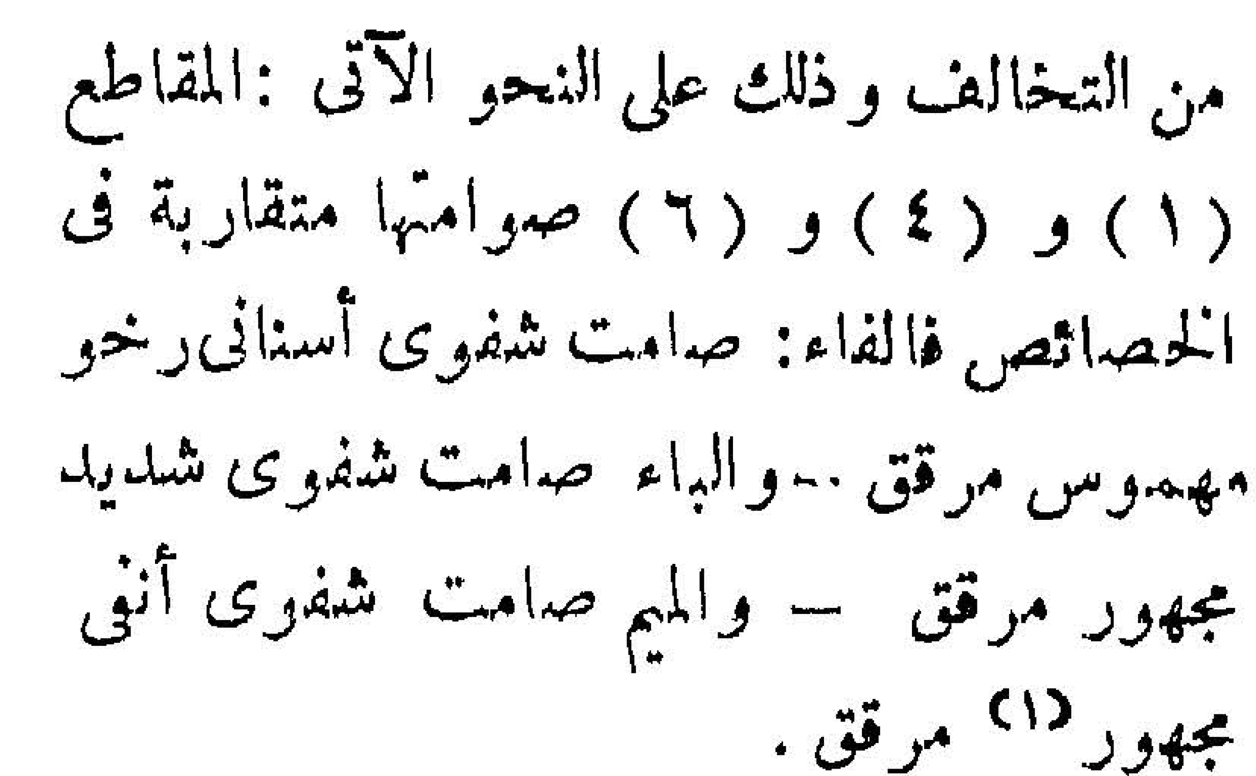
والمقصود كما جاء أيضاً : أن فى قلوبهم مرضاً لخلوها عن العصمة والتوفيق والرعاية والتأييد » .

وأوحت إلى الجنيد كذلك بأن يقول : – علل القلوب من اتباع الهوى – كما أن علل الجوارح من مرض البدن [٣] – وقيل (فى قلوبهم مرض) أى شك (فزادهم الله مرضاً) شكا – وعن ابن عباس (مرض) نفاق – (فزادهم مرضا) نفاقاً [٤]– وقال عبد الرحمن بن اسلم : هذا مرض فى الدين وليس مرضاً فى الأجساد – والمرض الشك الذى فعلهم فى الإسلام (فزاد هم الله مرضاً) أى زادهم رجسا – وقرأ : (فَأَمَّا الذِينَ آمَنُوا فَزَادَهُم إيمانا وَهُم يَسْتَبْشِرُونَ وأما الذَين ق قُلُوبِهِم مَرَضٌ فَزَادَهُم رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ) يعنى شراً إلى شرهم وضلالة إلى ضلالتهم ، ويعاق ابن كثير بقوله : وهذا الذى قاله هو الجزاء من جنس العمل [٥] –

وتنبثق هذه المعانى . وتلك الإيحاءات من خلال نسق صوتى محكم يكشف عنه التحليل المقطعى الآتى للآية الكريمة :

---

(١) القرطبى ح ١ ص ١٧١ – ١٧٢
(٢) السابق –
(٣) السابق –
(٤) مختصر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٣
(٥) مختصر تفسير ابن كثير (السابق) –



من حيث الصوامت والصوائت لا يوجد بين مقاطع الصوامت تجانس تام – أما – الصوائت فيوجد بينها تجانس على النحو الآتى بين حركتى مقطعى (١) و (٤) – فالحركة التى اعتمد عليها كل واحد منهما واحدة غير أنها فى (١) حركة أمامية ضيقة طويلة وهى فى (٤) حركة أمامية ضيقة قصيرة – وكذلك مقطعى (٢) ، (٣) هى فى (٢) حركة ضيقة خلفية قصيرة ، وفى (٣) حركه – ضيقة خلفية طويلة – وكذلك مقطعى (٦) و (٧) الحركة التى اعتمد عليها كل واحد منهما واحدة الحركة الأمامية المتسعة القصيرة – وأما الصوامت فالتماثل بينها جاء من التخالف وذلك على النحو الآتى : المقاطع (١) و (٤) و (٦) صوامتها متقاربة فى الخصائص فالفاء : صامت شفوى أسنانى رخو مهموس مرقق – والباء صامت شفوى شديد مجهور مرقق – والميم صامت شفوى أنفى مجهور[1] مرقق .

أما من حيث كم المقاطع فيأتى التخالف من خلال التداخل فى التماثل على النحو الآتى : متوسط يعقبه قصير ثم متوسط يعقبه قصير ثم متوسط يعقبه قصيران وتختم بمتوسط فى الحالتين – وكمية المقطع دفقة صوتية فإذا جاءت على هذا الإحكام فى هذه الصورة الصوتية كان أثرها قوياً إذا ما أضيف أن التخالف فى الكم

(١) انظر مناهج البحث د . تمام حسان ص ١٠٥ / ٩٧ / ٩١

يحدث على النحو الآتى كما توضحه خطوط الزوايا بين (١) و(٢) وبين (٢) و(٣) وبين (٣) و (٤) وبين (٤) و(٥) وبين (٥) و (٦) ثم بين (٧) و (٨) ثم يأتى الانغلاق والانفتاح لتصنع الصورة السمعية مع الصورة. الصوتية الدقة والاتساق على النحو الآتى: المقاطع الأربعة الأولى مفتوحة ثم يعقبها الخامس مغلق ثم يعقبه مفتوحان ثم يختم بمغلق والمقاطع المفتوحة هى الغالبة ولا يوجد سوى مقطعين مغلقين أولهما فاصل والآخر خاتم ومعنى ذلك أن المقاطع قوية الإسماع تقذف بقوة فى آذانهم لتجابههم بحقيقة دخائلهم وفى ذلك ما فيه من إعجاز وعندما تطرح البدائل فى هذا المجال تبدو عظمة البناء القرآنى الذى لا يقدر على مثله أحد ولا يعدله بناء فعلى الرغم من أن البناء اللغوى جاء وفق القواعد المتبعة فالجار والمجرور (فى قلوبهم) خبر مقدم والمبتدأ نكرة مؤخرة (مرض) إلا أن عظمة البناء جاءت فى أن التقديم لم تفرضه القاعدة النحوية وحدها بل تطلبته الدلالة — واقتضاه الانسجام الصوتى وجاء كل عنصر من عناصره يؤدى وظائفه على مختلف مستويات اللغة ما بين فونيمات ومورفيمات وعناصر بناء وانسجام صوتى ودلالى ومعجمى — وكذلك تأخير المبتدأ وتنكيره لم تفرضه قاعدة نحوية فقط ولكن تطلبته كل الوظائف اللغوية على مختلف مستوياتها..

ثم يجىء عنصر الفاء وهو فونيم ومورفيم معاً ليؤدى دوره الوظيفى فى ربط جملة لم يكن لها أن تربط نفسها بنفسها — (فزادهم الله مرضاً) — وعظمة البناء أنك لا تستطيع أن تسقط عنصراً من هذه العناصر فالفاء مثلا لو اسقطتها فانك ترى الثانى ينبو عن الأول ولا يتصل به حتى تجىء بالفاء فتجد الكلامين قد أفرغا إفراغا واحداً وكأن أحدهما قد سبك فى الآخر (١) ثم يأتى الفعل (زادهم) ولا يحل غيره محله ولا يستغنى عنه ثم يأتى (لفظ الجلالة) وهو عمدة فى البناء ولا يحل غيره محله — ثم يأتى المكمل (مرضاً) مفعول به ولو أديرت ألسنة الخلق على أن تضع غيره مكانه ما استطاعت.. إن القضية إذن قضية إعجاز لغوى والوزن جانب واحد من كل تلك الجوانب اللغوية.

* * *

ومما جاء على شاكلة النص القرآنى السابق.

قول الله تعالى:

«لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً» (٢).

(١) عالم اللغة عبد القاهر الجرجانى ص ١٣٠

(٢) سورة النساء آية ٧٨

والقول الكريم كما ذكر السيوطى من الخفيف (١) ومعنى ذلك أن تفعيلاته على النحو الآتى :

لايكادو / ن يفقهو / ن حديثين /
فاعلاتن / متفعلن / فعلاتن /

ذلك البناء اللغوى يوضح قضية ارتبطت بمقام استعمال معين وخرجت فى نسق موسيقى متكامل — فالعبرة فى القضية وفى البناء اللغوى الذى أخرجت فيه وفيما أخبرت عنه وكشفت من خصوصه ..

فإن هؤلاء القوم قالوا عندما قدم الرسول صلى الله عليه وسلم هو واصحابه إلى المدينة : إن مقدمه جلب علينا الشؤم — وقالوا : ما زلنا نعرف النقص فى ثمارنا ومزارعنا مذقدم علينا هذا الرجل وأصحابه — فجاء قول الله تعالى (وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ) .

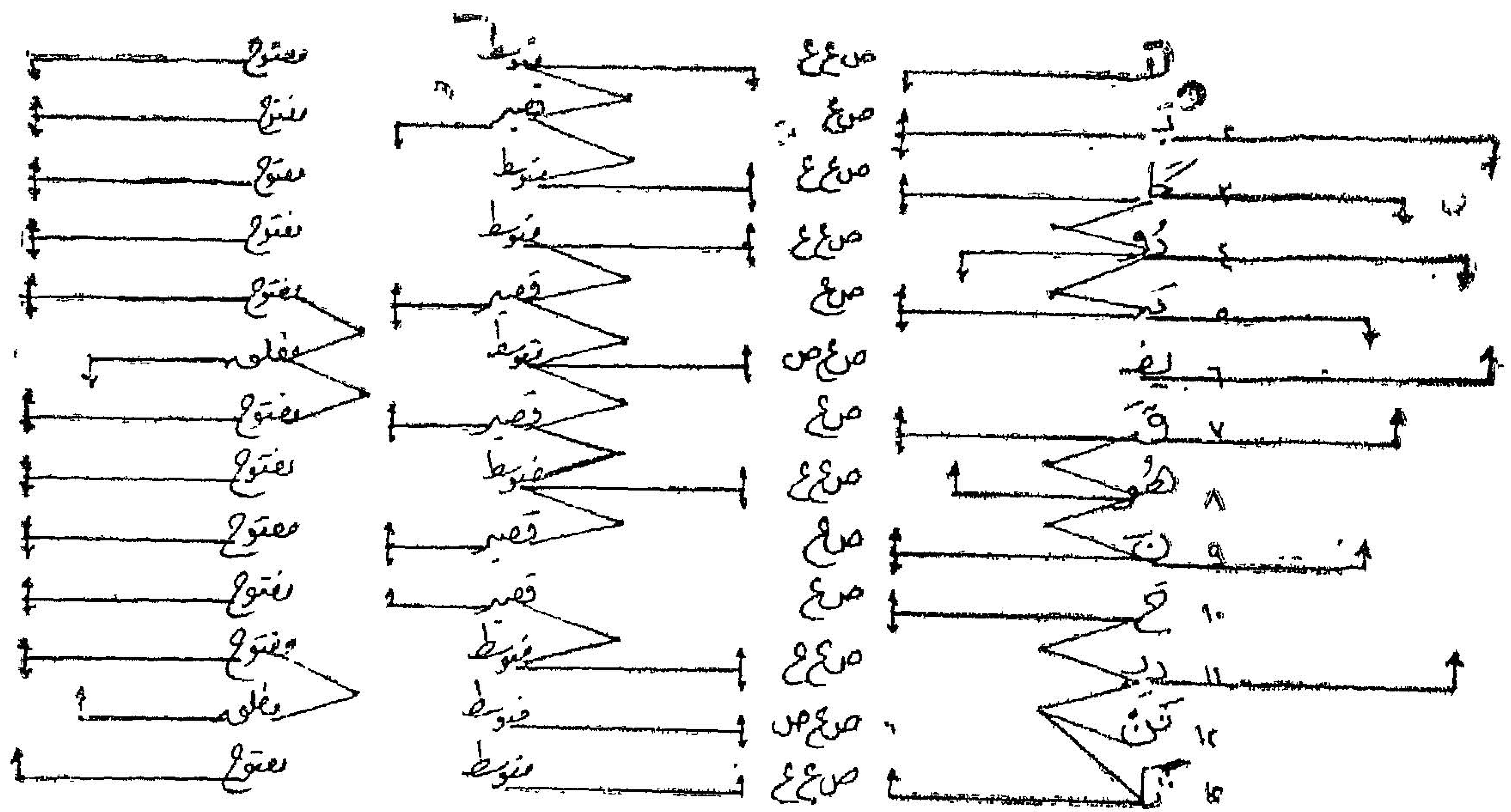
قال ابن عباس : ومعنى قولهم من عندك : أى بشؤمك الذى لحقنا — قالوه على وجه التطير (٢) —

فانظر معى كيف يأتى النص القرآنى فى نسقه وسياقه حاسماً مبيناً حقيقة أنفسهم ساخراً بعقولهم .. فقد كان ينبغى عليهم كما يقولون عن الحسنة إن تصبهم هذه من عند الله — «وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ» كذلك كان ينبغى أن يقولوا عن السيئة . (قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ)أى بقضاء الله وقدره لحكمة يعلمها .

ثم يأتى البناء اللغوى الذى نحن بصدده مذيلا خاتما — «قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا .

ونشير إلى عناصر البناء وإلى النسيج المقطعى للقول الكريم . (٣)

(١) المعترك — السابق —
(٢) انظر القرطبى ج ٣ ص ١٨٥٣ / ١٨٥٤ —
(٣) السابق —



من حيث الصوامت والصوائت : بين مقطعي (٢) و (٦) تجانس استهلالي (alliteration) فالصامت فيهما واحد وهو الياء والحركة التي اعتمد عليها واحدة — وبين مقطعي (٤) و(١١) تجانس استهلالي فالصامت واحد وهو الدال — ولكن الصائت مختلف فالأول منهما اعتمد على الحركة الضيقة الخلفية الطويلة والثاني منهما اعتمد على الحركة الضيقة الأمامية الطويلة — وبين الثالث والسابع تجانس غير تام فالأول كاف والثاني قاف ومخرجاهما متقاربان والكاف صامت شديد مهموس مرقق — والقاف صامت لهوى شديد مهموس له بعض القيمة التفخيمية(١) وكذلك المقطعان (٥) و(٩) متحدان من حيث الصائت والصامت معاً .

وأما من حيث تجانس الصوامت أو الحركات نجد تجانساً بين حركات مقاطع (١) ، (٢) و(٣) و(٥) و(٧) و(٨) و(٩) و(١٠) و(١٢) فكلها حركة أمامية متسعة ما بين

(١) انظر مناهج البحث د. تمام حسان ص ٩٥ ، ٩٦ — واقرأ أيضا ص ٩٥

القاف مجهور عند علماء العربية القدماء — والقاف والكاف لهويان عندهم

قصيرة وطويلة — وكذلك المقطعان (٤) و (٨) فحركتهما واحدة خلفية ضيقة طويلة —

ثم ننظر إلى المقاطع من حيث الكم نجد تماثلا فى تخالف على الجانب الأيمن حيث نجد المقاطع (١) و (٣) و (٤) و (٦) و (٨) و (١١) و (١٢) كلها مقاطع متوسطة وعلى الجانب الأيسر المقاطع (٢) و (٥) و (٧) و (٩) و (١٠) كلها مقاطع قصيرة فيحدث فى كلا الجانبين نوع من التماثل ثم يتخلله تخالف فى إحكام دقيق على النحو الآتى بين (١) و (٢) وبين (٢) و (٣) وبين (٤) و (٥) وبين (٥) و (٦) وبين (٦) (و ٧) وبين (٧) و (٨) وبين (٨) و (٩) وبين (١٠) و (١١) .

ثم ننظر إلى المقاطع من حيث الانفتاح والانغلاق فنجد أن الصورة الصوتية تكتمل بهذا الجانب السمعى : المقاطع الأربعة الأولى مفتوحة ثم يعقبها الخامس مغلق ثم تأتى خمسة مقاطع مفتوحة يعقبها السادس مغلق فى حالة الوقف والنغمة الهابطة أما فى حالة النغمة المسطحة ووصل الكلام فتكون المقاطع الستة مفتوحة وفى هذا النطق ما يساعد على تأكيد الدلالة وتقويتها حيث إن إسماع المقاطع أقوى و دفقاتها قوية فى تتابع منتظم تؤكد لهم حقيقة جهلهم وغفلتهم وأن الصواب جانبهم وأنهم لا يكادون يفقهون حديثاً —

وتبدو عظمة البناء القرآنى فى هذا المجال عندما تطرح البدائل فنجد أنه بناء لا يقدر على مثله أحد فهذا التذييل سبقته مقدمة منطقية ويؤكده سياق الحال .. « فهؤلاء المنافقون ، الذين دخلوا فى الإسلام ظاهراً وهم كارهون له فى حقيقة أمرهم ، ولهذا إذا أصابهم شر إنما يسندونه إلى اتباعهم للنبى صلى الله عليه سلم — وقال السدى — (وإن تصبهم حسنة) (قال والحسنة : الخصب تنتج مواشيهم وخيولهم ويحسن حالهم وتلد نساؤهم الغلمان — قالوا : (هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة) والسيئة : الجدب والضرر فى أموالهم تشاءموا بمحمد صلى الله عليه سلم وقالوا (هذه من عندك) — يقولون بتركنا ديننا واتباعنا محمداً أصابنا هذا البلاء — فأنزل الله عز وجل (قل كل من عند الله) وقوله : (قل كل من عند الله أى الجميع بقضاء الله وقدره وهو نافذ فى البر والفاجر والمؤمن والكافر (١) —

قال ابن عباس (قل كل من عند الله) أى الحسنة والسيئة (٢) —

(١) مختصر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤١٥

(٢) السابق.

وكذا قال الحسن البصرى [1] :

ثم قال تعالى منكراً على هؤلاء القائلين هذه المقالة الصادرة عن شك وريب وقلة فهم وكثرة جهل وظلم (فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً) [2] . فانظر إلى وحدات البناء واحدة واحدة وانظر إلى دور كل عنصر ووظيفته على مختلف مستويات التحليل اللغوى؛ على المستوى الصوتى بكل أبعاده حتى نغمة النطق وهى تصعد عالية مرتفعة فى استفهام لا يتطلب جواباً واختيار اسم الإشارة الجمع ومجىء المظهــر بعد المضمر واختيار كلمة القوم داخل البناء على هذا النحو واختيار فعل (يكاد) منفياً مسنداً لواو الجماعة وخبره فعل مضارع على هذا النحو من الإسناد (يفقهون) . واختيار كلمة حديثاً منكرة، وما فى التنكير من تعميم وظلال معان وإيحاءات مختلفة لتصنع هذه العناصر كلها تلك الصورة الصوتية السمعية على هذا النحو

. . .

ومما جاء على نحو ما سبق مذيلا فى قضية كبرى قول الله تعالى :

« والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » [3]

ويذكر السيوطى أن القرل الكريم من الكامل [4] — ومعنى ذلك أن تفعيلاته تجىء على النحو الآتى :

واللاه يه/دى من يشا/ء إلى صرا /طن مستقيمن

متفاعلن / متفاعلن / متفاعلن / متفاعلن .

تنبثق دلالة هذا التنزيل الحكيم — وتنعكس خلفيته فيما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم [5] — ففى صحيح البخارى — ومسلم عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من الليل يصلى يقول : « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون » اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم » [6].

لا ينبغى أن ينظر إلى هذا البناء ذى النغم الصوتى الموسيقى — كما قال عنه السيوطى — إلا من خلال لحمة بنائة الأكبر — وهو مذيل الآية الكريمة :

---

(١) السابق
(٢) السابق واقرأ من ص ٤١٣ — ٤١٥
(٣) سورة البقرة آية ٢١٣
(٤) المعترك — السابق —
(٥) اقرأ ابن كثير ج ١ ص ٢٥٠ / ٢٥١
(٦) السابق — واقرأ غيره من التفاسير —

(كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه . وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ماجاءتهم البينات ، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم) .

تأمل دلالة التنزيل وقوتها فى موضعها ، وما انبثق عنها من أحكام [2] » .

وكان أبو العالية يقول : فى هذه الآية المخرج من الشبهات والضلالات والفتن . وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه فى قوله (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه) — فاختلفوا فى يوم الجمعة فاتخذ اليهود يوم السبت — والنصارى يوم الأحد فهدى الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم — ليوم الجمعة — واختلفوا فى القبلة — فاستقبلت النصارى المشرق ، واليهود بيت المقدس —فهدى الله أمة محمد للقبلة ، واختلفوا فى الصلاة فمنهم من يركع ولا يسجد ، ومنهم من يسجد ولا يركع ، ومنهم من يصلى وهو يتكلم ، ومنهم من يصلى وهو يمشى فهدى الله أمة محمد للحق من ذلك ، واختلفوا فى الصيام فمنهم من يصوم بعض النهار ومنهم من يصوم عن ألوان الطعام فهدى الله أمة محمد للحق من ذلك ، واختلفوا فى إبراهيم عليه السلام . فقالت اليهود كان يهوديا ، وقالت النصارى : كان نصرانيا وجعله الله حنيفا مسلما فهدى الله أمة محمد للحق من ذلك ، واختلفوا فى عيسى عليه السلام فكذبت به اليهود وقالوا لأمه بهتانا عظيما وجعلته النصارى إلها وولدا ، وجعله الله روحه وكلمته ، فهدى الله أمة محمد ﷺ للحق من ذلك وغير ذلك من المعانى المختلفة التى يوحى بها البناء اللغوى الكريم للعلماء على نحو ما جاء فى كتب التراث المختلفة ثم انظر كيف صار البناء اللغوى بعد هذا دعاء يتردد وحكمة تنطق عذوبة فى اللسان وعمقا فى المعنى .

إن عناصر البناء كلها فيما بينها تفاعلت متعاونة يؤدى كل منها دوره نجد الآتى : عند المستوى الصوتى بكل أبعاده من أدق الوحدات إلى

---

(١) جاء فى القرطبى ؛ إن فى ذلك ردا على المعتزلة فى قولهم : إن العبد يستبد بهداية نفسه —القرطبى ج١ ص١ ٨٤—

(٢) مختصر تفسير ابن كثير ج ١ ص ١٨٨

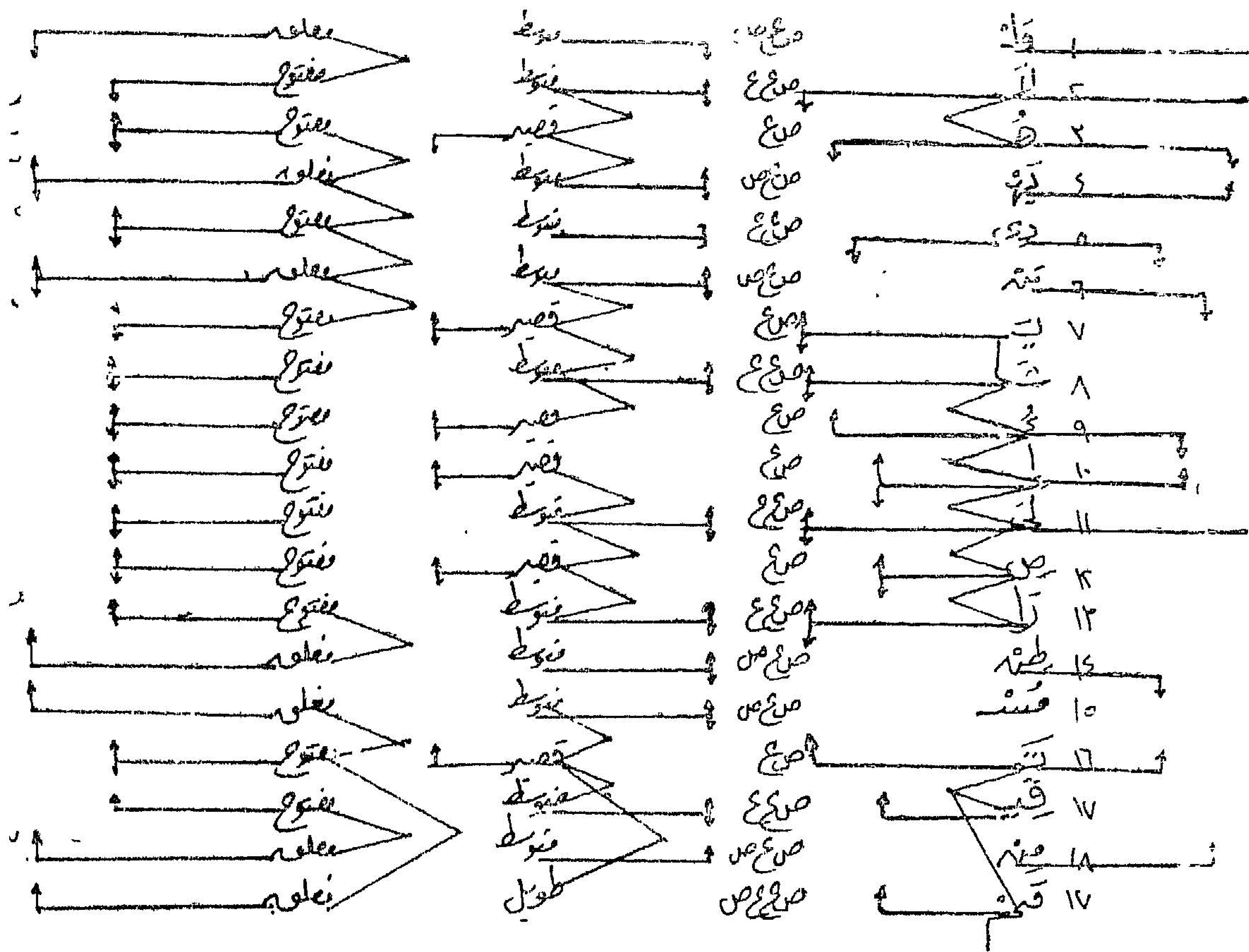
أعلاها – (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم) .

إخبار بنغمة هابطة عميقة عند نهاية كل جملة مع إمكانية الوقفة المعلقة Tentative Pause وفى كلتا الحالتين تؤدى النغمة دورها الوظيفى فى توضيح وتعميق الإيمان وبيان قدرة الله (فهدى الله ... ، والله يهدى من يشاء) من خلال نسيج مقطعى محكم يتعاون فيما بينه على إهداء صورة صوتية سمعية تؤدى دورها الدلالى على النحو الذى يبرزه كل عنصر من عناصر البناء اللغوى – فالفاء تربط وترتب ويأتى فعل (هدى) ماضيا معطوفا مؤديا دوره بعد (فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه) فانظر دور الوحدة اللغوية (هدى) وكيف تظهر الهداية خلال ذلك ومن فى مقدوره أن يصنعها – ولمن يعطى الهداية ولأى شئ يهدى (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه لو طرحنا البدائل من حيث الاختيار والموقعية ووظيفة كل عنصر على مختلف المستويات – هل نجد لفظاً أفضل من لفظ (هدى) على سبيل المثال ؟ ليتفاعل مع بقية العناصر السابقة ويؤدى وظيفته – ومن فى مقدوره بعد هذا وفى ظل هذا الاختلاف والخلاف أن يقدر على الهداية – ويهدى إلى الحق غير (الله سبحانه) وتعالى (فهدى الله) ومن يبحث عن الهداية وجدير بأن يهتدى (الذين آمنوا) واختيار الاسم الموصول هنا بوظيفته التعليقية ثم اختيار الجار والمجرور –

ثم يأتى الجار والمجرور (من الحق) بعد الجار والمجرور السابق (فيه) ثم يأتى بعد ذلك الجار والمجرور الذى ينتهى بالهاء مضافة إليه (باذنه) وفى نهايته يأتى التذييل (والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم) فانظر كيف تأتى وحداته اللغوية من خلال لحمة بنائه الأكبر كل وحدة منبثقة عما سبق متممة – الواو رابطة – لفظ الجلالة (الله يهدى) واختيار المضارع يشير إلى المستقبل ويفيد التجدد والاستمرار فيفتح باب الأمل ثم يأتى المفعول به اسم موصول (من) ثم تأتى صلة الموصول (يشاء) ثم يأتى الجار والمجرور (إلى صراط) ثم تأتى فى النهاية صفة الصراط (إلى صراط مستقيم) واختيار لفظ الصراط والاستقامة – وهو الدعاء الذى يكرره عباد الله فى أم الكتاب فى صلاتهم ليل نهار كل هذه وظائف على مختلف مستويات التحليل اللغوى وغيرها كثير تضق به صفحات فليست المسألة مسألة وزن ولا انسجام صوتى وإنما جاءت كل وحدة لتؤدى وظيفتها والانسجام وظيفة من بين الوظائف المتعددة يؤدى بعده عند كل وظيفة على أكمل وجه عند الوظيفة الصوتية أو السمعية أو المورفيمية أو التركيبية أو الدلالية من خلال نسيج مقطعى محكم

(١) انظر وظيفة (الذى) فى عالم اللغة عبد القاهر الجرجانى ص١٣٤ وانظر دلائل الاعجاز طبعة المنار (ط ٤) ص١٥٤

يجيء تقسيمه على النحو الآتى :



من حيث الصوامت والصوائت : التجانس التام غير موجود بين الصوامت ومع ذلك هناك نوع من التجانس الذى يؤدى دورا وظيفيا بـين مقاطع (١) و (٢) و (١١) — وكذلك بين مقاطع (٢) و (٤) وبين مقطعى (٦) و (١٨) وبين مقطعى (٩) و (١٠) وبين مقطعى (١٤) و (١٦) :

أما من حيث الصوائت فهناك نوع من التجانس بين حركات مقاطع (٢) و(٧) و(٨) و(١١) و(١٣) و(١٦) وكلها تعتمد على الحركة الأمامية المتسعة ما بين قصيرة وطويلة وكذلك بين مقاطع (٣) و(٩) فحركة كل منهما خلفية ضيقة قصيرة وكذلك مقاطع (٥) و(١٠) و(١٢) و(١٧) تعتمد كلها على الحركة الأمامية الضيقة ما بين قصيرة وطويلة — ومن خلال هذا التجانس الجزئى يتم تماثل على أنحاء متنوعة يتخلله نوع من تداخل التخالف يكسب الصورة الصوتية السمعية وقعها وأنظر إلى مقطعى (٢) و(٣) و(٨) — و(٩) و(١٠) — و(١١) و(١٢) — و(١٣) و(١٦) و(١٧) فى حالتى الوقف والنغمة الهابطة وفى حالة وصل الكلام والنغمة المسطحة.

أما من حيث كم المقاطع فنجد على الجهة اليمنى تماثلا على النحو الآتى المقاطع (١) و(٢) و(٤) و(٥) و(٦) و(٨) و(١١) و(١٣) و(١٤) و(١٥) و(١٧) و(١٨) فى حالة النغمة المسطحة ووصل الكلام كلها مقاطع متوسطة وعلى الجهة اليسرى نجد المقاطع (٣) و(٧) و(٩) و(١٠) و(١٢) و(١٦) كلها مقاطع قصيرة فيحدث تماثل على الجانبين يتخلله تخالف على النحو الآتى: بين (٢) و(٣) وبين (٣) و(٤) وبين (٦) و(٧) وبين (٧) و(٨) وبين (٨) و(٩) وبين (١٠) و(١١) وبين (١١) و(١٢) وبين (١٢) و(١٣) وبين (١٥) و(١٦) وبين (١٦) و(١٧) وبين (١٦) و(١٨) فى حالة النغمة التقريرية الهابطة أضف إلى ذلك أن إنغلاق المقاطع وانفتاحها هو الذى يحدد وضوح السمع فنجد تماثلا بين المقاطع يتخلله تخالف على النحو الآتى :

المقاطع (١) و(٤) و(٦) و(١٤) و(١٥) و(١٧) و(١٨) كلها مغلقة تقع بينها المقاطع (٢) و(٣) و(٥) و(٧) و(٨) و(٩) و(١٠) و(١١) و(١٢) و(١٣) و(١٦) و(١٧) كلها مفتوحة فيحدث التماثل ومن خلال هذه وتلك يخرج التخالف على النحو الآتى بين (١) و(٢) وبين (٣) و(٤) وبين (٤) و(٥) وبين (٥) و(٦) وبين (٦) و(٧) ثم بين (١٣) و(١٤) ثم بين (١٥) و(١٦) وبين (١٦) و(١٨) فى حالة الوقفة والنغمة التقريرية الهابطة وبين (١٧) و(١٨) فى حالة النغمة المسطحة ومن خلال هذه الهندسة الصوتية مجتمعة نطقية وسمعية ندرك كنه الانسجام الصوتى وحقيقته وعلى ضوء ماسبق تتحقق أمامنا وظيفة انسجام العناصر الصوتية فى إبراز الدلالـــة وتوضيحـــها

من كل الجوانب التي تتحدد في حدى الحدث اللغوى الألفاظ والمعاني أى الصورة الصوتية والدلالة المعنوية .

وبعد

فقد اتضح من البحث أنه ليس بالوزن وحده ، ولا بالإنسجام وحده يكون إعجاز القرآن الكريم وأن الإعجاز ليس في بعض الظواهر اللغوية كما ظن ذلك علماء من سلفنا رضوان الله عليهم ، حقا لعلماء المسلمين في هذا جهود وآراء ومن مجموع جهودهم وآرائهم نصل إلى شيء له شأنه وخطره في هذا الصدد[1] ، غير أن الشيء الذي ينبغي أن يوضع في الاعتبار هو أن القرآن نص لغوى معجز — واللغة كائن معقد ينظر إليها من زوايا متعددة وتدرس على مستويات ومراحل تبعاً لخطة ووفق مناهج — ولعلم اللغة اليوم مناهجه المتعددة التي يسلطها على أى مادة تتاح له من لغات البشر — من هنا فقد عرضت هذه الظاهرة على المنهج التركيبي (Structuralism) لأستجلى ملامح العظمة القرانية التي يدركها الحس اللغوى ولا تبصرها العين المجردة ومن خلال هذا المنهج وضحت حقائق دلت على عظمة الإعجاز اللغوى داخل بعض بنيات القرآن الكريم وبنائه — فعند مستوى التحليل الصوتي بكل أبعاده ظهر مالا يقدر على مثله أحد — وأن الأمر ليس كما وهم بعضهم في تركيب الحركات والسكنات أو الإتيان بكلمات تكون على توالبها في زنة كلماته لأنه يخرج إلى ما تعاطاه مسيلمة من الحماقات من نحو قوله :

إنا أعطيناك الجماهر . فصل لربك وجاهر

أو : والطاحنات طحنا [2]

وكذلك ليس في الإتيان بكلمات لها مقاطع وفواصل كالتي في القرآن . « وإن كان قد خيل إلى بعضهم شيء من هذا حتى وضعوا كأواخر الآى مثل يعلمون ويؤمنون وأشباه ذلك » [3] .

وكذلك ليس في احتذاء صيغة وأبنيته على نحو ما حكى عن بعضهم من نحو قوله « ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحبلى . أخرج منها نسمة تسعى ، بين شراشيف وحشى » .

أو ما قاله آخر : « الفيل . ما الفيل وما أدراك ما الفيل له مشفر طويل وذنب أثيل . وما ذلك من خلق ربنا بقليل[4] . »

---

(١) أقرأ عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني من ص ١٦٠ وما بعدها ، وأنظر فيه مراجع هذا الموضوع

(٢) السابق . وانظر ثلاث رسائل في إعجاز القرآن — واقرأ من ص ٥٥ ومابعدها .

(٣) ثلاث رسائل السابق — واقرأ الرسالة الشافية . ودلائل الإعجاز ص ٨٣

(٤) ثلاث رسائل (السابق) .

أو ما قاله مسيلمة الكذاب : « يا ضفدع نق كم تنقين — لا الماء تكدرين ولا الوارد تنفرين »(١) .

ومثله عند مستوى الصيغ وعناصر البناء المتنوعة وكذلك عند مستوى التراكيب أو المفردات - أو المعجم - أو الدلالة نجد عند كل واحد من هذه المستويات مايشهد بالإعجاز اللغوى للقرآن - ويتضح ذلك عند طرح البدائل التى يقر أمامها الباحث أيا كان مذهبه أنه أمام بناء أحكمت لبناته احكاماً فائق الحد وفوق طاقة البشر .

ويكفينا هنا أن نطرح بدائل قول كريم واحد وليكن القول الأول على سبيل المثال :

من شاء فليؤمن — ومن شاء فليكفر .

ومن الأمور المتعارف عليها فى حقل الدرس اللغوي والتى قامت عليها نظرية النحو التوليدى التفريعى :

Transformational generative theory

إن الناس فى جميع اللغات البشرية يمكنهم أن يميزوا نظاما مجردا يصدرون عنه فى استعمال اللغة استعمالا خلاقا متجددا لا ينحصر إذ يستطيع كل واحد من أبناء أى لغة أن يتلقى على وجه الفهم مالا ينحصر من جمل جديدة لم يكن قالها أو سمعها أو وقف عليها من قبل كما يستطيع .

أن يفرز بتلقائية مكتسبة موانية الجمل الجائزة فى مقاييسه ومقاييس بيئته اللغوية من الجمل غير الجائزة .

وإن كان من المبادىء الهامة فى دراسة المبانى القرآنية النحوية ربطها بالدلالة حيث توصل عبد القاهر الجرجانى من خلال نظريته فى المعانى النحوية وطرق التعليق بينها إلى أن المعنى اللغوى لا يبين إلا من خلال المبانى النحوية ، التى تتكشف من خلالها وجوه الإعجاز القرآنى(٢) .

وإن من أهم المفاهيم التى طورتها نظرية شومكى تركيز أنصارها على علاقة البنية النحوية بالدلالة والمعانى اللغوية المستفادة من تلك البنيات النحوية (٣) .

فالنظرية التحويلية تضع فى اعتبارها الفرق بين المقدرة (Competence)

(١) السابق .

(٢) انظر فى ذلك : عالم اللغة عبد القاهر الجرجانى المفتن فى العربية ونحوها : الدراسة النحوية التجديدية عنده والأسس التى بناها عليها من ص ١٧٥ وفصل دراسة المعنى اللغوى عنده بأسسه المختلفة . . من ص ٢١٧ .

(٣) كان اهتمام من سبقهم منصبا على دراسة الصوتيات والصرف . انظر اللغة ابلو مفيلد . واقرأ كتاب : أئمة النحاة فى التاريخ . د. محمد محمود غالى : شومسكى chomsky والمدرسة التحويلية من ص ٩ / ١٥ـ وبلو مفيلد ومدرسته من ص ١٧ / ٢٢

والأداء (Performance) الخاصين بمتكلمى اللغــة الأصـــليين وهى تركز على المقدرة اللغوية (Competence) لاعلى الأداء الفعلى (Performance) (١)

والمقدرة هى القدرة التى تتكون لدى كل فرد من أفراد مجتمع لغوى ، معين والتى تمكنه من التعبير عما يريد بجمل جديدة . . أى هى التى تمكنه من الاستجابة فى المناسبات المختلفة من التعبير بالجمل الجديدة التى يعبر بها عما يريد ويسمى شومسكى هذه المقدرة المعرفة اللغوية « Verbal knowledge » ويرى أن من أهم مقومات هذه القدرة هى معرفة الفرد بالقواعد النحوية والصرفية التى تربط المفردات بعضها ببعض فى الجمل .

والتفاوت فى هذه المقدرة بين أفراد الجماعة اللغوية هو الذى يكشف عنه عبد القاهر الجرجانى عما تجدد بالقرآن من عظيم المزية وباهر الفضل ، والعجيب من الرصف والرصف الذى أعجز الخلق قاطبة وقهر من البلغاء والفصحاء القوى والقدر حتى اسأل عليهم الوادى عجزا : وأخذ منهم منافذ القول أخذا (٢)

ويضيف شومسكى إلى ما سبق معرفة مجموعة أخرى من القواعد أطلق عليها مصطلح القواعد التحويلية . . « Trans=formational Rules» وهى التى تعمل فى البنية العميقة للجملة : وهى البنية التى تحمل المعانى فتحولها إلى الشكل الخارجى الذى يعبر عنه بالأصوات أى إلى البنية السطحية (Surface Structure)

وإذا كان عمل النحو كما يرى شومسكى Noam chomsky أن يقدم وصفا جامعا لكل العبارات السليمة التركيب فى اللغة مانعاً العبارات التى لا ترد فى اللغة .

بمعنى أن النحو أداة لتوليــد جميع العبارات السليمة والصحيحة لغويا واستبعاد العبارات غير السليمة لغويا . .

فمعنى ذلك أنه من خلال استعمال القواعد اللغوية فان المقدرة اللغوية تستطيع أن تقدم أشكالا وتراكيب لاحصر لها ويدرك الفرد فى الجماعة اللغوية الفــرق بين الجمل الصحيحة والجمل غير الصحيحة (٣)

---

(١) وتعد هذه من نقاط الخلاف الأساسية مع النظرية النحوية الوصفية (Descriptive grammar)

(٢) انظر الأساس الرابع من الأسس التى بنى عليها عبد القاهر منهجه التجديدى فى دراسة النحو (السابق) من ص ٢٠٤ / ٢١٦ – النظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض – وقد بين أن النظم درجات وأنواع تتعدد معها طرايق الترتيب والتركيب وتختلف معها مراتب النظم تبعا لمقدرة المنشئين اللغوين ويفضل بعضها بعضا ويعلو مرقبا فوق مرقب حتى ينتهى إلى حد الإعجاز . . اقرأ (السابق) من ص ٢٠٦ / ٢١٦

(٣) من الفوارق بين المقدرة Competence – والأداء Performance أن المقدرة هى اللغة وإمكاناتها وأن الأداء هو الأصوات اللغوية التى ينطقها الفرد بالفعل أى الكلام . . الذى قد لا يكون صورة صحيحة للغة . لأن فيه الكثير مما يطرأ على الفرد من تردد وتكرار وتوقف ومخالفة للقواعد اللغوية . .

ومن خلال العلاقة بين التركيب الباطنى للجملة (deep Structure) وهو التركيب الذى اشتقت منه الجملة أساسا وبين التركيب الظاهرى (Surface Structure). وهو التركيب الذى تظهر عليه الجملة فى وضعها الراهن وعن طريق ما يعرف بالقانون التحويلى (Transformational Rule) يمكن أن نفسر وأن نعرض كثيراً من الصور اللغوية التى يمكن أن تظهر على ألسنة الجماعة اللغوية نتيجة لمقدراتهم اللغوية المتفاوتة ومن خلال ذلك تبدو عظمة المبانى القرآنية النحوية لاسيما عندما نربط بينها وبين دلالاتها.

وتمثل البنية العميقة شبكة من العلاقات النحوية... التى تقوم عليها معانى القول على حين تعتمد البنية السطحية على المستوى الصوتى (١).

فالنظرية التحويلية لا تنظر إلى الجملة على أنها مكونة من عناصر متجاورة كما تفعل نظرية المكونات المباشرة (immediate - Constituents) أو النظرية النحوية التقليدية traditional grammar ولكنها تنظر إلى الجملة على أنها مشتقة من تركيب آخر عبر عملية تحويل فهى تهتم بالحقيقة الذهنية الكامنة خلف الأداء اللغوى الفعلى..

ولهذا وفى ضوء ما سبق تستطيع النظرية التحويلية أن تضع أمام القارىء فى تفسير واضح أنماطاً من التعبيرات نحكم من خلالها على الجمل فترى أن عددا من الجمل مترادفة فى المعنى على الرغم من أن تراكيبها الظاهرة متباينة.. كما أنه قد توجد تراكيب ظاهرية لعدة جمل مختلفة ولكنها جميعا ذات

---

(١) نقد شومسكى الذين سبقوه لأنهم قصروا اهتمامهم على البنية السطحية للغة، ولم يفتنوا إلى ما أسماه بالبنية العميقة.. ولاحظ أن لهذا التقصير نتائج خطيرة فى البنائية الأمريكية على وجه الخصوص لأنها جماعها تلح على عمليات التجارب التطبيقية وتعتبرها المقياس الأخير : يقصد (الوصافين التجريبيين) — الذين قصروا أبحاثهم عليها لسهولة دراستها بالملاحظة والتجربة — وهذا فى رأى شومسكى يؤدى إلى استبعاد جانب كبير من معارفنا اللغوية التى اهتدينا إليها بالحدس والاستبطان ويقترح شومسكى أن يقيم فى مقابلة النزعة التجريبية نزعة عقلية Mentalist ويعتبرها أكثر أصالة فى تجربتها إذ أنها لا تنفض يدها من الواقع والأحداث التى تلتقطها بالتأمل والحدس فى تجربتنا اللغوية الحية — بل تشغل أيضا بالبنية العميقة دون أن تقف عند حد العمليات التصنيفية التى تقتصر على البيانات السطحية لتصل إلى معرفة كيفية انطراح البنية العميقة على السطحية وهى لا تدرك ذلك من خلال تصور البنية كمجموعة من الخصائص وإنما بدراسة القواعد الأساسية للتوالد خاصة فيما يطلق عليه نموذج التحول الذى يعرض له رسما بيانيا تكتيكيا : اقرأ المبانى النحوية لشومسكى Noam, chomsky ; Syntactic structures, the Hague 1957 pp 40-51.

تركيب باطنى واحد .. والاشتراك فى التركيب الباطنى هو سبب التطابق فى المعنى ..

كما تفسر النظرية التحويلية كيف يستطيع المرء أن يحكم أن جملتين متشابهتين فى التركيب الظاهرى غير متوازيتين فى العلاقة المعنوية .

كما تفسر كيف يفهم المرء الجملة على الرغم من حذف بعض أجزائها . . . .

كما تفسر كيف يستطيع المرء أن يميز بين الجمل الصحيحة والجمل غير الصحيحة على الرغم من تعدد أشكالها بصورة لا حصر لها . . .

وإن دراسة القواعد الأساسية للتوالد فيما يطلق عليه نموذج التحول الذى يعرض له شومسكى رسما بيانيا تكتيكيا تتفرع بموجبه الجملة إلى مكونات

وكل واحد منها يتفرع إلى مكونات ثانوية. (branching Rules)

ويستمر هذا التفرع حتى بلوغ المكونات النهائية (Terminal constituents)

وهى المكونات التى لا تقبل التفرع إلى مكونات ثانوية أخرى .

مع ملاحظة أنه يجب السيطرة على هذا التفرع وإبقاؤه فى حده الأدنى مما يكسب قوانين التركيب الباطنى مزيدا من البساطة والشمول ضمن اللغة ذاتها

وقوانين التركيب الباطنى ذات أنماط مختلفة — نذكر منها :

القانون الأول : قانون نقطة البداية أو القانون الابتدائى (imitial Rules) محاطا برموز حدية (boundary symbols) تستعمل فى العادة لبيان أن البداية هى الجملة مسبوقة بلا شىء ومتبوعة بلا شىء أى أنها قائمة بذاتها ≠ ا الجملة ≠

القانون الثانى : هو قانون البدائل (Alternative Rule)

القانون الثالث : يتناول ما قد ينشأ من تطبيق القانون الثانى : بالتعويض

القانون الرابع : يفرع ما ينشأ من تطبيق القانون الثالث.

ويمكن تسميته القانون الحساس للسياق (Context-Senitive Rule) أو القانون المشروط Conditioned rule

وهذا هو القانون الوحيد بين بقية القوانين المشروط على حين أن بقيـــة القوانين حرة أى غير مشروطة (Unconditioned Rules) أى غير حساسة للسياق (Context-Free)

القانون الخامس : فهو يعوض ما ينتج فى الطرف الأيسر من القانون الرابع .

وبعد تطبيق القانون الخامس يحتوى المخرج النهائى (Final output) على (أ) ثم نعود فنطبق القوانين كلها من جديد - ولهذا يسمى القانون الخامس بالقانون التكرارى (recursive rule)

وذلك لأنه يجبرك على أن تكرر تطبيق القوانين السابقة كلها أو بعضها .

وهذا التكرار ضرورى لتقليل تعقد القواعد عموما كما أنه يزيد من كفاءة قوانين التركيب الباطنى أو العميق .

وقوانين التركيب الباطنى تحتاج إلى كل هذا التنوع فى وظائف القوانين - فالقانون الإبتدائى (initial rule) لا غنى عنه لأن البداية هى الجملة لا محالة

وقانون البدائل- نحتاج إليه ليكون لدينا الخيار فى وضع اسم مفرد أو اسم جمع مثلا -أو وضع اسم معرفة-أو اسم نكرة...

والقانون الثالث الذى يشمل اختيار الحذف الجزئى (قانون الحذف الاختيارى (Optional deletion rule) فنحتاج إليه لحذف ما يمكن فهمه .

أما القانون المشروط فقد نحتاج إليه عندما نضع قانونا لغويا لاينطبق على كل الحالات ، بل توجد شروط معينة لتطبيقه .

أما القانون التكرارى فنستطيع بواسطته مثلا أن نحصل على جملة تحتوى على جملة ثم تحتوى الجملة الثانية على ثالثة وهكذا..

مثال ذلك بقوانين افتراضية للتوضيح

(١) ≠ أ ≠

(٢) أ ← { ب / حـ } + س

(٣) ب ← د + (ص)

(٤) د ← ف+ ك/ ــ ع

(٥) ف ← هـ + (أ) .

وفى ضوء ما سبق يعد أن عرضنا لقضية قوانين البدائل بصفة عامة .

وبناء عليــه ووفق مقاييس نضع القدر المواتى لنا من الجمل الجائزة فى مقابل القول القرآنى الكريم- مكتفين من كل ما سبق بمبادىء أساسية واضحة يطلع من خلالها القارىء بصفة عامة على مدى الفرق بين ما يمكن طرحه وبين الأصل على الرغم من أن البدائل ستدور حول المحور البنائى والدلالى للقول القرآنى الكريم الأول . ونعرض المقابل للبنية السطحية (Suafacé Structure

من شاء فليؤمن

الذى	شاء فليؤمن
التى	شاءت فلتؤمن
اللذان	شاءا فليؤمنا
اللتان	شاءتا فلتؤمنا
الذين	شاءوا فليؤمنوا
اللاتى	شئن فليؤمن
اللواتى	شئن فليؤمن
اللائى	شئن فليؤمن

ومن شاء فليكفر

والذى	شاء فليكفر
والتى	شاءت فلتكفر
واللذان	شاءا فليكفرا
واللتان	شاءتا فلتكفر
والذين	شاءوا فليكفروا
واللاتى	شئن فليكفرن
واللواتى	شئن فليكفرن
واللائى	شئن فليكفرن

من	أراد	فليؤمن — ومن	أراد	فليكفر
من	رغب	فليؤمن — ومن	رغب	فليكفر
من	أحب	فليؤمن — ومن	أحب	فليكفر

من شاء	فليسلم	ومن شاء	فلا يسلم
من شاء	فليتبع محمداً	ومن شاء	فلا يتبع محمداً

من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر

من	شاء	الإيمان	فليؤمن	ومن	شاء	الكفر	فليكفر
الذى	شاء	الإيمان	فليؤمن	والذى	شاء	الكفر	فليكفر
الذين	شاءوا	الإيمان	فليؤمنوا	والذين	شاءوا	الكفر	فليكفروا
اللذان	شاءا	الإيمان	فليؤمنا	واللذان	شاءا	الكفر	فليكفرا
اللتان	شاءتا	الإيمان	فلتؤمنا	واللتان	شاءتا	الكفر	فلتكفرا
اللاتى / اللواتى	شئن	الإيمان	فليؤمن	واللاتى / أو اللواتى	شئن	الكفر	فليكفرن
اللائى	شئن	الإيمان	فليؤمن	واللائى	شئن	الكفر	فليكفرن

من أراد الإيمان فليؤمن — ومن أراد الكفر فليكفر.

من أحب الإيمان فليؤمن — ومن أحب الكفر فليكفر.

من رغب في الإيمان فليؤمن — ومن رغب في الكفر فليكفر.

من شاء أن يسلم فليسلم ومن شاء ألا يسلم فلا يسلم

من شاء أن يتبع محمدا فليتبع محمداً ومن شاء ألا يتبع محمداً فلا يتبع محمداً

من شاء أن يؤمن فليؤمن — ومن شاء أن يكفر فليكفر.

الذى شاء أن يؤمن فليؤمن — والذى شاء أن يكفر فليكفر.

الذى أراد أن يؤمن فليؤمن — والذى أراد أن يكفر فليكفر.

الذى أحب أن يتبع محمداً فليتبع محمداً والذى لا يحب أن يتبع محمداً فلايتبع محمداً

وطرح هذه الأنواع من البدائل لقول قرآني كريم واحد ، -وهى قليل من كثير دون الخوض فى قوانين يتضح منها أمام من يدرك العربية أدنى إدراك أن الفرق واضح - بله أبنها -أو المتخصص فيها - والعالم بأسرارها ولذا فلسنا فى حاجة إلى مزيد من البدائل ولا القوانين لا فى البنية السطحية (Surfacé structure) ولا فى البنية العميقة (deep structure) ولسنا فى حاجة كذلك لطرح بدائل لأقوال قرآنية أخرى - فبناء على المنهج البنائى ومن خلال مقابلة بعض المجموعات السابقة التى دارت حول محور بنائى ودلالى لقول قرآنى واحد فان كل ما طرح دون الأصل -مع العلم بأنه قائم على القوانين الداخلية التى تحكم العربية ومع العلم بأنه احتذى نظم القرآن وصيغه أو مفرداته .

وفوق كل ما سبق فان النص القرآنى بقى متفردا بما جاء عليه من انسجام صوتى خلت منه البدائل -وبقى نموذجاً رائداً شارحاً يكشف عن (ميكانيزم) صياغة اللغة ونماذجها التى تند عن طاقة البشر (١) .

الدكتور البدراوى عبد الوهاب زهران

الخبير بمجمع اللغة العربية

---

(١) من المفيد فى ذلك قراءة : مشكلة البنية .

- ونظرية البنائية - د . صلاح فاضل .

- والأسلوب والأسلوبية : د . عبد السلام المسدى .

- والتمهيد فى اكتساب اللغة العربية - د . تمام حسان - علم الأصوات وقرائن النحو من ص ٣٠ وما بعدها .

- واللغة العربية معناها ومبناها - د . تمام حسان . من ص ١٨٧

- ومجلة فصول فى اعدادها المختلفة و

— Noam Chomsky : Aspects of the theory of Syntax Second Printing, December 1965.

— Noam Chomsky and Morris Halle ; The Sound Patters of English .

— Noam Chomsky : Cartesian Linguistics Harper & Row : Publishers ; New York and London.

— Noam Chomsky : Language and mind : Enlarged Edition Harcourt Brace jovanvich, inc. New Yourk Chicago San Francisco, Atlanta.

— Wallace L. chafe ; meaning and the Structure of Language.

— Yuen Renchao. Language and Symbolic Systems, Cambridge. University Press.

— Martin Heidegger., On the way to Language. Translated by Peter D. Hertz. Harpe Row Publishers New York, Evanstun, San Fransisco, London.

— Louis Hjelmslev ; Language ; An Introduction Sprojet, Translated From the Danish - by Francis j. wh Field, The university of Wiscosin Press Madison ; Milwankee and London 1970.

المشكلات المعاصرة للغة العلمية

بقلم جيرار بيتيو

ترجمة الدكتور حامد طاهر

مقدمة

العلوم وفروع التكنيك المختلفة بدور رئيسى فى تطور الحضارة الحديثة وهى تتعدد وتنقسم بدون توقف، وفى كل يوم تظهر موضوعات جديدة وتصورات جديدة ومناهج جديدة ويتم انتشار هذه الأفكار والمعارف عن طريق المؤتمرات والندوات العلمية، وبواسطة نشر الكتب والمجلات المتخصصة التى تعتبر عناصر أساسية فى التوثيق العلمى.

وفى البداية، يتطلب انتشار المعرفة العلمية وجود المصطلح القادر على تحديد المفاهيم التى تدخل، العلوم المختلفة وينتج عن هذا تلك اللغة العلمية التى تعبر عن ذلك الجزء الهائل من الأعمال المكتوبة فى فى عصرنا الحاضر، وغالبا ما اعتبرت اللغة العلمية منفصلة عن اللغة المستخدمة فى المؤلفات الأدبية، والتى تكون اللغة العامة للشخص المثقف، وهذا فصل مصطنع وهو يقوم على خلط بين معرفة لغة العلم، ومعرفة العلم نفسه. ويجد هذا الفصل جذوره فى الميل إلى التخصص الضيق الذى يظهر فى مختلف فروع البحث العلمى والواقع أنه ليس للمعارف العلمية ذات الطابع العام فائدة محددة لعمل مثمر حول موضوع معين، وخاصة عندما يتعلق هذا الموضوع بأبحاث التطور فى مقابل أبحاث المبادئ المسماة أساسية (fordamentales) وإذن فإن المعارف تسير حاليا فى طريق الانغلاق الذى يجعلها قصرا على مجموعات محصورة من الدارسين وهؤلاء هم وحدهم الذين يعرفون ماذا تعنى، ولا يهمهم طريقة التعبير عنها إلا قليلا:

إن كلا من هذا الانتشار والانغلاق للمعارف يعمل على تقويض وحدة اللغة بسرعة بالغة، تلك اللغة التى لم تعد تكون الأساس المشترك للمصطلح القومى، وبمجرد فحص بسيط لأية مجلة علمية تنشر مقالات خاصة بفروع العلوم المختلفة، يكشف عن أن هذه العلوم تستخدم مصطلحات غريبة تماماً عن بعضها البعض. ويكاد يصبح نص

(*) جيرار بيتيو: مدير أبحاث بالمركز الوطنى للبحث العلمى CNRS، وسكرتير «الجمعية الاستشارية — للمصطلحات العلمية» بأكاديمية العلوم الفرنسية.

ما فى الرياضيات الحديثة غير مفهوم – إن لم يكن غير معقول – لعالم فى علم الأحياء بل لعالم طبيعة أو كيمياء يعمل فى المجالات العلمية القريبة جداً من الرياضيات، ومثل هذا العالم لن يتوقف فى قراءته بسبب افتقاد المعرفة ، أو صعوبة الاستدلال، وإنما بسبب الشكل واللغة. ومن الطبيعى أنه يجب التمييز هنا بين فهم منهج ما ، أو نتائج ما ، وبين إمكانية استخدامها . وهذا التمييز هو المعروف جيدا فى مجال التعليم بين المعرفة النظرية ، والمعرفة العملية المثمرة.

وإذا ما فحصنا العناصر المكونة للغة العلمية وجدناها تحتوى على عدة أنواع من المصطلحات والعبارات . فمن ناحية ، نلتقى بمصطلحات خاصة مكونة من كلمات أجنبية عن اللغة العامة . وتتكون هذه المصطلحات الخاصة فى الغالب من جذور يونانية أو لاتينية ، كما أنها قد تستمد من لغات أخرى ،ومن ناحية ثانية ، فإن عددا من المصطلحات قد يستعار من مفردات اللغة العامة ، ولكن مع إعطائه معنى خاصا يختلف من علم لاخر وفوق هذا وذاك ، فإن اللغة العلمية تدخل فى كل تخصص تعبيرات مركزة تعمل على إهمال بعض الأوصاف والأفكار الوسيطة، وهذا المصطلح هو الذى يجعل من الصعب على الشخص العادى قراءة الكثير من النصوص العلمية ، لأن الموضوعات والأفكار إنما يشار إليها فقط بأوصاف وحيدة ، تعين خصائصها :

وتقاس نوعية المصطلح العلمى بمدى دقته وتحديده ، وغالبا ما ينفصل بذلك عن اللغة التكنيكية . والواقع أن الفاصل بين اللغتين (لغة المصطلح العلمى ، واللغة التكنيكية)غير محدد دائما ، إلى أنه يوجد فى الغالب تطابق بين ما هو علمى وما هو تكنيكى . ومع ذلك فإن الموضوعات المدروسة تظل مختلفة ، وعرض النتائج المتوصل إليها لا يؤكد نفس النقاط ومن المعروف أن التكنيك يعمل دائما على إدخال مصطلحات أكثر تعقيدا ، وأقل تحديدا ، ولا يتردد فى استخدام تعبيرات هجينة ، لكن هذا كله يظل مفهوما فى دائرة ضيقة من المتخصصين. وعلى سبيل المثال فإن رجال التكنيك لا يترددون مطلقاً فى تسمية أحد المنتجات باسم تجارى (مبتذل) يباع به ، وينتشر معه ، بينما يتوقف أهل العلم كثيراً قبل أن يعطوا لهذا المنتج اسما دقيقاً يبين تركيبه ، ويحدد خصائصه الذاتية ومن ناحية أخرى ، فإن اللغة التكنيكية سوف تبحث فى المستقبل عن التجديد الموجود فى اللغة العلمية ، كما أنها سوف تتطابق معها حين يصبح من الضرورى أن تحدد بدون أدنى لبس أو غموض – كما .

هو الحال فى نص شهادات الاختراع — الطبيعة الحقيقية لمستحضر ما ، أو طريقة صنع شىء ما ، أو تركيبه .

وتتطور اللغة العلمية بسرعة بالغة ، وبنسبة غير متساوية مع تطور العلوم نفسها وأحيانا ما يولد كثير من المصطلحات المعقدة فى سنوات قليلة ، وهذا هو الحال مثلا فى مجال الطبيعة النووية ، حيث تتخلق مصطلحات متخصصة جداً وتثرى كل يوم ومع ذلك ، فإن هذا التطور ليس مرتبطا على الدوام بتقديم العلوم الفعلى ، ولكنه يمثل فى الغالب مجهودات جماعية تسعى إلى التركيب والتجديد .

فمثلا نحن نعرف الثورة التى تمت فى مجال الرياضيات على أيدى مجموعة من قدامى خريجى دار المعلمين العليا (E.N.S.) تحت الاسم المستعار بوركارى Bourkari فقد أهملوا تماماً صيغ العرض والاستدلال الرياضى فى التراث السابق كله ، ثم أعادوا كتابة المعارف الرياضية المعاصرة لهم بمصطلحات جديدة : موحدة ومحددة ولاشك فى أن أى رياضى ، تكون علمياً بعد سنة ١٩٣٠ ، ولم يتابع التطور الرياضى منذ ذلك العصر ، لن يستطيع أن يفهم المؤلفات الرياضية المعاصرة دون الرجوع باستمرار إلى ذلك « القاموس » الذى يتكون من الأعمال المنشورة تحت اسم (بور كارى) .

وكثيراً ما نوقشت ضرورة مثل هذا التحديد فى لغة الرياضيات ، اعتماداً على أن البرهنة الرياضية محتاجة لأكبر قدر ممكن من الدقة والصفاء لكن هذه الدقة وذلك الصفاء قد يقفان عقبة فى طريق إبداع الأفكار الجديدة ، وهى التى يمكنها — وحدها — أن تدفع العلم إلى الأمام على طريق التطور .

إن الأبحاث العلمية تفسح المجال عموماً للنشرات والكتب ، والمقالات فى شتى المجالات المتخصصة . وقد تطلبت مخاطبة الجمهور العالمى من معظم هذه المجالات العلمية نشر مقالات ليست مكتوبة فقط باللغة القومية لأصحابها ، وإنما أيضاً فى عدة لغات ذات انتشار واسع مثل الإنجليزية ، والفرنسية ، والألمانية ، والروسية الخ . ومن ناحية أخرى ، فإن الاتحادات العلمية العالمية تسيطر على عدة مجالات مختلفة ذات إدارات عالمية . ويجب الإشارة أيضاً إلى أن الانتشار الهائل لعدة مجلات علمية أمريكية (لا تعرف صعوبات مادية) قد جذب عدداً كبيراً من الأوربيين إلى نشر بحوثهم باللغة الإنجليزية ، وقد نتج عن ذلك اتجاه — قد يكون عابرا — إلى جعل الإنجليزية هى اللغة العلمية الأصلية .

ويفرض البلد ، الذى يولد فيه العلم ويتطور ، على الأجنبى جزءاً كبيراً من المصطلحات . ومن المعروف أن استيراد المصطلحات التكنيكية يصحب استيراد وسائل الإنتاج ، وأوضح مثال على ذلك

هو ما نشاهده من الانتشار العالمي للمصطلحات الأنجلوسكسونية في مجال الطيران .

ومن ناحية أخرى ، فإن الانتشار العالمي للمصطلحات لا يكون محسوساً دائماً ، ففي حالات كثيرة ، تتكون المصطلحات العلمية مباشرة ، أو على نحو غير مباشر ، من جذور لاتينية أو يونانية . وهذه المصطلحات تتكيف وتتحول دون صعوبة في مجموعة اللغات الأوربية ، التي قد تبسط أو تعقد كتابتها ، تبعاً لاتجاه كل منها وتلك الصورة من التركيب هي أفضل ما نتمناه في وضع المصطلحات الجديدة .

لكن عدداً كبيراً من المصطلحات العلمية أو التكنيكية يتكون في الغالب دون قاعدة محددة ، بل إنها تتكون ، منذ البداية ، من انحرافات وامتدادات في معاني كلمات اللغة العامة نفسها وعندما تنتقل إلى الخارج دون تغييرات كبيرة (لأنها تقبل ذلك إلى حد ما) تأخذ معاني خاصة . ثم في إطار التطور العلمي العام ، تأخذ هذه المعاني في التطور والتغير والتخصص ، وتتولد منها مشتقات أخرى ، وكائنات لغوية مشوهة ، أو كما يقال مزدوجة اللغة وهكذا تختفي ارتباطها بالفكرة الأصلية ونفاجأ بأننا أمام مصطلحات إنجليزية مثلا تأخذ في فرنسا معاني خاصة ، يندهش لها الناطقون بالإنجليزية أنفسهم .

أن اللغة العلمية تمثل بصورة عفوية اتجاها إلى العالمية ، وتقدم أنشط عامل لتداخل اللغات . وغالباً ما يتساءل الباحثون العلميون عن أية لغة يتبنونها لنشر أعمالهم : هل يكتبون بلغتهم القومية أم بلغة مضمونة لدى جمهور كبير من المتخصصين ؟

وفي هذا الصدد ، قدم اقتراح باستخدام لغة علمية وحيدة ، يمكن أن تكون : الإنجليزية ، أو الفرنسية ، أو الألمانية أو اللاتينية أو حتى الاسبيرانتو L'espéranto لكن هناك ضروبا من النقد قد كشفت عن العيوب التي تنتج عن هذا الحل ، ومنها على سبيل المثال : افتقاد الدقة في الإنجليزية والتعقيدات الإملائية والنحوية ، التي يصعب تفسيرها أحيانا في كل من الفرنسية والألمانية وضرورة صياغة عدد كبير جداً من المصطلحات التي تعتمد على مفاهيم لا توجد في اللاتينية ، وأخيراً قلة انتشار الاسبيرانتو في المجال العلمي .

وقدم اقتراح آخر ، يتمثل في حرية استعارة مصطلحات لغة إلى لغة أخرى وبالتالي محاولة خلق عفوي للغة وسيطة ويلاحظ أن هذا الاقتراح قد تحقق — بصورة ضمنية — في مجال التكنيك لكنه وصل إلى تشويه اللغتين ، ونتجت عنه ضروب عديدة من الغموض ، دون أن يقدم مزايا حقيقية .

وهناك اقتراح ثالث، يدعو إلى صياغة النصوص العلمية فى مصطلحات أطلق عليها مصطلحات أساسية vocabulaire de base وهذا يعنى أن نستخدم فى كل لغة قومية وفى كل مجموعة من العلوم بها، عدداً محصوراً من المصطلحات المختارة، ونستبدل بها أى مصطلح أو تعبير آخر عن طريق الدوران حول المعنى الذى تدل عليه مصطلحات اللغة الأساسية: ونحن نرى بسهولة أن هذا الاقتراح يؤدى إلى القضاء على دقة التعبير الضرورية أساساً فى المنشورات العلمية، ومع ذلك فإن استخدام المصطلح المختار لا يثير نفس الاعتراضات فى صياغة المختصرات الموجزة التى تطلبها المجلات العلمية من المؤلفين لكى يشفعوا بها أبحاثهم وتتم صياغة هذه المختصرات بصفة عامة دون تغييرات فى المجالات البيلوجرافية أو التحليلية وقد نشرت منظمة اليونسكو مجموعة من المبادئ التى يفضل أن يتبعها الباحثون فى تلك الصياغة ولا شك فى أن استخدام مصطلح مبسط سوف يسهل قراءتها.

ومن الطبيعى أن يثير تعدد اللغات المستخدمة فى المنشورات العلمية مشكلة الترجمة من لغة إلى أخرى. لكن لكى تتم عملية الترجمة، لابد أن يوجد فى اللغتين المصطلحان أو التعبيران المتقابلان، وأن يكون هذا وذاك مسجلين فى المعاجم والقواميس، لكن الواقع يظهر أن كثيراً من المصطلحات العلمية الناشئة فى لغة معينة ما تزال بدون مقابل فى اللغات الأخرى وقد كانت هذه إحدى المشكلات المؤرقة — عمليا — فى نهاية الحرب العالمية الثانية، عندما وُضعت أنواع التكنيكات المختلفة، والتى جرى تطويرها سراً لدى المتحاربين فى خدمة العلم، ومجالات التكنيكات المدنية.

ومع ذلك، فإن تأليف القواميس العلمية قد ترك عموما لمبادرات الأفراد والنشر الخاص وهكذا أصبحنا أمام عدد كبير من القواميس العلمية المزدوجة اللغة وسوف أستشهد هنا على سبيل المثال بقاموس التلفزيون والرادار والإريال Elzevier الذى نشره كلازون W.E.Clacon سنة ١٩٥٥! وهو يعطى كل مصطلح — مرتب حسب الأبجدية الإنجليزية — تعريفه، وما يعادله فى الفرنسية والإسبانية والإيطالية والهولندية والألمانية.

لكن كثيراً من القواميس والمعاجم العلمية تعتبر ذات نوعية متوسطة أو غير كافية وفضلا عن ذلك، فإنها توجد فى وضع قد تجاوزها فيه التطور العلمى والتكنيكى وهذا هو الحال مثلا فى القاموس التكنولوجى الهائل، والمصور، والمكتوب فى ست لغات عالمية (الفرنسية، الإيطالية

الإسبانية ، الألمانية ، الإنجليزية ، الروسية) الذى وضعه كل من دينهارت K. Deïnhart وسكلومان A. Schlomann فى بداية القرن العشرين ، والذى أصبح اليوم من الناحية العملية غير ذى فائدة للترجمة فى معظم المصطلحات الإلكترونية .

وقد أوصت منظمة اليونسكو فى سنة ١٩٤٩ بوضع قواميس متعددة اللغات فى كل مجالات العلوم وفروع التكنيك وبادرت بالمساعدة النشطة فى تحسين المعجم العلمى وقد نشر خبير اليونسكو هولستروم J. H. Holmstrom عدة أبحاث متصلة بالقواميس العلمية والتكنيكية ، المزدوجة اللغة ، وحول قواعد العمل اللازم اتباعها لوضع وصياغة المعاجم العلمية بالإضافة إلى نشر ببليوجرافيا للقواميس العلمية والتكنيكية المزدوجة اللغة (منشورات اليونسكو ١٩٥٣) كما ساعدت منظمة اليونسكو على وضع وصياغة عدد من القواميس التى قامت بها بعض الجمعيات العلمية .

ولا شك فى أن وضع معاجم الكلمات العلمية الصعبة، التى تنتشر فى مختلف العلوم وفروع التكنيك ، يعد اليوم ضرورياً للغاية فتطور اللغة العلمية يتزايد ، ويمكن التنبؤ بأن مجموع المؤلفات والمجلات العلمية المعاصرة سوف يغدو غير معقول فى السنوات القادمة كذلك فإن ترك المصطلح العلمى خارج قواميس اللغة العامة سوف يعرضنا لمشكلة حادة ، بعد عشرات السنين فقط ، وذلك عندما يراد فهم النصوص التى ورد فيها ، والتى تمثل أعظم العناصر فى تراث الإنسانية .

وفى فرنسا ، اهتمت أكاديمية العلوم بالظروف التى نشأت فيها اللغة العلمية وتطورت وإذا كان التطور الطبيعى للعلوم تتطلب تكيفا ضروريا من اللغة فإننا نعتبر أن هذا التكيف ينبغى أن يكون (معقولا) و (موجهاً) حتى يؤدى إلى ثروة حقيقية فى اللغة ، مع المحافظة ، فى الوقت نفسه ، على عنصرى الدقة والوضوح اللذين يعطيان للمصطلح العلمى قيمته الخاصة به .

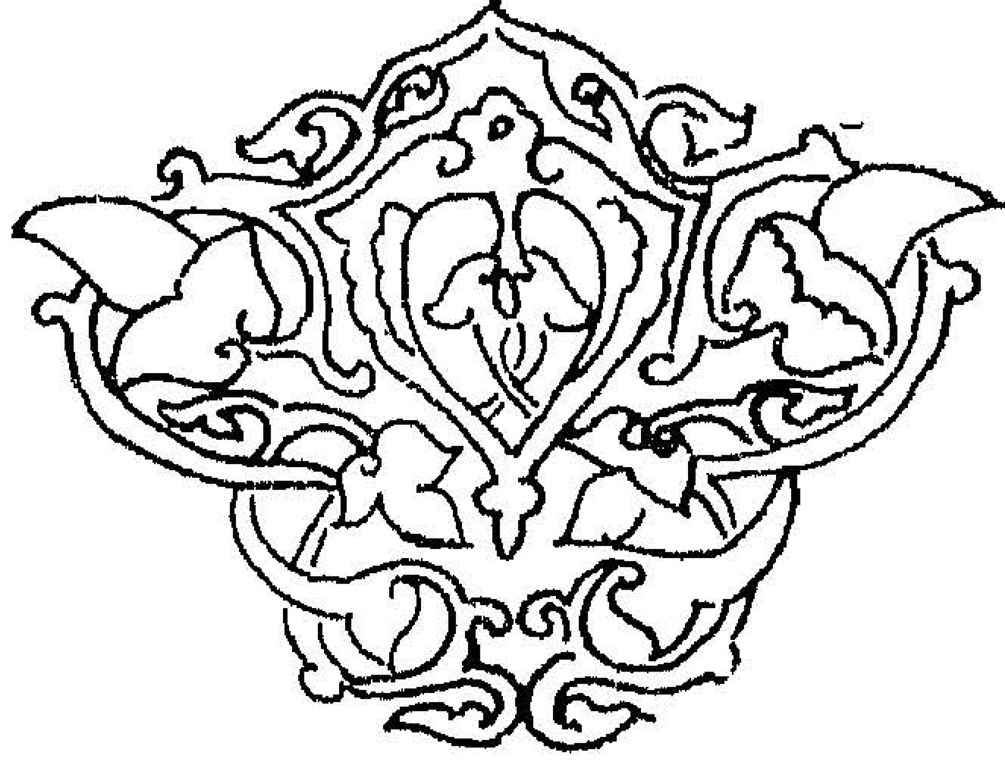
وقد ألف الأستاذ دوهيم M. Duhem مدير (المجلة العلمية) منذ عدة سنوات «الجمعية الاستشارية للغة العلمية» التى وضعت تحت إشراف «أكاديمية العلوم الفرنسية» ، مباشرة وتولى رئاستها كل من العالمين الجليلين لوى دى بروجلى ، وجورج ديهاميل ويجتمع فيها بصفة دورية متخصصون فى فروع علمية مختلفة مع عدد كبير من اللغويين .

وقد وضعت هذه الجمعية آراء وتوصيات حول مسائل المصطلح العلمى الذى يسيطر عليه الأفراد أو المنظمات

العملية ، وهى تعلن فى الوقت المناسب عن المصطلحات الجديدة ، وما يعادلها مما ينبغى تبنيه بالنسبة للمصطلحات العلمية الأجنبية وتنشر توصيات الجمعية باعتبارها جزءا من أعمال أكاديمية العلوم الفرنسية .

وعلى فرض أن كل توصيات هذه الجمعية لا تتبع ، فإنها تستخدم ، على الأقل كدليل يمكن الرجوع إليه فى كثير من الحالات ويمكننا من ناحية أخرى أن نأمل فى أن اللغة العلمية سوف تحافظ على عناصر الدقة والوضوح والرشاقة التى تميزت بها اللغة الفرنسية .

حامد طاهر



نظرات دقيقة حول "بعض وكل" في الأساليب العربية

للدكتور عبد الرحمن محمد إسماعيل

إلى تلك التي تحتضن فكرنا العربي المتجدد، وتضم بين صفحاتها تراثنا الخالد إلى مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة أكتب هذه النظرات الدقيقة حول (بعض وكل) بين اللغويين والنحاة فأقول:

يضيق تراثنا العربي ويصعبه على أجيالنا أولئك الذين ليست لهم إلمامة به، أو سعة اطلاع عليه، حيث لم يتمرسوا بمقاييسه ولم يحيطوا بها علما، ولم يدركوا أسراره ولطائفه، ومن هنا تراهم يتبرمون منه تارة أو يصفونه بأنه صعب المرتقى، وعر المسالك تارة أخرى، والحقيقة غير ما يفهمون وفوق ما يتدبرون، فقد ثبت — يقينا — للباحثين سعة العربية، واستقر ذلك لدى العرب والعجم، كما تعارف عليه أئمة العربية وروادها الأوائل، وتواصوا به فيما بينهم.

يقول شيخ اللغويين والنحويين الخليل ابن أحمد الفراهيدي: لغة العرب أكثر من أن يلحن فيها متكلم: ويقول الأخفش عبد الحميد بن عبد المجيد: أنحى الناس من لم يلحن أحدا.

ويقول الكسائي: على ما سمعت من كلام العرب ليس أحد يلحن إلا القليل (١).

ولما كان (لبعض وكل) طرائق شتى في الاستعمال العربي. منها ما توافق عليه العلماء ومنها ما اختلفوا فيه، بل تعدى ذلك إلى تلحين بعضهم بعضاً، وهم على درجة من العلم والفكر والأدب. ثم انتقل ذلك الصراع إلى المحدثين من المثقفين. قصدت أن أكتب في ذلك ما يجلي الصواب، ويبث أسباب الخلاف، ويفيد منه القارئون والباحثون.

أولا: معنى بعض وكل:

* بعضُ كلِّ شيء: طائفة منه سواء قلّت أو كثرت، يقال بعض الشيء أهون من بعض (٢).

---

(١) المدخل لابن هشام اللخمي: ١٠

(١) انظر تاج العروس للزبيدي: ٥/٨

* وكل: تفيد الاستغراق سواء أكانت للتأكيد أم لا، والاستغراق لأجزاء مادخلت عليه إن كانت معرفة، ولجزئياته إن كانت نكرة [1] ولفظها مفرد ومعناها جمع، لذلك يجوز الإخبار عنها بالإفراد حملا على اللفظ نحو: كلٌّ قائم، كما يعود الضمير عليها مفردا مراعاة للفظ كما في قوله تعالى: «قل كلٌّ يعمل على شاكلته» سورة الإسراء الآية ٨٤ وبالجمع كما في قوله تعالى:

كلٌّ له قانتون» سورة البقرة الآية ١١٦

فقانتون خبر (كل)، حملا على معناها ويعود الضمير عليها جمعاً، كذلك نحو:

كلٌّ حضروا، يقول ابن جنى: وكأنه حمل عليه هنا: (أى على المعنى) لأن كلاًّ فيه غير مضافة، فلما لم تضف إلى جماعة عوض من ذلك ذكر الجماعة فى الخبر، ألا ترى أنه لو قال: وكل له قانت، لم يكن فيه لفظ الجمع البتة، ولما قال: «وكلهم آتيه يوم القيامة فردا» سورة مريم الآية ٩٥، فجاء بلفظ الجماعة مضافا إليها، استغنى به عن ذكر الجماعة فى الخبر [2].

ثانيا: أحوال بعض وكل فى الاستعمال:

ترد بعض وكل فى الأساليب العربية على ثلاثة أحوال:

الأولى: أن تستعملا مجردتين من (أل) والإضافة نحو قوله تعالى:

* «قلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو» سورة البقرة الآية ٣٦ وقوله: «وله من فى السموات والأرض كل له قانتون» سورة الروم الآية ٢٦ فبعض الثانية فى آية البقرة وكل فى آية الروم مجردتان من (ال) والإضافة، والتنوين فيهما عوض عن المضاف إليه، غير أن كلاًّ إذا قطعت عن الإضافة جاز الإخبار عنها بالمفرد مراعاة للفظها، وبالجمع مراعاة لمعناها كما ذكرت قبلا.

قال ابن مالك وغيره من النحاة: إن الإفراد على اللفظ والجمع على المعنى، وهذا يدل على أنهم قدروا المضاف إليه المحذوف فى الموضعين جمعاً، فتارة روعى كما إذا صرح به وتارة روعى لفظ كل أ هـ. قال السهيلى:

وفى هذه الحالة تلزم كل صدر الكلام نحو: كلٌّ يقوم، وكلاًّ ضربت، وبكلٍّ

(١) انظر تاج العروس للزبيدى: ٨ / ١٠٠، ورسالة الشيخ الصبان على البسملة: ٣

(٢) انظر الخصائص لابن جنى: ٣ / ٣٣٥، ٣٣٦، وتاج العروس للزبيدى: ٨ / ١٠٠، ومغنى اللبيب لابن هشام على الأمير: ١ / ١٦٦ وما بعدها، والمخصص لابن سيده مجلد ٥ سفر / ١٧ / ١٣١

مررت ، ويقبح أن تقول : ضربت كلاً ومررت بكلٍ [1]

الثانية : أن تستعملا مضافتين :

أما بعض فقد وردت مضافة فى القرآن إلى المفرد النكرة نحو قوله : « قال كم لبثتَ قال لبثتُ يوما أو بعض يوم » سورة البقرة الآية ٢٥٩ والمعرفة نحو قوله : « ليذيقهم بعض الذى عملوا » سورة الروم : الآية ٤١، والجمع المعرف نحو قوله : « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض » سورة الأنفال الآية ٧٥ وقوله :« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء . بعضهم أولياء بعض »سورة المائدة : الآية (٥١)

وأما كل فتضاف إلى النكرة مفردة نحو قوله :« وكل شئ فعلوه فى الزبر» سورة القمر : الآية ٥٢ .

ومثناة نحو قول الفرزدق :

وكل رفيقى كل رحل وإن هما
تعاطى القنا قوماً هما أخوان

وجمعاً مذكراً نحو قول لبيد :

وكل أناس سوف تدخل بينهم
دويهية تصفر منها الأنامل

ومؤنثا نحو قول الآخر :

وكل مصيبات الزمان وجدتها
سوى فرقة الأحباب هينة الخطب [2]

وتضاف إلى المعرفة ،وكثيرا ما يكون المضاف إليها جمعاً ؛ نحو قوله تعالى :

و« كلهم آتيه يوم القيامة فردا»سورة مريم : الآية ٩٥ . . . ونقل عن أبى حيان قوله : لا يكاد يوجد فى لسان العرب : كلهم يقومون ، ولا كلهن قائمات ،وإن كان موجودا فى تمثيل كثير من النحاة اهـ كما نقل عن ابن السراج امتناع إضافة كل إلى المفرد المعرّف بالألف واللام التى يراد بها العموم [3] هذا —ونقل إضافتها إلى المفرد العلم نحو : كل زيد حسن : أى كل جزء من أجزائه حسن» رسالة الصبان على البسملة . / ٣ .

فاستعمال بعض وكل فى الحالتين السابقتين لا خلاف فيهما حيث اتفق عليها النحويون واللغويون لكثرة استعمالهما فى فصيح الكلام ، ووفرة الشواهد الدالة على ذلك شعرا ونثرا .

* الحالة الثالثة :

أن تستعملا بالألف واللام ، وفيها يحتدم الخلاف بين النحاة ؛ فيجيزها

---

(١) انظر تاج العروس للزبيدى : ١٠٠/٨

(٢) انظر مغنى اللبيب لابن هشام على الأمير : ١ / ١٩٦ وما بعدها ، وتاج العروس للزبيدى : ٨ / ١٠٠ بتصرف

(٣) انظر التاج للزبيدى : ٨ / ١٠٠

فريق وهو القياس والصواب ، ويرفضها فريق آخر ، ولا حجة لهم إلا لأنها لم ترد فى القرآن الكريم . ويحسن بنا أن نعرض لآراء النحاة أولا ثم نختم برأينا مدعما بالقياس والسماع ، كى يقف القارئ على وجهات النظر المختلفة ويستبين له الحق والصواب .

قال صاحب تاج العروس : ويقال : كل وبعض معرفتان . ولم يجئ عن العرب بالألف واللام وهو جائز ، لأن فيهما معنى الإضافة ، أضفت أم لم تضف ، هذا نص الجوهرى فى الصحاح .

وقال أبو حاتم : وقد استعمل الناس الألف واللام فى كل وبعض حتى سيبويه والأخفش فى كتابيهما لقلة علمهما بهذا النحو ، فاجتنب ذلك فإنه ليس من كلام العرب وكان ابن درستويه يجوّز دخول الألف واللام على كل وبعض مع مخالفة جميع نحاة عصره له [1] .

وقال السيوطى : وفى كتاب ليس لابن خالويه [2] : العوام والخواص يقولون الكل والبعض ، إنما هو كل وبعض لا تدخلهما الألف واللام ، لأنهما معرفتان فى نية الإضافة وبذلك نزل القرآن الكريم ، وكذلك هو فى أشعار القدماء [3] .

وقال الراغب الأصفهانى فى المفردات : ولم يرد فى شيء من القرآن ، ولا فى شئ من كلام العرب الفصحاء الكل والبعض . وإنما ذلك شئ يجرى فى كلام المتكلمين والفقهاء ومن نحا نحوهم [4] إلى غير ذلك مما يضيق عنه المجال .

وإنى أجتزئ القول فى مناقشة ما قد سلف من آراء المانعين دخول الألف واللام على بعض وكل فى الأسطر الآتية :

إن دعوى أنهما معرفتان بالإضافة لها ما ينقضها ، حيث ذهب أبو على الفارسى إلى أنهما نكرتان قياساً على نحو : خذ ربعاً وثلثاً ونصفا وهى نكرات بالإجماع ، والتنوين فيهما عوض عن المضاف إليه ، وإضافتها ملحوظة فى المعنى مع تنكيرها [5] .

ودعوى أنهما لم يردا فى القرآن الكريم وأشعار القدماء لا تنهض حجة لأصحابها ؛ لأنه قد ورد فى كلام العرب

---

(١) انظر التاج للزبيدى : ٨ / ١٠٠

(٢) لم أجد ذلك فى كتاب « ليس » الذى حققه الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار .

(٣) انظر المزهر للسيوطى : ٢ / ١٠٥ ، ١٠٦ ، تاج العروس للزبيدى : ٥ / ٨ ، المخصص لابن سيده مجلد ٥ سفر / ١٧ - ١٣١ ، وما بعدها .

(٤) المفردات للراغب الأصفهانى : ٤٣٧

(٥) المقنع فى الدراسات النحوية للباحث : ٢٩

ما ليس فى القرآن ، كما ورد به ما لم تقله العرب ، وليس القرآن كل كلامهم ، وإن كان قمته ، ولسنا بصدد ضرب الأمثلة عليه ، كما أنه ورد فى شعر القدماء ما يثبت ذلك سماعا كما لم يمنع منه قياس نحوى نحو قول : المرقش الأصغر :

شهدت به عن غارة مسيطرة
يطاعن بعض القوم والبعض طوحوا[1]

فأل "دخلت على بعض فى بيت المرقش والقياس يعضده ويساننده لأن بعضاً وكلا إسمان معربان والأسماء المعربة تدخل الألف واللام عليها قال ابن مالك :

بالجر والتنوين والندا وأل
ومسند للإسم تمييز حصل

وإذا كان القياس يبيح ذلك ، ثم جاء السماع به ، كان ذلك تأكيداً لصحة دخول (أل) عليهما ، ولو لم يرد سماع فلا يلزم من عدمه عدم الاطراد مع وجود القياس ، ولا يجوز أن يقال بالشذوذ فيما وجد له وجه من القياس ."

هذا وقد سبق أن ذكرت أن سيبويه والأخفش ، ثم ابن جنى قد أدخلوا الألف واللام على كل وبعض فى كتبهم ، ولا يخفى على أمثالهم خطورة ذلك[2] .

لهذا أرى صحة دخول الألف واللام على كل وبعض ، قياسا وسماعا ، وليست (أل) هذه للتعريف كما يتوهم ، بل عوض من المضاف إليه المحذوف ، والتعويض (بأل) عن المضاف إليه ، هو مذهب الكوفيين ، وجرى عليه المفسرون فى قوله تعالى : « فإن الجنة هى المأوى » سورة النازعات : الآية ٤١ أى مأواه ، وقوله تعالى : « نجب دعوتك ونتبع الرسل » سورة إبراهيم : الآية ٤٤ : أى رسلك ، قال ابن مالك : وعليه يحمل قوله تعالى : « جنات عدن مفتحة لهم الأبواب » سورة ص : الآية ٥٠ أى : أبوابها[3] فأل فى الآيات الثلاث دخلت تعويضا لا تعريفا .

وحيث ورد التعويض بأل من المضاف إليه فى كلام الله وكلام العرب ، فإن ذلك يؤيد ، بل ويؤكد ، صحة دخول (أل) العوضية على بعض وكل ، رغم توقف بعض النحاة فى ذلك ، كما ذهب إلى هذا الذى بدا لى الإمام اللغوى أبو عبد الله محمد الطيب الفاسى (١١١٠ — ١١٧٠) شيخ السيد مرتضى الزبيدى صاحب تاج العروس ، قال الأزهرى : النحويون أجازوا الألف واللام فى بعض وكل ، وإن أباه الأصمعى ، قال

(١) جمهرة أشعار العرب / ٢٠١ لأبى زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى .
(٢) انظر استعمالات ابن جنى فى الخصائص : ٣ / ٣٣٤
(٣) انظر البرهان للزركشى : ٤ / ٣٨ ، وشرح شواهد الشافية للبغدادى / ١٢٤ ، تهميشة / ٢ ، ١٢٨ : ١٣٢

الزبيدى: قال شيخنا أى بناء على أنها عوض عن المضاف إليه [1] .

ومما تقدم يتبين لنا الآتى :

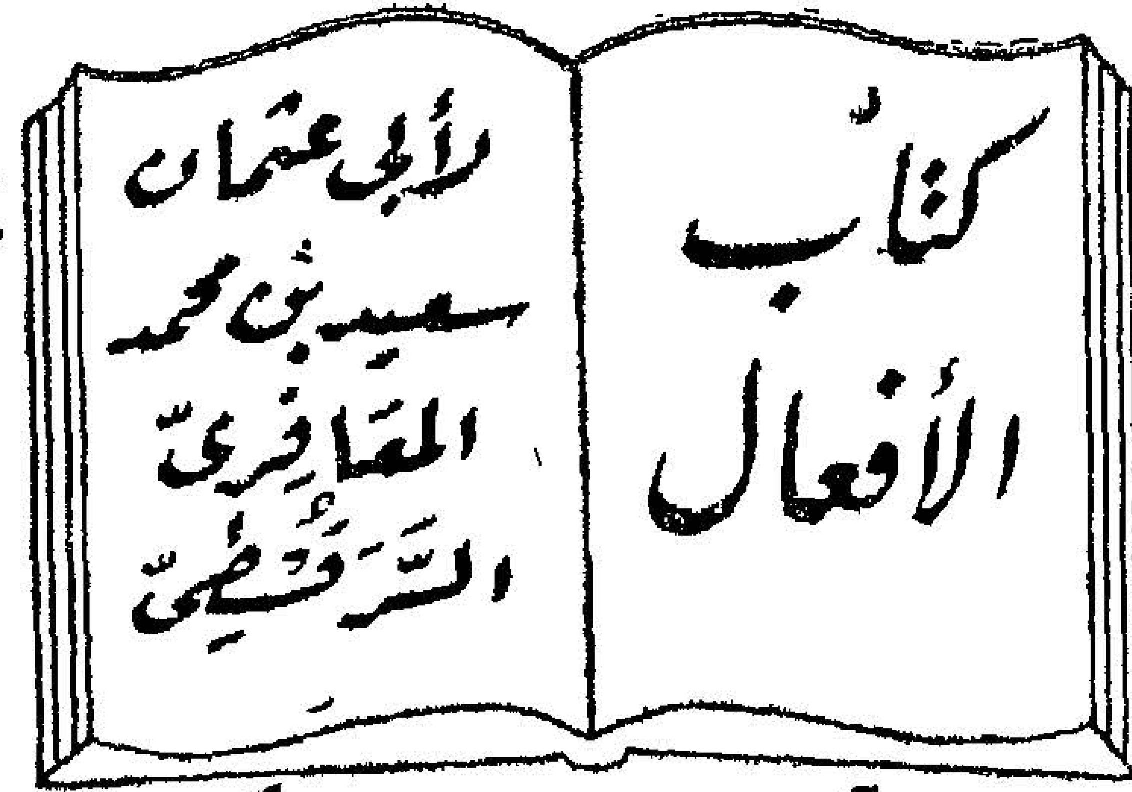
(أ) إن كلًّا وبعضًا إذا قطعتا عن الإضافة لحقهما التنوين عوضاً عن المضاف إليه المحذوف، نحو قوله تعالى: « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض . . . » سورة البقرة : الآية ٢٥٣ : أى على بعضهم ، فحذف المضاف إليه وعوض عنه التنوين، ونحو قوله تعالى : « قل كلٌّ يعمل على شاكلته . . . » سورة الإسراء الآية ٨٤ : أي قل : كل إنسان ، بدليل قوله تعالى : « وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه . . . » سورة الإسراء : الآية ١٣ فحذف المضاف إليه من الآية الأولى ، وعوض منه التنوين .

(ب) إذا دخلت (أل) على بعض وكل، حذف المضاف إليه لأنها عوض منه ، وهم لا يجمعون بين العوض والمعوض منه ، نحو : البعض حضر ؛ أى بعضهم حضر ، ونحوه : الكل قائم أو قائمون ؛ أى كلهم قائم أو قائمون ، فحذف المضاف إليه ، وعوض عنه بـ (أل) .

وبعد : فهذه هى لغتنا الخالدة ، يبلى الزمان وهى متجددة ، وتكل الألباب وهى فتية ، وتتحات الأفهام وهى كالطود راسخة شامخة لا يمسها سوء ، وعلينا أن نتفانى فى إحيائها بالبحث وأن نفى حقها بالدرس ، فلقد شرفنا الله بها حيث أنزل بها وحيه، واشغل بها عباده من حيث كانت إلى أن تقوم الساعة ، والحمد لله رب العالمين .

عبد الرحمن محمد اسماعيل

(١) انظر تاج العروس للزبيدى : ٥ / ٨



تحقيق : الدكتور حسين محمد شرف
مراجعة : الدكتور مهدى علام

نقد وتعريف : الدكتور إبراهيم السامرائى

قدم الدكتور[1] مهدى علام «كتاب الأفعال»[2] فكان تقديمه فاتحة مفيدة ممتعة ، عرض فيه لمكانة « الفعل » فى اللغات الأعجمية ولاسيما الإنكليزية ، وخلص من ذلك إلى مايحتله الفعل من مكانة أصيلة فى الجملة العربية . وقد ألمح إلى شىء من الناحية التاريخية : هو أن الجملة الفعلية ذات أصالة فى العربية بحيث نستطيع أن نصير من هذه المقولة إلى أن الجملة الاسمية قد يؤدى بها النظر الأصيل ، والبحث التاريخى إلى أنها ضرب من « الجملة الفعلية » بشىء من لطف الصنعة كما يقول اللغويون العرب .

ثم جاءت مقدمة المحقق الدكتور حسين محمد شرف فانصبّت على دراسة سيرة المصنف دراسة وافية ، ثم أتبعها بدراسة « الكتاب » فنوه بقيمته ومكانته فى الدراسات اللغوية ، ثم تكلم على منهج المصنف فى الكتاب ، كما أشار إلى فوائد أخرى تتصل بمادته من قريب أو بعيد . ثم ختم هذه المقدمة الضافية بالكلام على الأُصول المخطوطة ، وما انتهجته فى العمل

(١) درج مجمع اللغة العربية فى القاهرة على إثبات لقب « دكتور » بلا ألف ولام ، وكأن الكلمة ما زالت أعجمية ، مع العلم أن الاستعمال قد جرى على أنه « معرب » بدلالة أن العرب فى مواطن كثيرة قدا ستعملوا هذا اللقب العلمى ، وقدموه على الاسم ، فإذا كان هذا قد جرى على هذا النحو ، أفليس من العلم أن يكون له ما للألقاب فى العربية ؟ فنقول : الدكتور فلان كما نقول : المهندس فلان ، والوزير فلان ، والسيد فلان . . . . ولا نقول : دكتور فلان ، كما لا نقول : مهندس فلان أو وزير فلان . . . إلخ .

ولعل اجتهاد « المجمع » الموقر فى القاهرة كان بسبب إرادة التفريق بين الدكتور فلان أى الطبيب ودكتور فلان لسائر أصحاب الاختصاص عدا الطب ، أقول : لعل هذا هو السبب .

(تعقيب : ليس للمجمع أى اجتهاد فى حذف أداة التعريف من كلمة « الدكتور » السابقة لعلم من الأعلام ، بل إن هذا الاستعمال يشيع على الرغم من إنكارنا له ومن سوء الحظ أن « الطابع » هو الذى يتحكم فى اختيار الصيغة . وقد أصابنى ذلك غير مرة فى الكتب التى نشرت لى) . الدكتور مهدى علام المشرف على المجلة .

(٢) « كتاب الأفعال » من الكتب التى نشرها مجمع اللغة العربية فى القاهرة سنة ١٩٧٥ – ١٩٨٠ فى أربعة أجزاء .

على الإفادة منها فى تحقيق هذا الكتاب المفيد .

وأشهد أن جهد المحقق كبير ، وأنه بذل من عنايته ما نلحظه فى كل صفحة من الكتاب . لقد اشتملت مقدمة المحقق على فوائد كثيرة تتصل بالمصنف وكتابه ، وإن القارىء ليلحظ أن المحقق قد عكف على الكتاب ، بل قل : قد حَدِب عليه كما تحدب الأُمُّ على وحيدها ، وآية ذلك أن الدارس يحس أن المحقق قد هوى الكتاب ومن حقه أن يكون له ما يحب ويهوى ، ذلك أن « كتاب الأفعال » شىء من ذخائر التراث ، وأن فيه من الفوائد مما يتصل بمادة « الفعل » ما يجعله من المصادر — الأصيلة .

وإذا كان للمحقق أن يعجب بالكتاب بل يهواه ، فليس له أن يذهب فى هذا الميل فيتجاوز الحد ، فيكون صاحب الكتاب « السَّرَقُسْطِى » قد جمع المجد من أطرافه ، فأحاط بالعلوم المختلفة ، فأنت ترى أن المحقق الفاضل قد أضفى على صاحبه من أردية الفضل ما يمكن أن يفسر على أنه ثمرة إعجابٍ أُسرِف فيه .

ولنبدأ بالكتاب فنتأمل ما ذكره السرقسطى فى « فاتحة » كتابه :

وإنى تأملت ما ألفه فى ذلك من عنى بلغات العرب من العلماء المتقدمين؛ كالزجّاج وأبى حاتم وقُطرب ، وغيرهم من أهل العناية بالعلم ، فرأيت تواليفهم فى الأفعال غير موعبة ولا مقتضية لإتقان ما قصدوه بزعمهم حتى تلافاً[1] ذلك وتولاه : محمد بن عمر ابن القوطية — رحمه الله — فألف فى الأفعال كتابا حاز به قصب السبق ، واستولى به على أمد الغاية ، لم يتقدمه إلى مثله فى هذا الفن أحد من العلماء الماضين .

---

(١) وفى غير شك أن الصواب « تلافى » كما وردت فى هذه « الفاتحة » نفسها التى جاءت فى قول المصنف : فتلافيت منه ما اختل منه بإلحاقه . . . فلم أثبت المحقق هذا الفعل المهموز غير الصحيح ؟ الجواب : إنه رآه فى نسخة (ب) المخطوطة كما أشار فى الحاشية (٩) الصفحة ٥٢ وقد أثبتها لأنه رأى مكانها غير واضح فى (؟) . .
اقول : إن معنى « لفأ » وليس « تلافأ » فى المعجمات كافة : أعطاه أقل من حقه أو أكثر من حقه كما أن لها دلالات أخرى عيدة كقولهم : لفأه أى كشطه وقشره .
غير أن المحقق أثبت معنى منه لم نجده فى طولات اللغة وهو : إنها تفيد استدراك شىء فات وذلك ليثبت صوابها .

ولكنه - رحمه الله - قصد فى هذا الكتاب مقصد الغاية فى الاختصار حتى أخل ذلك بتبيين كثير مما جاب من الأفعال.

ونجتلب من ذلك مثالًا مما وقع فى الكتاب نحو قوله :

عقَلَ الرجل عقْلًا : راجعه عقْلُه بعد شيءٍ أذهبه ، والصبيُّ عقلًا : ذكا بعد الصِّبا والبعيرَ : شددته بالعِقال ، والظلُّ : إذا قام قائم الظهيرة ، والشيء عُقْلةً : حبسته ، والرجلَ عُقلةً : شَغْزبيةً فصرعته . . . . .

والكتاب كله مبنيٌّ على هذه الرتبة ، فتعسر من هذه الجهة على الطالب وصَعُب على الدارس إلّا من أفرغ فيه تدبيره ، وأجهد فكرته ، وأتعب استطاعته ، فأعمل الفكرة مع كل لفظ فى الرجوع إلى الأصل الأول ، فصار الكتاب بذلك مخالفا لما بين أيدينا من كتب اللغة ، وما عهدناه من التواليف القديمة .

وأيضا فإنه إنما كان غرضه - رحمه الله - فى هذا الكتاب : فَعَلْتُ وأفعلْتَ خاصة ، وترك ما جاوز ذلك من الأفعال الرباعية الأصلية مثل : دحرج وسلهب وما جاوزها بالزيادة مثل : اقْشَعَرَّ واحرنجم ، ومثل : احمارَّ واشهابّ . فلما رأيت الكتاب قد اختل من هذه الجهة ، مع ما رأيت من فضله ، وأنه قد بذ فيه الأولين والآخرين ، أفردت له عنايتى وجعلت له حظًّا من نظرى بعد تصحيح روايتى إياه على مؤلِّفه - رحمه الله - فتلافيت منه ما اختلّ منه بإلحاقه ، وترداد ذكره ، وبسط تفسيره ، وألحقت فيه الأفعال التى ترك ذكرها من الرباعية . وما جاوزها بالزيادة ، وألحقت فى كل باب منه ما لم يذكره ، إذ الإحاطة ممتنعة على البشر ، ولخصت ما وقع منها فى غير موضعه بنقله إلى الموضع الذى هو أحق به ، ليخف على الدارس ، ويسهل فيه وجدان لفظه على الطالب ، وليكون الكتاب مقتضيا للمعنى الذى قصد به إليه .

ورتبته على مخارج الحروف على ما اجتلب ذكرها سيبويه - رحمه الله . ثم بدأ نص الكتاب بقول المصنف :

« هذا باب علم الأفعال وتلخيص أبنيتها وقياس تصرفها »

وقد ذكر فيه أن الأفعال تنقسم

قسمين : سالم [1] ، ومعتل وأقل أصولها ثلاثة أحرف . . .

ثم أشار إلى الرباعى وما تجاوزه إلى ماكان خمسة أحرف أو ستة بالزيادة على الأصل الثلاثى أو الرباعى . ومثل لكل من هذه الأبنية .

ثم عاد فتوسع فى القول فى كل من هذه الأفعال ، فجاء على صيغ الثلاثى مضعفة وغير مضعفة وكيف ترد متعدية أو لازمة . وفى جملة ذلك ملاحظات وفوائد صرفية عرفها الدارسون فى دروسهم الصرفية فى مادة الأفعال الواسعة .

وقد تجاوز الأفعال فذكر المصادر وما اشتق من الفعل من الأبنية ، كالصفات مثلا .

وبعد هذه الإيضاحات التى وردت فى هذا الباب جاءت مادة الكتاب مبتدئة بـ :

الهمزة .
فَعَلَ وأَفْعَلَ بمعنًى .
ثم : فَعَلَ وأَفْعَلَ باختلاف .

ثم : فَعَلَ وفَعِلَ .

ثم : فَعُلَ وفَعِلَ .

ثم : المعتل بالواو فى لامه .

ثم : المعتل بالواو والياء .

ثم : فَعِلَ بالياء سالمًا وفَعَلَ بالواو معتلا .

أقول : وقد مثّل لقوله : «فَعِلَ بالياء سالمًا» بالفعل : أَلِيَ أَلًى أى عَظُمت أليتاه .

وهذا أمر يدعو الوقوف عليه ، فقد عدَّ المصنف أن الأفعال : أَلِيَ ونَسِيَ وماجاء من نظائرهما من الأفعال الصحيحة (السالمة) خلافا للمعروف المشهور فى كثير من كتب اللغة والنحو .

ثم عاد إلى «الثلاثى المفرد» ليذكر فيه «المضاعف» الذى يدعوه «الثنائى المضاعف» نحو أمَّ . . .

ثم ذكر «الثلاثى الصحيح» على فعل ، نحو أَزَح . . . إلى آخر ماجاء من ذلك . . .

(١) أراد بـ «السالم» الصحيح ، إذ المعروف فى كتب النحو أن الأفعال صحيحة ومعتلة .

ثم ذكر منه ماجاء على فَعَل وفَعِل (باختلاف معنىً) ولم يشر إلى أنه بهذه الصفة نحو :

أَمَر الله أمرا : فَرضَ . . . وأَمِرَت المرأةُ : كثر نسلها .

ثم ذكر ماجاء على فَعَل وفُعِلَ .

ثم ذكر ماجاء على فَعِل وفُعِل .

ثم ذكر ماجاء على فَعَل وفَعِل وفَعُل .

ثم ذكر ماجاء مهموزاً نحو أزأ

ثم ذكر ماجاء معتلاً بالواو فى عينه نحو آقَ أوْقا .

ثم ذكر ماجاء معتلا بالياء فى عيْنه نحو آضَ أيْضا .

ثم ذكر ماجاء معتلا بالواو والياء فى عينه نحو آدَ أوداً ، وآد أَيداً ، ولكلٍّ معناه .

ثم ذكر ماجاء معتلا بالياء فى لامه ، نحو أَوَى يأْوى أَيَّةً . . . بمعنى رقَّ .

ثم ذكر ماجاء بالياء سالماً نحو : أَذِىَ يأْذىَ أَذًى . . .

قلت إن المصنِّف عد هذا الضرب من الأفعال «سالماً» ، أى صحيحا ، وهذا أمر غريب حقا .

ثم ذكر ماجاء بالياء سالماً على «فَعِل» ومعتلا بالياء على «فَعَل» نحو أَرِىَ صدرُه أَرًى أى توقد غيظاً ، وهذا سالم ، وأَرَى صدرُه يأْرِىَ بمعنى توقَّد غيظاً ، وهو معتل .

ثم ذكر ماجاء على «فَعِل» بالياء سالماً ، وماجاء على «فَعَل» بالواو والياء معتلا نحو أَسِىَ أَسًى فى الأَول ، وأَسوْتُ الجرح وأَسيْتُه أَسْواً وأَسْياً .

ثم ذكر ماجاء من الرباعى المفرد وما جاوزه الزيادة نحو آزَرَ ، وماجاء منه معتلا بالياء فى لامه نحو آشَى ، وآشَيْت الشىءَ استخرجته بالرفق

ثم ذكر ماجاء على «فَعَّل» مما لم يستعمل ثلاثيه فى معناه نحو : أَبَّنْتُ الرجلَ تأْبيناً .

وماجاء على «تَفَعَّل» و «استفعل» و «افتعل» .

وهكذا تنتهى «الهمزة» فيأْتى بعدها حرف الهاء فيتبع فيه ما اتبعه فى «الهمزة» .

على أننا نجد من استقرائنا للكتاب أن السرقسطى لم يلتزم بهذا الترتيب في كل الحروف، بل أنه قد يقدم شيئاً ويؤخر شيئاً آخر خلاف ماورد في ترتيبه. وقد نجد جميع الأبنية التى أثبتها فى بعض الحروف، فى حين أن بعضها الآخر لم يستوف هذه الأبنية جميعها، وذلك إما لأنه لم يجد شيئاً من المواد على تلك الأبنية، وإما لأنه لم يستوف استقراءه استيفاءً تاماً.

ومن هنا يتبين لنا أن كتاب السرقسطى قد اتخذ كتاب الأفعال لابن القوطية أصلا ثم استدرك عليه ما أهمله من المواد، ورتب في المواد على منهج مخصوص، وردّ بعض المواد إلى موضعها الصحيح الذى أخطأ فيه ابن القوطية.

أقول: إذا كان هذا هو منهج الكتاب وطبيعته ومادته فكيف لنا أن ندرك ما أسرف فيه المحقق فذكر في الصفحة (٢٠) من مقدمته:

«وإن هذه العقلية المستوعبة لآثار الفكر المتشعبة من معرفة بالأحكام، وإتقان للتراث الأدبي واللغوي، ومعرفة غير يسيرة بأخبار الرجال وطبقات العلماء والرواة، والمادة العلمية المتنوعة التى يفيض بها أثره الموجود الذى وصل إليها، كلها شواهد تدل على أن ثقافة هذا الرجل لم تكن محدودة بحدود اللغة وتصريفها، وربما كان للرجل آثار أخرى فى هذا الموضوع وفي غيره من الحقول الثقافية التى رأينا شواهد منها، ولعل الأيام تصدق ذلك، وتظهر آثار أخرى من آثاره فتنصف عالما جديراً بالإنصاف، وتزوّد المكتبة العربية بأثر آخر من آثار عالم عظيم».

انتهى كلام الأستاذ المحقق.

أقول: كأن المحقق الفاضل يشعر أن السرقسطى لم يخلف إلا هذا الكتاب، وأن هذا قد يكون مما ينال من منزلة المصنف، فراح يلتمس الأسباب التى أخملت ذكره بحيث لم تذكر المصادر الكثير عنه، فذهب إلى أنه شغل بالجهاد في سبيل الله ففاز بالشهادة.

لقد حسب المحقق أن «كتاباً واحداً» قد يغض من قدر صاحبه، فراح أيضًا يغرق في فضائل «كتاب الأفعال»

وأن صاحبه قد أوعب فيه من فوائد العلم القدر الكبير الذى دل على أنه قد ملك من العلوم الدرجات القصوى .

أقول : من الضيم الذى يحمله نفر من الدارسين العرب على مايدرسون ومن يدرسون ، أنهم يؤخذون بحماسة عارمة فى الدرس على مبلغ جهدهم وإخلاصهم واتباعهم أزكى السبل فى البحث العلمى. إن هذه «الحماسة» لتبدو فى أن المادة التى يدرسونها هى عظيمة بالغة القيمة وأنها ذات أثر كيت وكيت ، وإذا كان موضوع الدرس علماً من الأعلام ،فهو أعلم من يكون فى فنه ، وهو كذا وكذا ..

إن هذا أدى بالمحقق الفاضل أن يقول فى «مقدمته» ما أشرنا إليه ، وقد فاته أن ما استدركه السرقسطى على شيخه ابن القوطية من مواد الفعل شيء على طرف الثمام ، وأن فى مطولات المعجمات التى كانت معروفة فى عصره ما يملأ الأسفار الضخام .

ثم لاأدرى لِم كان الكتاب الواحد يخلفه مصنف من المصنفين أمراً يغض من قدر صاحبه ؟ ألم نعرف أن جمهرة من أهل الفضل قد عرفوا بكتاب واحد ، ولنا أسوة بسيبويه رأس النحاة وقد عرف بـ «الكتاب» الذى لقّب بـ «الإمام» ثم إننا لانذكر من ابن السراج إلاكتاب «الأصول» على أن له كتباً أخرى .

إذا كان «كتاب الأفعال» قد حفز المحقق الفاضل إلى أن يضفى على صاحبه ما أضفاه من النعوت الفاخرة ، فكيف نقول فى أبى عبيدة والمدائنى والأصمعى وغيرهم ، وماذا نقول فى أبى الفرج ابن الجوزى ، ثم كيف نقول فى صاحب «الأغانى». وقد يكون لنا مفيداً أن نذكر ابن منظور وهو يقول فى «فاتحة اللسان» بعد الكلام على مصادره التى أشار إليها[1] :

وليس فى هذا الكتاب فضيلة أمُتّ بها ، ولاوسيلة أتمسك بسببها ، سوى أنى جمعت فيه ماتفرق فى تلك الكتب من العلوم ، وبسطت القول فيه ولم أشبع باليسير ، وطالب العلم منهوم . فمن وقف فيه على صواب أو زلل ،

---

(١) أصول «اللسان» هى : التهذيب للأزهرى ، والمحكم لابن سيده ، و الصحاح للجوهرى ، وحواشى ابن برى النهاية لابن الأثير .

أو صحة أو خلل ، فعهدته على المصنف الأوّل ، وحمده وذمه لأصله الذى عليه المعوّل ؛ لأنّنى نقلت من كل أصل مضمونه ، ولم أبدّل منه شيئاً ، فيقال : فإنما إثمه على الذين يبدلونه[1] ، بل أدّيت الأمانة فى نقل الأُصول بالنص ، وما تصرَّفْتُ فيه بكلام غير ما فيها من النصّ ، فليعتدّ من ينقل عن كتابى هذا أنه ينقل عن هذه الأُصول الخمسة ، وليَغْنَ عن هذه الأُصول الخمسة ، وليَغْن عن الاهتداء بنجومها ، فقد غابت لمّا أطلعت شَمْسَه .

ولم يبق لنا إلا أن نقف وقفات قصيرة على مقدمة المحقق وعلى مادة الكتاب ، لأثبت مسائل ربما زاغ عنها النظر الدقيق ، فبدت مفتقرة إلى أن يقال فيها مايفيد :

١ ـ جاء فى الصفحة الحادية عشرة من مقدمة الأستاذ المحقق :

وليس نسب «المعافرىّ» فى اسم أبى عثمان دليلاً على أن أبا عثمان ينتمى إلى أصل عربى ، لأنه يجوز أن يكون أحد الموالى الذين ينتسبون إلى قبيلة «معافر» بالولاء .

أقول : هذا الذى ذكره الأستاذ المحقق صحيح ، ولكنى أرى أن العبارة لو عدل بها إلى أسلوب آخر لأدّت المراد ، فلو قال مثلاً : ولانعرف من نسب السرقسطى : أمعافِرى هو أصالةً أم ولاءً . . .

ذلك أن الجزء الأول من عبارة المحقق غير صحيح وهو قوله : وليس نسب «المعافرى» فى اسم أبى عثمان دليلاً على أنه ينتمى إلى أصل عربى ، وذلك لأن السبب الذى أثبته بعد هذه العبارة قد يكون ـ على قول المحقق ـ فى كل عَلَم منسوب إلى قبيلة ، وهذا غير صحيح لأنى لو قلت : محمد بن زيد العدوى ، فإنى أفهم منه أنه من «عدى» فلو انتسب إليه ولاءً لنص على ذلك .

وهذا ليس شيئاً كبيراً .

٢ ـ وجاء فى الصفحة السادسة عشرة من مقدمة المحقق :

مذهبه النحوى . . . فى الكلام على أبى عثمان السرقسطى .

---

(١) من الآية الكريمة ١٨١ فى سورة البقرة وتمامهما : «فمن بدله من بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه» .

أقول : إن «كتاب الأفعال» معجم لغوى خاص بالأفعال ، فهو كتاب لغة ، وليس فيه من النحو شئ . فلو كان ما أثبته المحقق : مذهبه اللغوى لكان أقرب إلى الحقيقة .

قلت : ليس فى الكتاب شئ من النحو بل هو معجم كسائر المعجمات الخاصة ، وليس فيه شئ يتصل بالبصريين أو الكوفيين مثلاً ، وإذا كان من ذكر لنحوىٍّ متقدم فذلك شئ خاص بمسألة لغوية .

٣ ـ وجاء فى الصفحة السابعة عشرة من مقدمته :

شخصية أبى عثمان العلمية .

أقول : واستعمال كلمة «شخصية» فى إطارها الحديث غير مناسب فى الكلام على لغوىٍّ عاش فى القرن الرابع الهجرى . إنها مولّد حديث أقرب إلى مصطلحات علم النفس . فأمّا استعمالها فى غير ماولدت له ، فاستعمال عام يقرب من الاستعمال العامى .

٤ ـ وجاء فى الصفحة الثامنة عشرة من مقدمة المحقق :

وإذا رجعنا إلى المصادر التاريخية للتعرُّف على الظروف التى مرت بها قرطبة . . .

أقول : إن الفعل «تعرَّف» يتعدى بنفسه . فلا حاجة إلى تعديته بـ «على» على نحو مادرج عليه المعاصرون . وعلى هذا فأحسن أن يقال : وإذا رجعنا إلى المصادر التاريخية لتعرُّف الظروف . . . أى لمعرفة الظروف سواءً بسواءٍ .

٥ ـ وجاء فى الصفحة الرابعة والعشرين من مقدمته أيضا ، فى الكلام على دوافع تأليف الكتاب :

ودافعا علميا : يتمثل فى إيمان المؤلف بقيمة العلم بعامة . وإدراكه شرف البحث فى لغة العرب وآدابها . . . بخاصة .

أقول : إن استعمال المحقق فى قوله : «بعامة» وقوله : «بخاصة» قد جرى فيه على الشائع فى عصرنا مما لم يؤْثَر فى أساليب المتقدمين .

كان على المحقق أن يفيد من استعمالات السرقسطى نفسه فيجد فى الصفحة التاسعة والخمسين قوله : . . .

فإنهم (أى أهل البصرة) إنما ذكروا

ماذكرناه من أمر المضاعف فى باب الخصال. خاصة (كذا) .

وقد استعملت «خاصة» غير مرة فى كلام السرقسطى ، وعليها يجرى استعمال «عامة» .

٦ – وجاء فى الصفحة الحادية والسبعين من أصل الكتاب وهو كلام المصنف :

قال أبو عثمان : وقال الأصمعى : بعير أَرْطَوِىّ وأرطاوى : يأكل الأَرْطى .

أقول : وقول الأصمعى بعير أرطَوىّ وأرطاوى يصح أن يعتمد فى النسب الجارى فى عصرنا المحمول على الخطأ الشائع كقولهم : فلان طنطاوى مثلا ، وما يستعمله المعاصرون فى هذا الباب فى قولهم أيضا : الشعر المأْساوى ، وغير هذا كثير .

٧ – وجاء فى الصفحة الثانية والسبعين من قول المصنف :

وأَهِلَ الرجلُ : تزوَّجَ .

أقول : ومثله تأَهَّل كما فى كتب اللغة ، وما زال الفعل المزيد معروفاً بهذه الدلالة فى العامية فى العراق .

٨ – وجاء فى الصفحة الثالثة والسبعين قول المصنف :

وفى الدعاء : أَرِبْتَ من يَدَيْك : أى سقَطَتْ أرابُك منهما (كذا) .

أقول : أثبت المحقق «أرابُك» (كذا) والصواب : آرابك فهو جمع إِرْب بمعنى العضو ، على وزن أفعال .

٩ – وجاء فى الصفحة السابعة والسبعين قول المصنف :

وأَنَى الشيءُ : بلَغ وقتُه وغايتُه :

أقول : ضبط المحقق كلمتى «وقت» و «غاية» بالضم على أنهما مرفوعان على الفاعلية فى الأول والثانى على العطف ، وذلك مارآه فى النسخة المخطوطة (ب) ، وأما فى النسخة (ا) فقد وردتا منصوبتين.

أقول : كان المحقق على صواب فى هذا فالفعل قاصر ، وكان على المصنف أن يستشهد بقوله تعالى : «أَلم يأْنِ للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله» الآية ١٦ من سورة الحديد .

وقوله تعالى : «إلا أن يؤْذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه» الآية ٥٣ من سورة الأحزاب .

والمعنى فى الآية الأولى : أى ألم يحِن ، وفى الآية الثانية :غير منتظرين نُضْجَه وإدراكه وبلوغه .

١٠ - وجاء فى الصفحة التاسعة والسبعين قول الشاعر :

خِذامية آدَتْ لها عجوهُ القُرى
وتخلِط بالمأْقوط حَيْسًا مُجَعّدا

أقول : وقول الشاعر القديم «بالمأقوط» من « الأَقِط » وهو شئ يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يمصُل والقطعة منه أَقِطة ، والطعام المأْقوط : ماعُمِل بالأَقِط .

وصوغ اسم المفعول من الاسم «أَقِط» يظهر قدرة العربية وطواعيتها على الإفادة من الأَسماء الجامدة اشتقاقا .

١١ - وجاء فى الصفحة نفسها قول الراجز :

قد جدَّ أشياعُكم فجِدّوا
عِلّتى وأنا مُؤْد جَلْدُ
والقوس فيها وَترٌ عُرُدٌّ

أقول : والمشطور الثانى (وليس الشطر كما فى حاشية المحقق) غير موزون ، ولعله على النحو الآتى :

ماعِلَّتى أَنِّىَ مُؤدٍ جَلدُ

ثم ينبغى أن يُضبط ميم «أشياعكم» من المشطور الأَول بالضم لتمام الوزن .

١٢ - وجاء فى الصفحة الواحدة والثمانين قول المصنف :

وأَلِىَ أَلَىً : عظُمَتْ أَليتاه ، ورجل آلَى مثل أَعْمى وامرأَة عجزاء هذا كلام العرب .

أقول : وفى الكلام سقط هو : وامرأَة (أَلْياء مثل) عجزاء . . . .

١٣ - وجاء فى الصفحة نفسها قوله :

وأجاز أبو عبيد : أَلياء ، وكبش أَلْيان وشاة أَلْيانة وأَليا أيضا .

أقول : والصواب : وأجاز أبو عبيد : أَليان ، وكبش أَلْيان وشاة أَليانة . . . إلى آخره .

وذلك لأن فى قول أبى عبيد جواز «فَعلان» من هذه المادة لتقابل آلَىَ؛ أى من : عَظُمت أَليتاه ،كما مر قبل عدة أسطر ، وآلى بوزن «أفعل» مثل «أعمَى» «وأعرج» وليس من ضرورة لـ «أَلياء» كما أثبت المحقق .

١٤ ـ وجاء فى الصفحة الثالثة والثمانين قول الربيع بن ضبع الفزارىّ :

وإنّ كنائنى لنساء صدْق
وما ألىَّ بنىّ ولا أساءوا

وهو فَعَلْتُ (كذا) من ألوْتُ .

أقول : والصواب : وهو فَعّلْتُ (بالتشديد) فى ألوْتُ .

١٥ ـ وجاء فى الصفحة نفسها قول المصنف :

ولقد أَمِمْتِ أُمومةً أى صِرتِ أُمّا .

أقول : والصواب : أَمَمْت (بفتح الميم) لاكسرها لأنها « فَعَل » بفتح العين وليست «فَعِل» بكسر العين . انظر اللسان .

١٦ ـ وجاء فى الصفحة الثالثة والثمانين قول المصنف :

وأَبّ الشئُ : حانَ عن أبى عبيدة (كذا) .

أقول : وجاء فى اللسان : وأَبيْتُ أَؤُبُّ أَبّا : عزمتُ على المسير وتهيَّأتُ ، وهو فى أبابه وأَبابته وإبابته ؛ أى فى جَهازه : قاله أبو عبيد .

١٧ ـ وجـاء فى الصفحة الخامسة والثمانين قول المصنف :

قال أبو عثمان : وقال الخليل : أَرّها بالإرار وهو غصن من شوك تُليَّن أطرافه وتبلُّه وتذُرّ عليه ملحا فتدمى حيا الناقة إذا انقطع ولادُها .

أقول : والصواب : حَياء (ممدود) .

١٨ ـ وجاء فى الصفحة نفسها قول المصنف :

قال سعيد : ورجلٌ مِئرٌ . . . .

ثم تكرر قوله : «قال سعيد» فى الصفحة نفسها :

أقول : لم يكترث الأستاذ المحقق فيشير إلى المراد بـ «سعيد» هذا ، ولعله سعيد بن سلمة بن كيسان التوزى ، الذى كان يحضر مجلسه أبو عمرو الشيبانى والأصمعى . (انظر : نزهة الألبا ص ٦٢) .

١٩- وجاء فى الصفحة الحادية والتسعين قول المصنف :

وأنشد للمغيرة بن حَبناء التميمىّ . . .

أقول : ولم يُعرِّف المحقق بـ «المغيرة» هذا ، وفى القارئ حاجة إلى هذا التعريف وليس به حاجة إلى أن يُعرَّف له المشاهير مثل الخليل وسيبويه ويونس وأبى زيد وأضرابهم من أهل اللغة والنحو .

والمغيرة بن حبناء هذا ممن ترجم لهم ابن قتيبة فى «الشعر والشعراء» (ط بيروت ص ٣١٩) وله ترجمة فى الأغانى ١١ / ١٥٦ (ط التقدم) .

٢٠ - وجاء فى الصفحة الثالثةوالتسعين قول المصنف :

وأَمَل الشيء يأمُلُه أَمْلاً : رجاه ، وأكثر مانطق فيه فبالمستقبل .

أقول : وهذا من الأفعال القليلة التى اشتهر فيها المستقبل ونسى ماضيها مثل : يَدَع ويذر وغيرهما .

٢١ - وجاء فى الصفحة الخامسةوالتسعين قول المصنف :

وأَفَخْتُهُ أَفْخًا : ضَربتُ يافوخَه .

أقول : والصواب همز « يأفوخه » لأن الهمز مطلوب والكلام على المهموز .

٢٢ - وجاء فى الصفحة السادسةوالتسعين قول المصنف :

وأَفَقَ أيضا فَضَّل (كذا) . وفَرَسٌ أُفُقٌ : فاضل .

أقول : والصواب : فَضُل .

٢٣ - وجاءفى الصفحة التاسعة والتسعين قول المصنف :

وقال أبو دؤاد :

أقول : والصواب أبو دواد ، بالواو لا الهمز ، انظر الاشتقاق لابن دريد ص ١٦٨

٢٤ - وجاء فى الصفْحة الواحدة بعد المئة قول المصنف :

ويقال : أَخَذَ أَخْذَه ؛ أى اقتدى به . . .

أقول : وقد جاء فى المعجمات : إِخْذَه ، بكسر الهمزة .

٢٥ - وجاء فى الصفحة نفسها قول المصنف :

وأخذ (كذا) البعير أَخْذًا : كالجنون يعتريه .

أقول : والصواب : أَخَذًا .

٢٦ ـ وجاء فى الصفحة الثانية بعد المئة قول المصنف :

يقال : كَسِفَ الرجل كسوفًا إذا عَبَس وكَسَف باله إذا تَغَيَّرَ حاله .

أَقول: لم أَجد فى المعجمات « كَسِفَ » على « فَعِلَ » مثل « فَرِحَ » والذى وجدته هو الوصف « كاسف » بمعنى عابس .

وأرى أن الصواب : « كَسَف » على « فَعَل » بدلالة الوصف « كاسف » الذى ورد فى المعجمات ، ذلك أن « كاسف » لا يأْتى من « فَعِل » مكسور العين إلّا نادرًا ، وأكثر ما يأْتى منه « فَعِل » نحو « حَذِر » وأقل منه « فَعيل » نحو « حزين » .

ثم إن مصدر الفعل الثلاثى المكسور العين لا يأْتى على « فُعول » كما ورد « كسوف » ، ومن أَجل هذا لابد أن يكون الوجه « كَسَفَ » بفتح السين .

٢٧ ـ وجاء فى الصفحة الثالثة بعد المئة قول المصنف :

وأنشد أبو عثمان :

* تأْنِيفُهُنَّ نقَلٌ وَأَفْرُ *

وقد علق المحقق فى حاشيته على الرجز فقال :

وأظنه لحميد الأَرقط ، لأَنى لم أَجده فى ديوان حميد بن ثور الهلالى .

أَقول : إن « ظن » المحقق فى موضعه ، ولكن السبب الذى دفعه إلى هذا الظن غير سديد ، وهو أنه لم يجد الرجز فى ديوان حميد بن ثور ، وكان عليه أن يقول : لأن حميد الأرقط قد اشتهر بالرجز ولم يشتهر الهلالى بهذا الضرب من الأدب .

٢٨ ـ وجـاء فى الصفحة نفسها قول المصنف :

وأَشَرْنَ النساءُ أَسنانَهُنَّ بمعنى رقَّقْنَ أَطرافَها . . .

أقول : ولعل الأصل : وأَشَرتِ النساءُ . . . بالتاء ، وإن كان الإسناد إلى نون الإناث قد ورد لغةً وشذوذًا .

٢٩ ـ وجـاء فى الصفحة نفسها قول المصنف :

وفى الحديث : « لُعِنَت الأَشِرة والمأشورة » .

أقول : والصواب : « لُعِنَت الآشِرة . . . بالمد فهى اسم فاعل لانعت » .

٣٠ –وجاء فى الصفحة الرابعة بعد المئة قول المصنف :

قال أبو عثمان : وهى الأتوم والأتومة قال المرار :

هى التى فى بنى عبس وإخوتها
بنو الأتومة منظور بن سَيار

أقول : الذى ورد فى المعجمات هو : « الأتوم » على « فَعول » من نعوت النساء وهى المرأة المُفضاة ، ولم ترد « الأتومة » بالتاء ، فإن وردت فى قول المرّار فذلك شئ اضطر الشاعر إليه ، والسبب فى ذلك بيّن ،وذلك أن أغلب الصفات الخاصة بالمؤنث تعرى من تاء التأنيث نحو : طالق وناشز وحائض للنساء ، وسابق ولاحق وعامل من صفات الخيل والدواب .

ثم كان على المحقّق أن يعيّن « المرّار » صاحب البيت وذلك أن « المرّار » عَلَمٌ لأربعة من الشعراء هم :

المرّار بن سعيد الفقعسىّ .

والمرّار بن منقذ الحنظلىّ .

والمرّار بن سلامة العجلىّ .

والمرار بن بشير الذُّهلى .

٣١ –وجاء فى الصفحة التاسعة بعد المئة قول المصنف :

ورجلٌ إلْقٌ : كذوب سيِّء الخُلُق ،وامرأة ألْقة

أقول : والصواب : إلْقة ، بكسر الهمزة .

٣٢ –وجاء فى الصفحة الثالثة عشره بعد المئة قول المصنف :

قال أبو عثمان : أدِرَ أدراً : عَرَضت له الأُدْرة ، فهو آدِر (كذا) ومأْدور وأنشد :

* أدْرُ مغموزٍ ولا مُوَضَّمِ *

أقول : والصواب : فهو « آدَر » – بفتح الدال على « أفعل » مثل « أعرج » وذلك لأن الأفعال الدالة على العيوب نحو : عَرِج وعَوِرَ وغيرهما وكذلك الدالة على الحسن نحو كَحِل وَحَوِر وغيرهما لا يأتى الوصف منها على « فاعل » كما أثبت المحقق ، بل يكون على « أفعَل » – كما بينا .

ثم إن صواب ما فى الرجز هو : « آدَر » وليس « أدْر » .

ولا أدرى لِمَ ضُبط بالضم فى حين جاءت الصفتان بعده مجرورتَين ! ويؤيد مجىء « آدَر » على « أفعَل » قول طرفة :

فما ذنبُنا فى أن أداءت خُصاكُمُ
وإن كنتمُ فى قومِكمْ معشراً أُدْرا

و « أُدْر » جمع « آدَر » .

٣٣ـ وجاء فى الصفحة الرابعة عشرة بعد المائة قول المصنف :

وأذِىَ البعير أذًى : لم يستقر خلْقُهُ ، فهو آذٍ (كذا) .

أقول : والصواب : فهو « أذٍ » مثل « صدٍ » على « فعِل » نعتا لا « فاعل » .

٣٤ـ وجاء فى الصفحة نفسها قول المصنف :

قال أبو عثمان : وأُكِمَتِ الأرضُ : أُكِلَ جميعُ ما عليها .

أقول : والصواب : أَكِمَت مثل « فرحت » .

٣٥ـ وجاء فى الصفحة الخامسة عشرة بعد المائة قول المصنف :

وآقَتِ الأَرض تأُوق (كذا) أَوقًا .

أقول : والصواب : « تَووقُ » مثل « تؤول » ومنهم من يرسمها « تئوق » .

٣٦ـ وجاء فى الصفحة الرابعة عشرة بعد المئة قول المصنف :

آقَ علينا وهو خيرُ آيقِ .

أقول : كان ينبغى أن يكون « آئق » بالهمز مثل « قائل » ولعل بسبب المد السابق يصار إلى إبقاء الياء .

٣٧ـ وجاء فى الصفحة السادسة عشرة بعد المئة قول الشاعر :

وقد آل من أجرامها وتَقَلْقَلَتْ
قلائدُ من أعناقها لم تُقَضَّب

أقول : والأحسن أن يكون الفعل : « لم تَقَضَّب » بالبناء على الفاعل لا المفعول ، والأصل : « لم تَتَقضَّبِ » .

٣٨ـ وجاء فى الصفحة نفسها البيت :

وصُبُوحِ صافيةٍ وجَذْبِ كَرِينةٍ
بمُؤَتَّر تأتالُهـا إبْهـامُها

أقول : والصواب : وصَبوح صافية (بفتح الصاد من صَبوح) .

٣٩ – وجاء فى الصفحة الثامنة عشرة بعد المئة قول المصنف :

وآدَ اللبن أدًى : قَوِىَ ليروب .

وقد علّق المحقق على « أدًى » فى حاشيته فقال : جاءت « أدًى » مكررة ولا حاجة لتكرارها .

أقول : ما أغنى القارئَ عن هذا التعليق غير المفيد ، وكان عليه أن يصلح ما جاء فى الأصل المخطوط ، وذلك لأن الصواب :

أدا اللبَن يأدو أُدُوًّا وأُدِيًّا بمعنى خَثُر ليرُوب . وعن كُراع : أنها يائية وواوِيَّة .

٤٠ – وجاء فى الصفحة نفسها قول المصنف :

وآدَ الرجل أَيْدًا وآدًا : قَوِى واشتدَّ .

أقول : كان على المحقق أن يصلح ما فى الأصل المخطوط ، فالصواب هو : آدَى الرجلُ : أى قَوِىَ فهو مُؤْدٍ ، بالهمز ، أى شاكّ السلاح .

٤١ – وجاء فى الصفحة التاسعة عشرة بعد المئة قول المصنف :

وآسَ يَيْأَس أَيْسًا : لانَ وذَلّ ، وآيَسْتُهُ أنا : ذَلَّلْتُهُ وليَّنته .

أقول : والصواب : آس يئيسُ أَيْسًا . . . وأَيَّسْتُه أنا : ذلَّلْتُه وليَّنته .

٤٢ – وجاء فى الصفحة نفسها قول المصنف :

أَوِىَ : أَوَيْتُ لَك أَيَّةً ، وماوِيَةً : رقَقْتُ .

أَقول : والصواب: مأْوية (بالهمز) .

٤٣ – وجاء فى الصفحة العشرين بعد المئة قول المصنف :

وقال أبو زيد : أَثَيْتُ بالرجل إثاوةً : وهو أَن تخبر بعيوبه . قال الشاعر :

وإنَّ امرءًا يأْثُو بسادة قومه . . .

أقول : والصواب : وقال أبو زيد : أَثَوتُ بالرجل إثاوَةً ، وذلك يؤيده ما فى البيت الشاهد .

٤٤ – وجاء فى الصفحة نفسها قول المصنف :

ورجل أَسْيان وأَسْوان وآسٍ وامرأةٌ آسْيا (كذا) وآسِية .

أقول : والصواب : . . . وأَسٍ وامرأة أَسْيا وأَسِيةٌ .

٤٥ ـ وجاء فى الصفحة الثانية والعشرين

بعد المئة قول المصنف :

وتقول : ما كنتِ أَمةً ولقد أَمْوْتِ ، وأَميْتِ أُمُوَّةً .

أقول : والصواب : . . . ولقد أَموَتْ وأَمِيَتْ أُمُوَّةً .

٤٦ ـ وجاء فى الصفحة نفسها قول المصنف :

وأَبيْتُ الشىءَ إبايةً وإباءً : كَرِهْتُه .

أقول : والصواب : إباءَةً .

٤٧ ـ وجاء فى الصفحة السادسة والعشرين بعد المئة قول المصنف :

يقال : استاورت (كذا) الإبل والغَنَم إذا فَزِعتْ ونَفَرتْ .

أقول : والصواب : استَأْوَرتْ (بالهمز)

٤٨ ـ وجاء فى الصفحة الثانية والثلاثين بعد المئة قول المصنف :

وأَهلَّ الرجَل بذكر الله : رَفَعَ صوته عند نعمة أوروية (كذا) ما يُعجبه .

أقول : والصواب : أو رُؤية ما يُعجبه .

٤٩ ـ وجاء فى الصفحة الرابعة والأربعين بعد المئة الرجز :

* كريم هُزَّ فاهْتَزَّ *

* كذاك السِّيِّدُ النَزُّ *

* لَئيم هُزَّ فارتَزَّ *

* كذاك الضِّيِّقُ الكَزُّ *

أقول : والصواب أن الزاى ساكنة فى المشطورات الأربعة لأن فيها ما هو فعل ماض وحركته الفتح ، وما هو اسم وحركته الضم .

٥٠ ـ وجاء فى الصفحة السادسة والخمسين بعد المئة قول المصنف :

قال ابن قتيبة : قالوا : هَطْلًا (كذا) ولم يقولوا فى الذَّكَر : أهطل ، إنما هو « هَطِل » .

أقول : والصواب : قالوا : « هَطلاء » على « فَعْلاء » صفة . . . ويؤيد هذا ما ورد فى « كتاب الأفعال » :

دِيمةٌ هطْلَاءُ فيها وطَفٌ . . .

٥١ ـ وجاء فى الصفحة الثانية والسبعين بعد المئة قول المصنف :

وهلِع أيْضًا : حَزِنَ . . . وأنشد للكميت :

كم من أخ لى ماجِد
بوَّأتُهُ بيدَىَّ لَحْدا

ما إن جَزِعْتُ ولا هَلِعْ
تُ وَلا يردُّ بُكَاى زنْدَا

وقد علق المحقق فى حاشيته فقال :

لم أقف على الشاهد فى « هاشميات » الكميت وشعره ـ ط . بغداد (كذا) .

أقول : كان على المحقق أنْ يصحح ما وهم فيه المصنف السرقسطىّ ، فالأبيات من قصيدة لعمرو بن معديكرب الزبيدىّ وهى فى خمسة عشر بيتًا ، وردت فى شرح المرزوقى على « الحماسة » ص ٣٤ . والبيتان موطن الشاهد هما الثانى عشر والثالث عشر . والقصيدة أيضًا فى ديوان عمرو (طبع وزارة الإعلام فى بغداد) .

٥٢ ـ وجاء فى الصفحة السابعة والسبعين بعد المئة قول المصنف :

قال حبيب بن خَلِد (كذا) يصف الدروع :

. . . .

أقول : وقد علق المحقق على « حبيب ابن خلد » هذا فقال :

لم أعثر لهذا الشاعر على ترجمة فى الشعر والشعراء لابن قتيبة ، وطبقات ابن سلام ، ومعجم الشعراء للمرزبانى .

وهذا التعليق طريف ، والطرافة أن يرد من محقق فاضل مثل هذا . أقول : ومتى كانت هذه « المظان » الثلاث وحدها عُدّة المحقق ليرجع إليها فيجد ضالَّته بحيث تعفيه من الرجوع إلى غيرها ؟ ! هذا أمر عجيب .

ثم من يكون حبيب بن خَلِد هذا ؟ ألم يسأل المحقق نفسه : أيكون فى أعلام العرب فى جاهليتهم وإسلامهم « خَلِد » بفتح الخاء وكسر اللّام ؟

أقول : لو أن المحقق كان ممن شقوا بالنظر فى المخطوطات العتيقة لأدرك أن النساخ القدماء أصحاب رسم خاص فى الكتابة فقد يكتبون « الحرث » وهو : « الحارث » وقد يكتبون « أبو القسم » ويريدون « أبو القاسم » ومثله هذا « خلد » والمراد « خالد » .

٥٣ ـ وجاء فى الصفحة الخامسة والثمانين بعد المئة قول المصنف فى الكلام على ـ « الهُيام » :

وقال يعقوب : هو داءٌ يأخذ عن بعض المياه (كذا) .

أقول : والعبارة غامضة لما عرض لها من سقط والوجه فيها :

هو داءٌ [يُصيب الإبل وهي] تأخذ عن بعض المياه .

وانظر « اللسان » (هيم) .

٥٤ ـ وجاء في الصفحة السادسة والثمانين قول المصنف في الكلام على الفعل الواوي « هرا » : هرأه بالهراوة هرْوا : ضربه بها .

أقول : إذا كان مطلب المصنف الفعل المعتل ولامه الواو ، فكيف يثبت المحقق « هرأ » وهو مهموز ؟ !

٥٥ ـ وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف :

قال نهشل بن « حَرِيّ » (كذا) .

أقول : والصواب : حَرّيّ ، بتشديد الراء والياء ، وهو شاعر جاهلي .

(انظر : الشعر والشعراء ط بيروت ص ٥٣٢)

٥٦ ـ وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف :

هذاه السيف هذْوا : أوحى من الهذ .

أقول : والصواب ، هَذَأه هَذْءًا ، فهو فعل مهموز .

وقد علق المحقق على كلمة « أوحى » فقال : ولعل الكلمة : فأوجى بالجيم المعجمة بمعنى أخطأ .

أقول : ولم يتضح المعنى للمحقق ذلك أن معنى الكلام هو : أن الهذء (مهموزا) بمعنى الضرب أسرع من الهدّ مضّعفا . وعلى هذا تكون أوحى هي المرادة .

٥٧ ـ وجاء في الصفحة الثانية والتسعين بعد المئة قول المصنف :

يقال : هممت المرأة في رأس الرجل : إذا فلّته ، والتهميم : الدبيب .

أقول : والصواب : الهميم .

انظر : معجمات العربية .

٥٨ ـ وجاء في الصفحة الرابعة والعشرين بعد المئتين قول المصنف :

وأنشد أبو عثمان :

فبات السَّيْلُ يركب جانبيْه
من البقّار كالعَمِدِ الثِّقال

أقول : والبيت للشاعر لبيد كما فى « اللسان » و « الديوان » (ط الكويت)

وهو : كالعَمِد الثَّقال ، بفتح الثاء وهو صفة نحو جبان وليس بكسر الثاء كما أثبت المحقق .

٥٩ ــ وجاء فى الصفحة الرابعة عشرة بعد الثلاثمئة قول المصنف :

وعَسِيَ الشيخ عَساءً ، وَعسا عُسُوًّا ، وعُسِيًّا : كَبر واشتدَّ .

أقول : والوجه أن يُقال : وعَسِي الشيخ عَسًا ، وعَسا عُسُوًّا وعُسِيًّا وَعساءً .

انظر : « اللسان » .

٦٠ ــ وجاء فى الصفحة الثالثة والثلاثين بعد الثلاثمئة قول المصنف :

الحَلُؤ (كذا) : الحَجَر المحكوك .

أقول : والصواب : « الحَلُوء » وزان : العجوز .

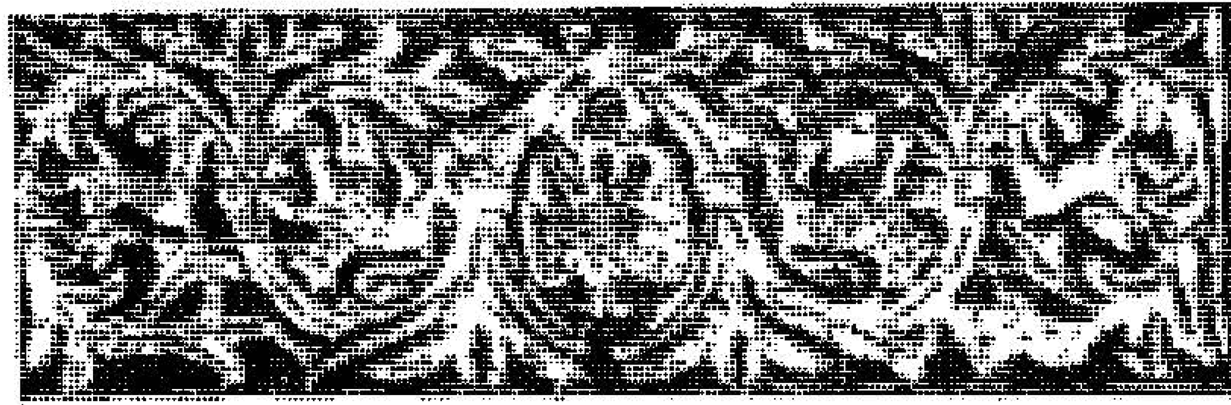
٦١ ــ وجاء فى الصفحة الحادية والعشرين بعد الأربعمئة قول المصنف :

حَنَت المرأة على بنيها حنواً (كذا) .

أقول : والصواب : حُنُوًّا . بتشديد الواو وضم الحاء والنون .

هذا مابدا لى أن أقف عليه مما حفزنى إلى أن أقول فيه مايعين على تجويد الكتاب . إفادة للمحقق والدارس ، وخدمة فى العناية بهذه الذخائر اللغوية . لقد انتهيت فى هذا الاستدراك من الجزء الأول آملا أن أقوم بشىء آخر فى الأجزاء الباقية ، وفوق كل ذى علم عليم .

ابراهيم السامرائى
عضو المجمع من العراق



تقرير
عن المصطلحية والتنمية
للدكتور محمود مختار

عقد المؤتمر بمدينة الرباط بالمغرب فى الفترة من ٣ – ٨ يولية ١٩٨٣ تحت إشراف وتمويل مشترك من :

– معهد الدراسات والبحوث للتعريب بالرباط :

– معهد بورقيبة للغات الحية بتونس

– المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط

وحضره ممثلون عن :

المغرب – تونس – مصر – السودان – الأردن فرنسا – كندا (كويبك) هيئة الأمم المتحدة (قسم الترجمة العربية) – المنظمة العربية للتقييس، وكان ممثلو مصر فى المؤتمر هم :

– دكتور محمود مختار (عضو المجمع)

– دكتورة هيام أبو الحسين (أستاذ اللغة الفرنسية بآداب عين شمس) .

– آنسة منال خضر (قسم اللغة الفرنسية بآداب القاهرة) .

وشملت أعمال المؤتمر بحوث ولجان عمل تناولت موضوعات :

– المصطلحية أساس التنمية العلمية

– التخطيط اللغوى والتنمية .

– التجارب الجارية فى مختلف البلاد عن المصطلحية .

– مبادئ المصطلحية ومقاييسها .

– موقف اللغة الفرنسية من المصطلحية فى كويبك بكندا

وكانت اللغة السائدة فى بحوث المؤتمر وفى مناقشاته هى اللغة الفرنسية .

وألقى مندوب مصر والمجمع بحثا (باللغة العربية) تناول فيه جهود مجمع اللغة بالقاهرة فى إرساء اللغة العلمية العربية ووضع مصطلحاتها . وقد ترجم الحديث بأكمله إلى اللغة الفرنسية ثم أعقبته مناقشة واستيضاحات . كما وزعت بحوث وردت من جهات خارجية (دون أن تلقى) منها قطر – لبنان – سوريا .

وتناولت المناقشات العامة جميع جوانب الموضوعات التى أثيرت وكان أبرز ما تناولته

— النقص الواضح فى المصطلحات العلمية المخصصة وتنسيقها مثل مصطلحات الفضاء والميكرو الكترونيات والتكنولوجيا والأساحة الحديثة .

— الاهتمام بسرعة ملاحقة المصطلحات الحديثة .

— الاتصال المباشر بين جميع الهيئات القائمة على وضع المصطلحات .

— الاتصال المباشر بين مجامع اللغة العربية وإدارات الترجمة فى هيئة الأمم المتحدة واليونسكو والهيئات الدولية المماثلة.

واتخذ المؤتمر توصية عامة تتناول ضرورة الاهتمام بموضوعات التعريب والترجمة ووضع المصطلحات من أجل التنمية وإنشاء معاهد متخصصة لذلك ومن بين الملاحظات ذات الصلة بمصر :

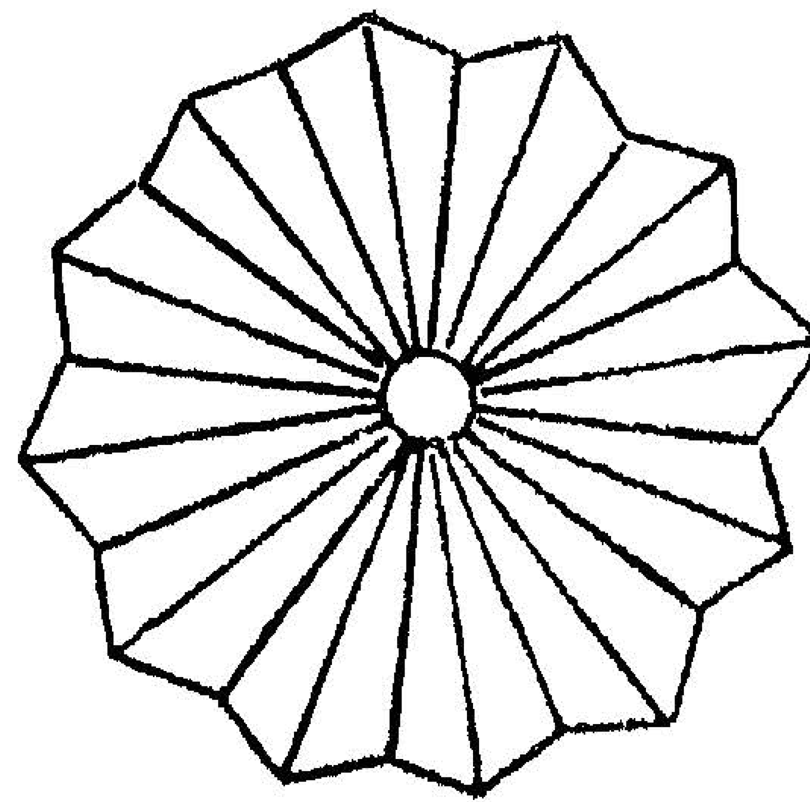
— توسيع نطاق النشر لأعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة ليغطى أرجاء الوطن العربى الكبير .

— أعد معهد اللغات الحية بتونس مقارنة بين المعجم الوسيط والمعجم الأساسى للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لتوضع تحت نظر المجمع والمنظمة .

— أعدت الهيئة العربية للتقييس مشروعا عن اختيار المصطلحات العربية .

هدية :

وفى نهاية المؤتمر عرض الأستاذ أحمد الأخضر غزال رئيس معهد الدراسات والبحوث التعريب بالرباط نموذجا لآلة كاتبة عربية قام هو بتصميم حروفها والإشراف على تنفيذها بهدف تسهيل الكتابة العربية . وقد أهدى مجمع اللغة بالقاهرة واحدة منها برجاء إبداء الملاحظات عليها .



تقرير
عن مشروع معجم الكيمياء العامة
للدكتور حامد عبد الفتاح جوهر

اطلعت على مشروع المعجم المذكور « الجزء الأول » و « الجزء الثانى » ، وقد اشتمل هذا المعجم على عدد كبير من المصطلحات باللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية مع ذكر ما يقابلها فى اللغة العربية ، وقد اعتمد فى إعداد هذا المشروع على ما تلقاه مكتب تنسيق التعريب بالمنظمة من الأردن ومن الجمهورية العربية السورية ومن المملكة المغربية وكذلك من الجمهورية العراقية :

وفيما يلى بعض الملاحظات على هذا المشروع :

١ – استخدام أكثر من كلمة للمصطلح الواحد دون الإشارة إلى أكثرها صلاحية واشدها قربا من المعنى المقصود ، ومثال ذلك :

(1411) messenger = رسول – ناقل – ساع

(1412) metabolism = عمليات التفاعل الحيوى – استقلاب أيض

٢ – عدم ذكر التعريف المناسب بالمصطلح فى أغلب الأحوال مما يؤدى إلى عدم فهم المقصود بهذا المصطلح ، كذلك وجود بعض التعريفات الخاطئة مثل :

« وذكر عنه أنه من الأحماض النيوكليدية التى تدخل فى تركيب البروتينى » وصحة هذا التعريف أنه قاعدة عضوية تحتوى على النتروجين . . . .

٣ – وجود بعض الأخطاء فى وضع المصطلح المطلوب ، وعدم الدقة الكافية عند وضع المصطلح .

ومثال ذلك :

(1421) metamerism = تماثلية تشاكل نووي

(1597) nuelcar is amerism = تماكب بصرى

(1657) optical is omerism = مماثلة التركيب – تماكب نزحى

(2225) tautomerism =

ومن الملاحظ أن كلمة isomerism سميت فى إحدى المرات « تشاكلا » وفى المرة الثانية « تماكب» كذلك استخدم لفظ تماكب مرة لكلمة isomerisms

وأخرى لكلمة -- tautomerism وبذلك لا يمكن اعتبار اللفظ العربى مصطلحا علميا .

٤ — استخدام الترجمة الحرفية فى بعض الأحيان دون اعتبار للمعنى المقصود للمصطلح ، ومثال ذلك :

(1669) organisatian = تعضى — تعضية

تفاعلات الأكسدة — والإرجاع
(1694) oxidatian- reductian reactian}

مادة نترج
(1711) parent sulstanee =

٥ — استخدام بعض الألفاظ الغربية مثل :

(2248) tetrad = التكافؤ رباعى
(96) ammonobysis = حلمئة
وصحتها تحلل نشادرى كهرطيسية
(597) electromagnetism =

ويجب أن تكون كهرومغنطيسية أو كهرمغنطيسية قمع ذو صنبور
(2221) tap - funnel =

٦ — وجود بعض المصطلحات الأجنبية بلا مقابل لها فى اللغة العربية ومثال ذلك المصطلحات أرقام :

٧ — استخدام نفس المصطلح لأكثر من كلمة ومثال ذلك :

لزج
(2172) stichy, (2471) viscid,(2473) viscaus=

ولا يجوز استخدام كلمة لزج لوصف المصطلح الأول stichy

٨ — عدم الثبات على مصطلح واحد ومثال ذلك

(675) eutectie point = نقطة التصلد

تفاعل تصلبى
(676) eutectiê reactian =

ولا شك أن عدم الثبات هذا يفقد اللفظ قيمته كمصطلح علمى .

٩ — وجود بعض الأخطاء فى وضع المصطلحات ، ومثال ذلك :

البلورات الصلبة
(425) erystalline solids =
وصحتها المواد الصلبة المتبلورة

١٠ — احتواء المعجم فى نهايته على أسماء العناصر المختلفة دون ذكر رموزها العربية .

ومن الملاحظ أن مشروع المعجم المذكور قد أغفل ذكر المصطلحات العلمية التى أقرها مجمع اللغة العربية بجمهورية مصر العربية ، ويعتبر هذا الوضع فى حد ذاته عيبا رئيسيا يجب التلبية إليه ،

دكتور احمد مدحت اسلام

عرض هذا التقرير على لجنة الكيمياء فى اجتماعها بتاريخ ٢٩ يونية سنة ١٩٨٣ وأيدته

حامد عبد الفتاح جوهر

تقرير عن أعمال اللجنة الدولية لإحياء مؤلفات ابن رشد العربية

اتجه الاتحاد الدولى للأكاديميات نحو إحياء شروح ابن رشد على أرسطو، متابعة للجهد الذى بذلته الأكاديمية اللاتينية (بهارفرد) . وتكونت لذلك شعب ثلاث :

١ — شعبة للترجمات اللاتينية ومركزها معهد القديس توما بكولونيا .

٢ — وشعبه للترجمات العبرية ومركزها تل أبيب .

٣ — وشعبة للشروح العربية ومركزها مدريد .

وسارت هذه الشعب فى طريقها، وقد تم ذلك قبل أن ينضم مجمع القاهرة إلى الاتحاد الدولى وعلى اثر هذا أثير موضوع النصوص العربية فى لقاء تم فى كولونيا عام ١٩٨١ ورؤى أن يوكل إلى مجمع القاهرة الإشراف على إخراج النصوص العربية لابن رشد. وكونت لجنة دولية من أمريكى هو الأستاذ ف. روزنتال (F. Rosenthal) وإسبانى هو الأستاذ سالفادور نوجالس Salvador Gover Nogales من معهد الحضارة العربية الإسبانية، وألمانى من جامعة برخم هو الأستاذ أندرس وانضم إليهم الأستاذ إبراهيم بيومى مدكور (رئيس مجمع القاهرة) والأستاذ محسن مهدى (من جامعة هارفرد) والأستاذ ماجد فخرى (من جامعة بيروت الأمريكية) والأستاذ عمار الطالبى (من جامعة الجزائر). وقد اجتمعت هذه اللجنة بالقاهرة من ١٥ إلى ١٧ مايو سنة ١٩٨٣ بحضور جميع أعضائها ماعدا الأستاذ الإسبانى نوجالس (Nogales) والأستاذ ماجد فخرى . وسعدت اللجنة بأن انضم إليها الأستاذ زيمرمان (Zimmermann) وزميله الأستاذ هوفمان (Hofmann) من معهد القديس توما بكولونيا . وبحث هؤلاء الأعضاء موضوع مؤلفات ابن رشد العربية ولاحظوا أن قسمها الأكبر ينصب على شروح أرسطو، وهى أنواع ثلاثة :

١ — مختصرات صغيرة ، وتسمى جوامع (Gawame ou épitomes)

٢ — مؤلفات أغزر مادة ويطلق عليها تلخيصات

(Talkhisat ou commentaires moyens)

٣ — ثم الشروح الكبرى بمعناها الحقيقى وتسمى تفسيرات

Tafsirat ou grands comment aires

ولقد سبق لبعض الناشرين أن عالجوا الجوامع ، ورأت اللجنة أن تؤجل هذا مؤقتا

وأن تبدأ بالتلخيصات فى جوانبها المختلفة سواء أكانت تتعلق بالمنطق أم بالطبيعيات أم بالإلهيات (Metaphysica) .

واقترحت أن يبدأ بالطبيعيات ووزع بعضها فعلا على السادة المحققين ، كما سنرى بعد قليل ، كما رأت هذه اللجنة أن تؤجل أمر التفسيرات إلى مرحلة لاحقة وكان يعنيها أن تفصل فى أمر ما يمكن أن يكون قد بذل من جهود حول مؤلفات ابن رشد فى مدريد ، غير أنه لم تتوافر لديها بيانات كافية تسمح لها بالبت فى هذا الموضوع .

وقدر لزميلنا الأب جورج قنواتى أن التقى الاستاذ « نوجالس » فى إسبانيا وعرف منه أنما يحاول بعض الباحثين فى إسبانيا تحقيقه الآن يدور حول المصنفات الآتية :

١ ـ السماع الطبيعى)
(Les livres dela Physique)

٢ ـ تلخيص « كتاب النفس » (De Anima) .

٣ ـ شروح الرسائل التسع لجالينوس
(Les 9 commentatires sur Galien)

وقدر لى أخيرا أن ألتقيت بأسبانيا فى اخريات إبريل الماضى بالأستاذ « نوجالس وعرفت منه أن تلخيص « السماع الطبيعى » تحت الدرس ، وقيل لى أن كتاب النفس (De Anima) وشرح جالينوس
(Les 9 commentation sur Galien)
قدمت إلى المطبعة وكنت أود أن أقف على نموذج من ذلك ولم أوفق . ومن الخير أن يترك لإخواننا بأسبانيا أن ينشروا ما أعدوه ولا سيما أن تمت ارتباطات ببعض الهيئات العلمية هناك .

وبذلت بالفعل جهوداً بناء على التوزيع الذى أشرنا إليه من قبل حول هذين الكتابين بكل من مصر وتونس فقام محققون مصريون باعداد « شروح جالينوس » للطبع ، كما قام محققون آخرون فى تونس باعداد « كتاب النفس » .

وقد أقرت اللجنة التوزيع المبين فى القائمة التالية :

١ ـ الكون والفساد (De generatione et corruptione) الأستاذ الدكتور أبو الوفا التفتازانى والأستاذ سعيد زايد .

٢ ـ « السماع الطبيعى » (Les lives de la Physique) الأستاذ عاطف العراقى والدكتورة زينب الخضيرى .

٣ ـ « الآثار العلوية » (Meteorologica) الأستاذ الدكتور كمال جعفر .

٤ ـ « السماء والعالم » (Me coelo et nundo)
(الأستاذ الدكتور اندرس
(Gerhardt Endress)

٥ ـ « النفس » (De Anima) : الأستاذ الدكتور بن شهيدة والأستاذ الدكتور محسن مهدى

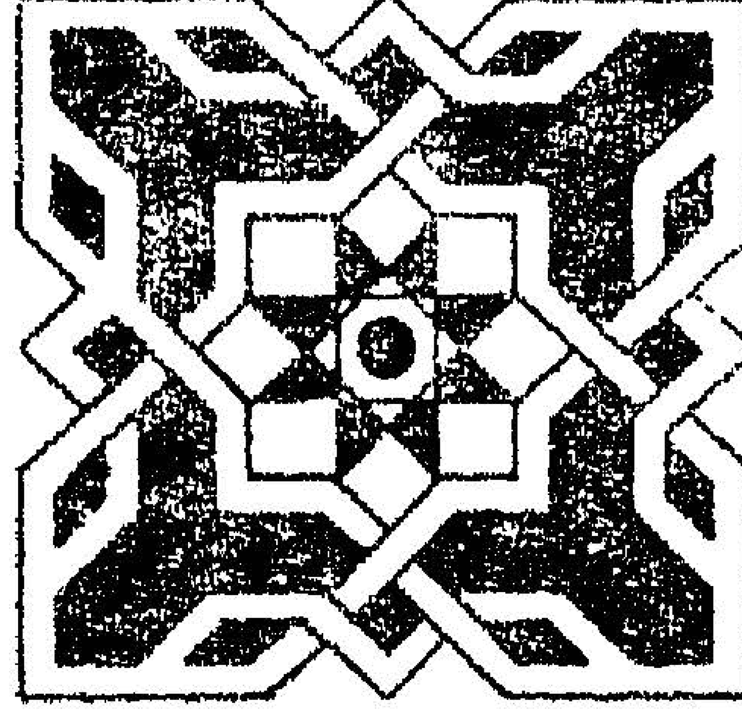
٦ — « الشروح التسعة على جالينوس»
(Les 9 commentaires su Galien)
الأستاذ الدكتور الأب جورج قنواتي والأستاذ سعيد زايد .

٧ — « الكليات » (Le Colliget)
و« شرح أرجوزة ابن سينا » (Commentaora in Aricennae cantica) : الأستاذ الدكتور عمار الطالبي والدكتور سعيد شيبان .

ونحاول ما استطعنا الاتصال بالسادة المحققين لمعاونتهم فيما هم بصدده ويسعدنا أن نلاحظ أن بعضهم قد خطى خطوات ملحوظة فيما اضطلع به .

(إمضاء)

رئيس لجنة ابن رشد العربية



٢ ـ كلمة الأستاذ عبد السلام هارون

عبقرى بارع قل أن يجود الزمان بمثله ، إنه أخى ولدتى وتربى وحتى .. كنا متقاربين فى الميلاد ، سبق مولدى فى الثالث والعشرين من ذى الحجة سنة ١٣٢٦ هـ مولده فى العاشر من المحرم فى السنة التى تليها ، فى بلد طيب واحد هو مدينة الإسكندرية ، وجمعتنا الأيام من بعد هذا فى رحاب القاهرة وملاعبها ، وقضينا عهد الصبا الزاهر ما بين أحيـــاء الحلمية والمغربلين وسوق السلاح ومحمد على نستنشق أطيب أنسام حياة جديدة .. حتى إذا شببنا عن الطوق ، شببنا معا ، تجمعنا آصرة القرابة الحميمة بين والدى ووالدته الأخت الشقيقة له ، وآصرة الصداقة الوثيقة بين والدينا غفر الله لهما .

وقضينا عهود الدراسة ، كل فى سبيله ، تجمعنا بين ذلك أوقات الفراغ فى شىء من الدرس أو اللهو البرىء لا نفتر فيه إلا حيث يأوى كل منا إلى داره .

وعشنا دهرا واحدا مفعما بالثورات السياسية والثقافية والدينية ، وثرنا ، وثرنا ، وكان أخى محمود طرازا نادرا فى الثورة على هذا كله ، فكنا لا نستطيع أن نكفكف من غلوائه وقد خلقه الله بركاناً ثائرا .

ولعل أول ثورة له ثورته على نظام التعليم الدنلوبى ، إذ وجد نفسه ، وهو فى السنة الأولى فى مدرسة والدة عباس الابتدائية ، مفتونا بدراسة اللغة الإنجليزية ، بحروفها الغربية النطق التى ألهته عن لغته العربية ، وقد أصبح فيها ضعيفا جدا على حدِّ قــوله ، لا يكـــاد يجتاز امتحانها إلا على عسر وعلى شنى ... وحينما رسب فى امتحان الشهادة الابتدائية وأعاد السنة الرابعة وجد المجال فسيحا أمامه ليأخذ للغة العربية الحبيبة ثأرها . وكتب الله له الخير على أحد أبنـــاء خاله ، هو شقيقى الأكبر أبو الفضل ، مد الله فى عمره ، حيث أهدى إليه ديوان المتنبى بشرح اليازجى . يقول محمود : فلم أكد أظفر به حتى جعلته وردى فى ليلى وفى نهارى حيث حفظته يومئذ ، وكأن عينا دفينة فى أعماق نفسى قد تفجرت تحت أطباق الجمود الجاثم ، وطفقت أنغام الشعر العربى تتردد فى جوانحى ، وكأنى لم أجهلها قط .

هذه هى البداية المعجزة لأخى محمود ، الذى أشهد كما قال بأنه حفظ ديوان المتنبى فى عام واحد ، هو عام رسوبه فى الشهادة الابتدائية ... وكثيرا ما كان الشر والداً للخير واليسر تاليا للعسر ، وإنما ينسكب نور الفجر من بعد إطباق الظلام .

وكنا إذ نلقى محمودا فى ذلك العهد لا نلقاه إلا والمتنبى فى يده منشدا لقصيدة ، أومترنماً أو معجبا بما يتراءى له من معانيه ، أو ما بلمع

له من جميل العبارة ودقيق الحكمة والعبرة حتى كدنا نحفظ ما حفظ ، إلى ما كنا نحفظ من المعلقات أو الحماسة أو مقامات الحريرى أو صهاريج اللؤلؤ وغيرها ... ذلك عهد قد تقضى وذا عهد ؟

ويتابع أخى الأستاذ محمود ، دراسته الثانوية جادا فى عنايته باللغة العربية ، حيث يعقد صلته بإمام عظيم وأديب كبير ، هو الشيخ سيد بن على المرصفى ، ويتردد إلى دروسه المسائية فى جامع السلطان برقوق ، ويدلف إليه فى عقر داره فيقرأ عليه فيها كامل المبرد ، وحماسة أبى تمام ، وشيئا من أمالى القالى وأشعار الهذليين ولم تنقطع صلته به إلا حين لقى ربه فى سنة ١٩٣١ .

ويحصل محمود على البكالوريا العلمية فى سنة ١٩٢٥ وكان من المتوقع أن يواصل هذا الاتجاه العلمى كما يفعل الطلاب غيره ، ولكن إيثاره للغته ، وعصبيته لها ولما كان يحاول بها من هوان أو إبادة ، جعله يأبى إلا أن يلتحق بكلية الآداب بقسم اللغة العربية دون زملائه فى الدراسة الثانوية جميعا . واستمر فى ذلك حولين كاملين كان فيهما على صراع ملح دائم مع الدكتور طه حسين فى قضية الشعر الجاهلى ، غادر إثر انصرامهما الجامعة ... وكأنه وجد فى قرارة نفسه أنه سيلقى مهاجراً طيبا له فى بلاد الحجاز فسافر إليها مفعما بالأمل وأنشأ بناء على رغبة من أولى الأمر هناك مدرسة جدة السعودية الابتدائية ، أنشأها إنشاء وعمل مديراً لها ... ولكن الحنين إلى الأدب ، وإلى الكتابة والكلمة ، يعاوده فيرجع إلى القاهرة متابعا ما كان منه من قبل من التحرير فى مجلتى الفتح والزهراء .

وكانت دار والده الإمام الشيخ محمد شاكر موردا كثير الزحام لعلية القوم من السياسيين والعلماء والأدباء ، ورجال الأزهر والقضاء فقد كان من الرجال الذين لا تجاوزهم أصابع اليدين عدا . ويذكر له التاريخ أنه أول من عنى بتطوير الأزهر وتطبيق قانون النظام الذى صدر سنة ١٩١١ حينما كان قائما بوكالة الأزهر فعرف الناس للمرة الأولى فى مصر الأقسام النظامية للأزهر ، مع بقاء الأقسام القديمة التى كانوا يلقبونها فى العرف بالنظام الحمجى . كما كان الشيخ من الأعضاء الظاهرين فى الجمعية التشريعية ، ومن قبل ذلك كان قاضيا لقضاة السودان . وكان للشيخ الإمام مشاركة فسيحة فى التأليف والتحقيق ، نذكر له منها بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد . ومقالاته التى تربو على المئتين عدا فى صحيفة المقطم يعرف شأنها وقدرها من عاصروه من العلماء والقراء .

فكانت مجالس والده هذه محكا لاتساع أفقه العلمى والوجدانى ، وكانت معينا فياضا له ولنا جميعا ، ولا نستطيع أن نغفل عن فضل شقيقه الأكبر المغفور له الشيخ أحمد شاكر علينا جميعا وعلى عصرنا الذى كنا نعيش فيه ، فقد كان سباقا إلى نشر العلم وإحياء التراث والدفاع عن حوزة الدين ما استطاع إلى ذلك سبيلا . وها هى ذى آثاره الغزيرة شاهدة بما كان

له من فضل ، وهو كان أستاذنا ومعلمنا غفر الله له .

لعل هذه صورة عابرة لمنشأ أخي محمود . أما الصورة الكاملة التي يقدم بها الأستاذ محمود إلى المجمع فإنها تفتقر إلى تسطير كثير من القول يحصى نشاطه الكتابي والتفكيري والتأليفي . ولقد راقتني كلمة صادقة من الزميل الكريم المهندس أحمد عبده الشرباصي يقول لي في عرض حديثه : « لو عهد إلى بتقديم الأستاذ محمود ، لاكتفيت بقولي إنه محمود شاكر ». ولعل ماصنعه أصدقاء محمود ، ومحبوه ومقدرو فضله من شتى بلادنا العربية والإسلامية من إهداء مجلد تذكاري إليه ، قاربت صفحاته سبعمائة صفحة ، ما يرسم صورة تقريبية لمكانته وفضله ومقداره .

وبحسبي هنا أن أشير إلى كتاباته وقصائده التي ظفرت بها المجلات والصحف منذ سنة ١٩٢٦ إلى عامنا هذا وقد جاوزت المئات وتستغرق عناوينها التي سجلت في المجلد التذكاري الذي قدم إليه بعنوان (دراسات عربيـــة وإسلامية) أربع عشرة صفحة كاملة بالحرف الصغير من ص ١٩ إلى ص ٣٢

كتب الأستاذ محمود في الزهراء وفي مجلة المقتطف ، والرسالة ، والثقافة ، والهلال ، والمجلة ، ومجلة العرب ، والكتاب ، والكاتب ، وفي صحف الأهرام ، والبلاغ واللواء ، والدستور وغيرها . وحينما تنازل الكاتب الكبير إسماعيل مظهر عن امتياز مجلة العصور ، ليصدرها الأستاذ محمود أسبوعية بعد أن كانت شهرية ، تمكن من إصـــدار عددين منها ، وحالت ظروف قاهرة دون المضى فيها.

وعندما شرع صديقه الأستاذ فؤاد صروف في اختيار وترجمة موضوعات مجلة المختار الإنجليزية لم يجد عوناً له في أول الأمر إلا محمود شاكر ، لما كان يعرفه عنه من ضلاعته في اللغة الإنجليزية إلى ما عرف عنه من فقه العربية ، فكان اشتراكه أول الأمر في تحريرها رفعاً لهذه المجلة وسبباً من أسباب نجاحها .

خلق محمود منذ صباه شاعراً رصين الشعر ، وبلغ الذروة في أشعاره في قصيدته الرمزية الخالدة « القوس العذراء » التي نظر فيها عن عرض إلى قصيدة الشماخ الزائية ، لينشيء ملحمة طويلة مستفيضة أودع فيها نظرته الخاصة إلى الحياة ونواميسها ، في رمز فلسفي . وقد صنع صديقه وتلميذه الدكتور إحسان عباس دراسة تحليلية لهذه الرمزية المسهبة أهداها إليه في المجلد التذكاري ، يقول فيها : « لاريب عندي أن الشعر الحديث قد ضل كثيراً حين لم يهتد إلى القوس العذراء ، وأن الناقد الحديث قد سار في تلك الطريقة المضلة نفسها حين أغفل تلك القصيدة وليس من التجني أن أقول : إن الشعر الحديث كان يعشو إلى أضـــواء خادعة حين انقـــاد وراء التأثر بشعر أجنبي ورموز غريبـــة ولم يستطع أن يستكشف أدواته في التراث

كما فعلت «القوس العذراء» ولكن أنى له أن يفعل ذلك وهو وليد اجتهاد بضعة من تلامذة المدارس الذين شدوا شيئا من الشعر الإنجليزى فظنوا أنهم وقعوا على كنز دفين ليس فى أدبهم نظيره ، وأظن أكثر من بقى منهم حيا حتى اليوم لا يفهم قصيدة الشماخ إن أتيح له أن يقرأها فكيف بأن يستخلص منها رمزا لمفهومات معاصرة . ؟

ويكتب عليها الشاعر الخالد محمود حسن إسماعيل من شعره :

غنيتها فانسعرت عالما
من نغمة فى دنها لم تزل

ذوبتها نورا وشعشعتها
عذراء فى خلد ضحاه أهل

ما هى قوس فى يدى نابل
وإنما ألواح سحر نزل

ويشحذ محمود قلمه أصدق ما يكون الشحذ ، ويسدده أصدق ما يكون التسديد حينما ينبرى لمجاهدة تجار السموم ، أعداء العروبة والدين ، من أمثال سلامة موسى ولويس عوض فى كتابه «أباطيل وأسمار» فنرى عجبا فى الأسلوب ، وعجبا فى الفكر ، وعجباً فى المنطق ، ولا نزال نعجب لهذا الأسلوب الساخر فى جدية ، والجاد فى سخرية ، فهو يقول فى أحد هؤلاء : «أرأيت إلى الدمية التى تدير مفتاحها لتملأها فإذا هى تحرك يديها وتمشى برجليها ، وتترنح أحياناً وتعتدل ، وتختال أحياناً وتستقيم ، وتبتسم حينا وتوشك تبكى حيناً آخر وتفتح عينيها تارة وتغمض جفنيها تارة أخرى ، ومحركها فى خلال ذلك قارٌ لا يبالى ، ولا عليه ألا يتدخل فى أعمالها لأنها قلما تخطىء فى عمل» .

ولست أدرى كيف غفل القوم عن تلقيب محمود بأمير الكتابة الساخرة : وإن كان مستقبل التاريخ يضمر له هذا اللقب فيما يضمره .

ويختار محمود لكتابه هذا العنوان « أباطيل وأسمار » انتزاعاً من قول رهين المحبسين :

هل صح قول من الحاكى فنقبله
أم كل ذاك أباطيل وأسمار

أما العقول فقالت : إنه كذب
والعقل غرس له بالصدق أثمار

أما فصوله فإنها تحمل عنوانات يزينها الابتكار : ليس حسناً ، ثم : بل معيبا ، وأخرى بل قبيحاً ، بل شفيعاً ، لا تنقضى ، هذه هى القضية : وهذا هو تاريخها ، وهذه هى أخبارها وهذه هى أخطارها ، وما أدراك ماهيه ، نار حامية ، أما بعد ، أمهلهم رويدا .

فكان هذا الكتاب ، أو هذه السلسلة المتتالية الحلقات . من المقالات ، هى وغيرها من كتاباته هى المتنفس لـه فيما كظم نفسه الثائرة عليه ، مما رآه ويراه حوله من محاولات العدوان على التاريخ العربى والإسلامى ومبادئ الدين الحنيف

وكيان القومية العربية تحت أستار شيء يسمونه إصلاحاً وتجديداً وتطويراً .

وكثيرون لا يعلمون أن محمودا قد نأى بنفسه عن كبل الوظيفة وقيدها طوال حياته ، ما نالت منه وما نال منها إلا ما ينال حسو الطائر من ماء لجى فى بحر عظيم ، لكى تنطلق له حريته فيما يأخذ وفيما يدع ، ولينطلق هو لحريته حريصاً عليها معتزا بها . . . ولكن هذا كله لم يحمه من العدوان على حريته فيما ابتلى الناس به دهرا ، من ولوج على حريتهم . واقتحام على إرادتهم ، إبان سلطان مطلق . وذلك فى محاولتين اثنتين إحداهما على مدى تسعة أشهر من أوائل سنة ١٩٥٩ والأخرى على مدى ثمانية وعشرين شهراً بدأت فى آخر أغسطس من سنة ١٩٦٥ فى زمان كان يفر فيه المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه .

ولقد منحه ذلك العدوان الظالم قوة فوق قوة ، وحكمة فوق حكمة ، وصقالا من فوقه صقال .

وبعد فلست أدرى ماذا أصطفى وماذا أدع من جوانب أخى لأقدمه إلى جمهرة ممن يعرفون اسمه وقد لا يعرفون ما وراء ذلك من جهاد وجهاد . إن كثيرين من أساتذة الجامعات فى مصر وفى العالم العربى كله ليدينون له بالفضل ويعترفون له بالأستاذية ، بل يفخرون بأنهم ممن صنعهم فأحسن الصنع ، وصاغهم فأتقن الصوغ .

إن كتابه « أبو الطيب المتنبى » كان امتداداً لما بدأ به حياته من استظهار ديوان المتنبى فى السن المبكرة جداً ، كما أسلفت ، وكأنما أسرها فى نفسه أن يفى لصاحبه أبى الطيب وأن يلقى الضوء على جوانب أظلمت على الناس منه ، فقاموا يتخبطون فى عمياء إن عمدا وإن سهوا . . فصنقها سبع عشرة مقالة تحقيقية فى المقتطف ، وشح صدر كل منها بأبيات من شعر المتنبى مختارة لتكون عنوانا صادقاً مفسراً لما ينتويه من القول فى صلب المقالة ، فانتهج بذلك منهجاً علمياً فريداً ، يقدم فيه مجمل القضية ، من شعر صاحبه ، قبل أن يمضى فى التفصيل وفى البحث الأخير السابع عشر منها حين تناول القول فى مقتل أبى الطيب ، صدره بأبيات هى علامة على طريق البحث :

نحن بنو الموتى فما بالنا ... نعاف ما لابد من شربه

يموت راعى الضأن فى جهله ... ميتة جالينوس فى طبه

وظهرت المقالات مجموعة فى مجلد كامل هو هدية مجلة المقتطف فى يناير سنة ١٩٣٦ فى الاحتفال بانقضاء ألف عام على وفاة المتنبى .

وأعاد محمود نشرها مع تقديم تاريخى فى سفرين ، أودع فى أولهما ما كتبه هو فى المقتطف ، أما السفر الثانى فقد خصصه لما كان قد كتبه من قبل فى صحيفة البلاغ

اثنتى عشرة مقالة هى نقد علمى جرئ لما ورد فى الكتاب الذى ألفه الدكتور طه حسين، وهو «مع المتنبى»، كما ضمنه الحوار الذى جرى بينه وبين الأستاذ سعيد الأفغانى حول نبوة المتنبى، وكلمة تقدير رائعة لصديقه الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعى يقول فيها عن محمود شاكر: إنه كتب تاريخ المتنبى ولم ينقله ... وهى عبارة ذات مغزى كبير.

وأما بعد فهذا يكشف كيف استطاع محمود أن يعلم نفسه، وأن يختار طعامه وشرابه من التراث الفكرى فى صباه وينتقيه مبرأ من الغثاثة والضآلة ... ويتيح الفرصة أن نوازن بين ما اختاره هو لنفسه وما يختار اليوم للضحايا من أبنائنا فى دور العلم، إذ يقدم لهم من الطعام أردؤه وأكذبه، مسوخ ضيئلة حقاً من التراث العربى، يضيفون إليها أمشاجا قميئة من نتاج المعاصرة، يلدها مفتش اللغة، أو مراقب المنطقة، ويدور حولها البحث والنقد والصور البيانية وما إلى ذلك من الدروس والمصطلحات المخادعة ويظنون بطلابنا الضعف والتهالك، ويظنون ويمتد بهم الظن فينأون بهم عن ممارسة قواعد لغتهم على وجهها الصادق، ويتملقون طالب النحو بقولهم: سنقطع لك رأس هذه القواعد ثم نتبع رأسها الذنب، فلم يبق إلا صورة اللحم والدم.

وأما اللغة فإنها حنانيك، مفتحة الأبواب تقتحم فيها لغة الشارع فصول الدراسة لأننا نأبى لك أن تقابل الصعاب، فنعيا أمامك عن الجواب.

لقد كدت أن أضل عن موطن كبير من مواطن جهاد أخى محمود، هو ساحة تحقيق التراث الذى هو أخص خصائصه وهو العمل الذى يستوعب الآن فيما أعلم جل اهتمامه ونشاطه، وتحقيق التراث عنده تمتد جذوره إلى ما يقرب من نصف قرن، وأذكر أن أستاذنا محب الدين الخطيب جمعنا معاً على إخراج أدب الكاتب لابن قتيبة، وكان هذا أول عمل نشترك فيه معاً فى زمان الطلب والتلمذة، كان ذلك فى سنة ١٣٤٦هـ أى منذ سبع وخمسين سنة هجرية أو أربع وخمسين سنة ميلادية، وهى السنة التى اشترك فيها تفكيرنا كذلك فى إنشاء جمعية الشبان المسلمين وكان أخى محمود فى صدر المتحمسين لذلك بعد عرض الفكرة منى على الأستاذ محب الدين الخطيب وأحمد تيمور باشا؛ الذى لا أزال أذكر قبلته الحانية.

وسار أخى محمود بعد هذا فى خدمة كتب التراث، فنقرأ له «فضل العطاء على العسر لأبى هلال العسكرى» ثم نقرأ الجزء الأول من «إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع» وقد ذيله بفهارس دقيقة نفيسة،

ثم كتاب «المكافأة وحسن العقبى» لأحمد ابن يوسف بن الداية الكاتب . . . ثم يلمع أمامنا الجهد الذى أتحف به الأستاذ محمود مكتبة التراث بكتاب ابن سلام « طبقات فحول الشعراء » فى طبعتين اثنتين ، نشراً علمياً موثقاً ، بذل فيهما جهدا ذكياً فى جمع نصوص ابن سلام من نسختيه العتيقتين ومن كتاب أبى الفرج ، مع مقارنات تحقيقية دقيقة مستفيضة وتعليقات هى الغاية.

وإذا نظرنا إلى تفسير الطبرى فى طبعته العلمية المحققة وجدنا الجهد الصادق للأستاذ محمود شاكر مع مشاركة أخيه العلامة المغفور له الشيخ أحمد شاكر فى تخريج الأحـاديث للأجـزاء العشرة الأولى ، ومراجعة من الشيخ للأحاديث فقط فى الأجزاء من الحادى عشر إلى الثالث عشر ثم نلفيه منفردا بالأمر كله فى الجزأين الرابع عشر والخامس عشر ، إذ يقول الأستاذ محمود فى مقدمة الجزء الرابع عشر ، فى كلمة وفاء حزين : وبعد فقد أبليت شبابى وصدراً من كهولتى وأخى يومئذ ركن من العلم باذخ آوى إليه إذا حزبنى أمر أو ضاق على مسلك ، فأصبحت فإذا الركن قد ساخ ، وإذا أنا قد أفردت إفراد السارى فى فلاة بغير دليل. كان نوراً يضىء الطريق ، فلما طفىء أصبحت فى ظلماء ينهانى سـوادها أن أسـير »

ومما يذكر للأستاذ محمود تحقيق الجزء الأول من كتاب «نسب قريش ومناقبها» ، لأبى عبد الله الزبير بن بكار ، وله كذلك مشاركة ذات قدر مع الأستاذ العلامة عبد العزيز الميمنى الراجكوتى فى تحقيق كتاب الوحشيات ، وهى المسماة بالحماسة الصغرى لأبى تمام .

وقد عثر الأستاذ محمود منذ نحو ثلاثين عاما على أجزاء مخطوط نادر فى الحديث هو كتاب « تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار» ، لابن جرير الطبرى صاحب التفسير ، والتاريخ ، فنشط لتحقيقه وإخراجه منذ عامين اثنين أتحف المكتبة العربية منه بمسند على بن أبى طالب ، ومسند عبد الله بن عباس ، وهو فى سبيل إتمام ما عثر عليه من هذا الكتاب الجليل لهذا العالم الجليل .

هذه الجهود العلمية التى بدأت منذ سنة ١٣٤٦ هـ إلى يومنا هذا ، ومنحت الحياة العلمية والأدبية والفكرية جهالا ونفعاً صادقاً ، وتوجت بالأمس بمنحه جائزة الدولة التقديرية فى الآداب كما توجت اليوم بكتبة اسمه فى سجل الخالدين وكان جديراً بهذه الكتبة منذ سنين وسنين ، تحدو بنا أن نهنئه ونهنىء العضوية به وأن نستقبله اليوم بما يستقبل به عالم ملأ طباق العروبة فضلا ونبلا ونفعاً ، مع دعواتنا له بتوفيق من الله وتأييد من عنده ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

الأستاذ عبد السلام هارون

الأمين العام للمجمع

كلمة الأستاذ محمود محمد شاكر

الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شىء فقدره تقديرا . وصلّى الله على النبى الأمى الذى أرسله بلسان عربى مبين ليخرج الناس من الظلمات إلى النور . اللهم صلّ على محمد وعلى أبويه إبراهيم وإسماعيل وعلى سائر النبيين وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فقد وقعت فجأة فى الحرج والحيرة ولا حول ولا قوة إلا بالله . فأنتم أيها الرجال الأجلاء ، غير عامدين ولا متواطئين . أخذتمونى على غرة ، وقذفتم بى فى الموج ذى التيار والزبد ، وقلتم لى : اسبح وما أنا بسابح . وأنى لمثلى أن يسبح وقد عاش حبيسا مغمورا أكثر من أربعين سنة ، بين جدران من العزلة قد ضربتها على نفسى ، وبين رفوف كالتوابيت من حولى ، فيها رجال «صموت» لا ينطقون ولا يتحركون إلا أن آذن لهم . وإذنى لهم : أن أمد يدى إلى أحدهم ضارعا مستميحا ، أسأله أن يتفضل على بشىء من معروف يزيل شكى ، أو يرد عنى حيرتى أو يحيي مواتا فى نفسى أو يرفع غشاوة غطت على بصرى ، أو يجلو صدأ ران على بصيرتى ، ويتمادى الأمر بينى وبينه شيئا فشيئا ، فأحاوره ويحاورنى ، وأجاذبه أطراف الأحاديث ويجاذبنى ، حتى إذا بلغ منى الجهد ، طويت ما بينى وبينه ، ورددته إلى تابوته وإلى صمته محفوفا بالتكريم والشكر . وكلانا فى خلال ذلك وادع مطمئن ، فلا هو يملك – بحسن سجيته أن يعنف بى ، ولا أنا أرضى – لكرامته على – أن أعنف به . عاشرتهم جميعا ، وكلانا راض عن أخيه ، والأمر بينى وبينهم سهو ، رهو رخاء ، هم يستجيبون لى لأنهم أهل السخاء والكرم ، وأنا أقصدهم وأعتفيهم ، لأنى أنا الفقير إليهم . لقد ألفت ذلك أكثر من أربعين سنة ، أن أعيش وحيدا معتزلا هادئا ، بين جدران عزلتى وانفرادى ، وبين توابيت أصحابى وإخوانى ، فى شئون تجرى بينى وبينهم محدودة بما حددته ، من إزالة شك أو رد حيرة ، أو إحياء موات ، أو رفع غشاوة أو جلاء صدأ . وكل ما عندى من العلم محدود أيضا بهذه الحدود .

فحين أخذتمونى ، فجأة وعلى غرة ، وقلتم : منذ اليوم ، أنت بيننا كأحدنا ، عضو فى مجمع اللغة العربية ، وخلف للسلف العظيم الدكتور أحمد بدوى ، إنما أخذتمونى من مكمنى بلا رحمة ، غير عامدين ولا متواطئين وألقيتم بى فى حومة الحرج والحيرة . نزعتم عنى لباسى القديم الذى ألفته وألفنى من الوحدة والعزلة والهدوء والصمت ، وما كدتم تفعلون حتى كستنى المفاجأة لباسا غريبا من الخوف والرهبة والضياع واللجلجة . ماذا أقول لكم ؟ لقد كرمتمونى تكريما يعجز لسانى عن المكافأة ولكنكم أيضا قد روعتمونى ترويعا يطلق لسانى

بالشكوى منكم . فإلى من أشكوكم ؟ فإنما شكواى منكم هى شكواتى إليكم . فأنا أسألكم الإنصاف ، وأربأ بكم عن قله الإنصاف .

فلم تزل قلة الإنصاف قاطعة
بين الرجال ، ولو كانوا ذوى رحم

غفر الله لى ولكم .

وأول حرج وقعت فيه أن أجد نفسى مطالبا بالحديث عن السلف العظيم الدكتور أحمد بدوى رحمه الله ، وكانت قد نشبت بينى وبينه محبة ومودة وصداقة ، وأنا خلقت هكذا ، لا أستطيع أن أكتب شيئا عن صاحب أو صديق اخترمته المنية ، يعجز لسانى ، وتأخذنى رهبة ، وأجدنى كأنى مقبل على ظلمه لو تحدثت عنه . وهذا حرج على شديد . وحرج آخر هو أن الدكتور بدوى عالم آثارى مشهود له ، عارف بلغة البرابى القديمة ، أى المعابد والآثار العتيقة المنتشرة فى أرجاء مصر شمالها وجنوبها ، وهى لغة مكتوبة بالقلم الهيروغليفى وأما أنا فعلمى كله محدود بلسان العرب وبالعلم العربى ، فغير مستساغ من مثلى أن يقول شيئا فى أمر يجهله . وإذا قلت شيئا ، فكل ما أستطيعه لن يخرج عن ترديد ما قاله من قبلى العارفون بقدره فى العلم الذى يحسنه ولا أحسن أنا شيئا منه . ومنذ أيام قليلة قرأت ما كتبه أستاذنا الدكتور محمد مهدى علام فى التعريف به ، فى كتاب مجمع اللغة العربية فى ثلاثين عاما ، ثم ما قاله الأستاذ الجليل محمد شفيق غربال فى استقباله فى مجمع اللغة فى الجلسة العاشرة للمؤتمر ، فى ١٩٦٠/١/٢٥ فى الدورة السادسة والعشرين ، ثم ما قاله الدكتور بدوى نفسه بعد انتخابه عضوا فى المجمع فى الدورة المذكورة آنفا . وما أنا بمستطيع أن أزيد على هذا شيئا يقال .

ولكن لابد مما ليس منه بد . وسأحاول أن أكذب سمعى وبصرى وعلمى ، وأتمثل الدكتور بدوى جالسا حيا بيننا يسمع ما أقوله ، ثم يتغاضى بفضله عن تقصيرى فى حقه ، متسامحا فيما أنزلته به من الظلم .

فيما قبل سنة ١٩٥٠ ، كنت أسمع اسم الدكتور بدوى ، ولا أذكر أنى كنت قرأت له إلا ما كتبه عن الهكسوس ، ولكن كان يحدثنى عنه بعض من يعرفونه حديثا يغرينى بمعرفته ولكن عزلتى حجبت عنى كل وسيلة إلى هذه المعـــرفة . لم أنشط أنا إليها ، ولكن الأقدار قد نشطت من حيث لا أعلم إلى تدبير اللقاء والمعرفة ، ففى سنة ١٩٥١م ، كنت مشغولا بشرح كتاب « طبقات فحول الشعراء » لابن سلام الجمحى ، عن نسخة عتيقة جدا كانت قد وقعت فى حوزتى ، وكانت فيها زيادات كثيرة جدا على نسخة طبقات الشعراء لابن سلام المطبوعة بمطبعة بريل ، فى مدينة ليدن سنة ١٩١٦م ، والتى نشرها يوسف هل وكتب لها مقدمة بالألمانية . فلما فرغت من الشرح ، وأزمعت أن أكتب مقدمة لنسختى التى سوف أنشرها ، احتجت إلى أن أعرف ما قاله يوسف هل فى مقدمة نشرته . فلجأت

إلى صديقى الدكتور عبد الرحمن بدوى أستاذ الفلسفة ، فقرأت معه على عجل هذه المقدمة، وأملى على بترجمته بعض ما أحتاج إليه منها . وبعد زمن استبهمت على أشياء وقلقت نفسى، فدلنى أحد أصحابنا على الدكتور أحمد بدوى ، أستاذ التاريخ والآثار المصرية وحثنى على الاتصال به بالهاتف، فلم أفلت هذه الفرصة، واغتنمتها من فورى، فإذا هو إسراع وإقبال وحفاوة ، وغلبتنى الدهشة ، والتقينا وعند أول لقائنا ، أذهلنى الرجل وأخجلنى وأخبرنى أنه يعرفنى تمام المعرفة منذ سنة ١٩٢٦م ،وأنا أسمعه واجما لا أذكر من ذلك شيئا ولا أعرفه . ثم أسرع فأزال حيرتى فأخبرنى أننا دخلنا الجامعة معا، فى تلك السنة . كان هو طالبا فى قسم الآثار ، وكنت أنا طالبا فى قسم اللغة العربية ، وتقلبت بى الأمور فى الجامعة ما بين سنة ١٩٢٦م إلى سنة ١٩٢٨م، إلى أن فارقتها يومئذ إلى غير رجعة . ورأيته عالما بى وبهذا التقلب الذى عانيته . اجتمعنا سنتين فى أرض واحدة ، ولكننا لم نتعارف . فالآن تعارفنا ، وطال حديث الذكريات .

بدأنا نقرأ مقدمة يوسف هـل ، وهى لا تتجاوز ثلاث عشرة صفحة . كانت باللغة الألمانية ، وكان يجيدها تمام الإجادة . فكان من الممكن أن يقرأها ويوقفنى على فحواها فى مجلس أو مجلسين على الأكثر، ولكن الذى حدث كان غير ذلك ، فقد طالت مجالسنا وتعددت ، كان يقرأ ما بين يديه جملة جملة، ويتأنى بى وهو يعيد على فحوى كل جملة منها ، متخيرا لألفاظ عبارته مرة بعد مرة ، مستدركا على نفسه فى المرة الثانية ما فلت منه فى الأولى ، كان كأنه مكلفا أن يترجم هذه المقدمة مكتوبة لتنشر . استمتعت أنا بهذه الأمانة وهذا الحرص استمتاعا لا يوصف ، ومع ذلك ، فكم من مرة كانت نفسى تحدثنى أن أطلب إليه أن يكف عن هذا التخير وهذا الاستدراك ، شفقة عليه أن يضيع وقته معى فى أمر هو أهون على وأزهد أن يضاع فيه كل هذا الوقت . لم أفعل ما حدثتنى به نفسى مرة واحدة ، لأن أناته فى القراءة والتفسير كانت تروعنى . أناة لا يستثيرها عجل ، بل يشوبها أحيانا شىء من التردد والتلوم ، كأنه كان يبحث فى خلال الألفاظ الألمانية عن معنى يوشك أن يتملص منه ، وكأنه فى الوقت نفسه كان يبحث فى دخيلة نفسه عن ألفاظ عربية تمسك المعانى وتحيطها حتى لا يند منها شىء . وكان يروعنى أيضا هذا القدر العظيم من الصبر ، صبره على ما كان يقرؤه ، وصبره علىّ وأنا أستوضح بعض معانى ما قرأ . وإذا استبهم علىّ شىء مما يفسره فقاطعته، توقف توقفا بصيرا ، يطول أو يقصر فى المراجعة ، ثم يقبل على موضحا مبينا أدق تفاصيل اللغة الألمانية بلا ملل وبلا عجلة . فمن يومئذ عرفت أنى أجاذب الحديث رجلا من العلماء المتثبتين ، لأنه بأناته وتوقفه وصبره وحسن تأتيه للمعانى ، مع هدوء النظر فيما بين يديه ، ومع حسن التأمل لما أفاجئه به

من المراجعة ، قد كشف لى عن قدر عظيم من الأمانة والحرص ، وأيقنت أن هذا الرجل ينطوى على لب اللباب من أخلاق العلماء ، التى يجد الإنسان بعضها عند بعضهم ، ويفتقد بعضها أحيانا فيهم . رأيتها كلها متجمعة فيه مع صفاء فى النفس عجيب ، ورقة فى الطباع تأسر ، وحلاوة فى المعاشرة ، إذا ذقتها فما أنت بقادر على أن تنساها أو تنسى صاحبها .

وإذا كان هذا شأنه وخلقه فى أمر هين ، وهو تفسير مقدمة كتاب ، وإذا كانت هذه خصاله فى معالجة لغة كالألمانية . حية على ألسنة أهلها ، متداولة معروفة منطوقة ، ذات معاجم تفسر ألفاظها ، فما ظنك به وهو يعالج لغة قد بادت وباد أهلها . وتآكلت الألسنة الناطقة بها تحت أطباق الثرى ، وليس لها معجم يفسرها ويضبطها وما هو إلا الكدح فى توهم معانى ألفاظها وتراكيب جملها ، ودلالة سياقها ، مع فاصل كثيف يفصل بينه وبينها عرضه آلاف السنين؟! لقد تمنيت يومئذ أن أصاحب هذا الرجل ، وأشاركه معاناته فى استنباط لغة البرابى القديمة التى تنسحب على مدى طويل من ألوف السنين ، مع التغير الفادح الذى لحقها ولا بد ، على امتداد هذه الآباد المتطاولة . معاناة لو تتبعتها معه وشهدت ما يمارسه فيها ، كانت خليقة أن تكشف لى جوانب أخرى من خصال العلماء وأخلاقهم التى اجتمعت فيه ، تستوجب له أضعافا مضاعفة من الروعة ، ومن الإعجاب بصاحبها . والقليل الذى شهدته بنفسى معه ، دليل لا يخطىء يصدق هذا الذى كنت أتوقعه ، لو كتب لى أن أحقق أمنيتى .

وقد رأيت الدكتور بدوى نفسه ، قد كشف لنا عن جانب من معاناته ، حين قاله لكم فى يوم استقباله فى المجمع .

« وأصارحكم ، أيها السادة مرة أخرى بأنا معشر المشتغلين بلسان فرعون ، لم نستطع أن نقومه فى كثير ، وإنما انحرفنا به انحرافاً ومسخناه مسخاً ، سألت شيخنا العلامة أدلف إرمن ، وكان إمام المدرسة الفرعونية غير منازع ، ترى ما مدى استقامة ألسنتنا حين ننطق باللغة المصرية ؟ فأجاب : والله يابنى لو بعث آل فرعون وسمعونا نلوى ألسنتنا على نحو ما نفعل ، لانهالوا علينا ضربا بالسياط ولأخذونا بالنواصى والأقدام » .

فهذا سؤال واحد يزعجه ، من أسئلة كثيرة جداً ، كانت ولابد تنغص عليه معرفته بلسان البرابى القديمة ، وبتاريخ أهلها المتطاول ، وبشئون حياتهم التى عاشوها ، وعقائدهم التى كانوا يتداولونها وعلومهم التى بنوا عليها حضارتهم المعروفة فى القديم ، هكذا أظن ، وهذا السؤال وأشباهه من الأسئلة ، تدل على أنه كان عالماً متثبتا متخوفا من الزلل ، أمينا على ما يعلم وحريصاً على طلب اليقين . وأنا أظن ، بل هو فوق الظن ، أن قلقه ، وتثبته وتخوفه من الزلل وأمانته على ما يعلم ، وحرصه على طلب

اليقين ، كانت خصالا من خصال العلماء مغروزة فيه سجية لا اكتسابا وأنه كان لهذه الخصال من الغلبة عليه والسيطرة على نفسه يقبض قلمه قبضاً شديداً ،ويكفه كفا عن الكتابة والتأليف ، حتى صار قليل التأليف جداً فى هذا العلم الذى تميز به وعرف بانتسابه إليه ، وعد علما من أعلامه ، وسار حقيقة فى الناس بأنه من كبار أهله .

وخصلة أخرى من خصال هذا العالم الجليل ، قد لا يعدها بعضنا من خصال العلماء ولكنها من أعظم خصال الأفذاذ منهم بلاريب وإنما ينكرها من أنكرها ، لندرتها ، قبل كل شئ فى جمهور العلماء ، ثم لأنها خصلة خفية تبقى مستورة دائما ، مكفوفة عن الظهور المستعلن ، تحجبها وفرة العلم ووقاره وخفاؤه أحيانا عن الظهور وسأحاول أن أوجز طريق معرفتى بهذه الخصلة إيجازاً غير مخل .

ففى أوليات مجالسنا ، فى فجر معرفتى به رحمة الله عليه ، مللنا مرة وطوينا كتاب طبقات الشعراء ، وأخذنا نستروح بتجاذب الأحاديث ، وفى خلال ذلك أنبأته أن أبى وأسـلافى من مدينة جرجا بصعيد مصر فأطرق إطراقة ، ثم عاد ينظر إلى كالمتثبت المتوسم ، نظرة خلتها وميض جمرة من خلال الرماد وكأنما رآنى الساعة لأول مرة ثم فاجأنى بحديث طويل فى تاريخ جرجا وغيرها من الأقاليم فى الأزمنة الموغلة فى القدم . بدا حديثا جافا عن أقاليم الصعيد وحدودها القديمة يتخلله أسماء ملوك وكهان وأصنام معبودة من دون الله وشيئا فشيئاً ، أصبح حديثه يترقرق حياة غنية متحركة رائعة حياة حية بمقاتلها وعمائرها وأهلها وحوادث أيامها . وبدالى أحمد بدوى كأنه يصور بلسانه حياة عاشها ، أو حياة لا يزال يعيش فيها ، وأما أنا ، فكأنى كنت أشهد بعينى هذه الحياة وهى تموج بأهلها ، وأيامها ولياليها ، على بساط من الأرض أتمثله أنا شاهدا مبصراً ، متأثراً بما أسمع وأرى وأشهد ، راعنى الرجل ، لم ترعنى وفرة علمه ولا ما كان يعرضه على من صور الآثار الباقيات ولا ما كان يصاحب ذلك من تفسير وبيان ، بل الذى راعنى ، وأخذ بنفسى ، وسد علىها المنافذ : هذه النفحة التى كانت تهب على من حديثه كأنها أنفاس نسيم الصبا فى ساعة السحر تحمل العطر والشذا ، وينعش مسها النفس والحس ، نفحة من شاعر ملئ إهابه الشعر . كان يوماً عجباً وحديثاً عجبا فلما قرأت الجزء الأول من كتابه «فى موكب الشمس» لم أخطىء هذه النفحة المنعشة المتحركة ولكنى وجدتها مقروءة ، دون حقيقتها ، مسموعة حية على لسانه ، وبصوته ، وبألفاظه وبلهجته التى تدل على موطنه من صعيد مصر ، والتى التزم بها ، وأصر عليها ، ولم يفارقها ، ولم يتنكر لها طوال حياته رحمة الله عليه .

وبقيت عندى خصلة أخرى ، مما خبرته بنفسى من خصال هذا العالم الجليل ، وهى من أجل الخصال التى يندر وجودها فى كثير من العلماء ، ولا سيا فى زماننا هذا . بيد أنى

إذا أنا حاولت أن أقص قصة وقوفى عليها فيه على وجهها ، اقتضانى ذلك أن أسرد عليكم حديثاً طويلا جداً قد استغرق بينى وبينه عدة أيام وليال ، ولكن ليس هذا هو مانعى الأول من سردها على الحقيقة ، بل ما نعى الأول هو أنى كنت الطرف المتكلم فى هذه القصة ، وكان الدكتور بدوى هو الطرف المستمع ، وحديثى اليوم بينكم إنما هو عن السلف العظيم الذى جعلتمونى خلفا له ، لا عن نفسى . وكذلك رميتم بى فى حرج آخر فلو أنا أغفلت هذه الخصلة العظيمة التى وقفت عليها لظلمت صديقى ظلماً بواحاً لا يستره شئ ، ولا يخرجنى من هذا الحرج إلا أن أومئ إليها إيماء دون تصريح أو بيان ، فقد هجم بنا الحديث مرة على شئ هو من صميم علمه ، وهو تاريخ حضارة الفراعين وموقعها من مسيرة الجنس البشرى .

طال الحديث بنا وتشعب أياما ، وكانت حجتى التى بنيت عليها ، قائمة على أصول واضحة بينة ، مأخوذة من الوثيقة الكبرى التى لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، والتى لم تبق على ظهر هذه الأرض وثيقة أخرى يمكن أن يعتمد عليها فى تحديد الصورة الصحيحة لنشأة الجنس البشرى على الأرض أو فى تحديد الخطوط الصحيحة لمسيرة الحياة البشرية بأممها وعقائدها وعلومها بين علو وانخفاض وسمو وانهيار ، وضعف وقوة . وهذه الوثيقة هى القرآن العظيم ، وبيانه الصحيح الثابت من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد استتبع الهجوم على هذا الموضوع كثيراً من المراجعة والاستدلال والقراءة الطويلة أحيانا ، وكنت أنا فى الحقيقة أريد أن أحوز هذا العالم الجليل إلى جانبى ، فبذلت لذلك جهدا عنيفاً متتابعاً فى مجالس متدانية ، أما صديقى الدكتور بدوى فكان أكثر وقته يستمع ويصغى ، وألمح فى وجهه وفى عينيه الجد ، والتردد أو الشك أحيانا ، ولكن لم يقاطعنى قط . وما هو إلا أذن صاغية لا غير .

وعجبت عجباً شديداً لأنى كنت أتوقع أن يتكره وجهه لهذا الحديث ، أو أن يعترض ، أو أن يثور ، ولو مرة واحدة ، لأنى فى الحقيقة كنت كأنى أهاجمه فى صميم علمه أو كأنى أحاول أن أقلب بعضه رأساً على عقب . ولكن لم يزد فى آخر الأمر على أن سكت طويلا ، وأقبل على أكواب الشاى يشربها على مهل ، وبدا كأنه نسى الأمر كله ، كأنه لا يعنيه فى شئ ، وبعد لأى ما فاجأنى وهو يقول : أتمنى أن يكون بعض ما قلته صحيحاً نظراً ، بل هو ممكن عقلا على الأقل . ثم سكت طويلا ، ثم عاد يقول : ولكن ماذا نفعل ؟ إنما نسير فى بيداء ليلها كنهارها .

أما أنا فقد أخذت بحسن استماعه للحديث وبهدوء نفسه وصفائها ، فهذه خصلة من خصال قليل من العلماء المتثبتين ، يندر فيهم من

يصبر عليها، ويأخذ نفسه بها أو يملك على الأقل أن يتكلفها ساعة، فضلا عن ساعات طوال وأيام. وما ذكرت هذا العالم الجليل، إلا ذكرت معه عبد الملك بن مروان، وكان عبد الملك، قبل أن يتولى ما تولى من سلطان الخلافة، معدوداً فى علماء أهل المدينة، وزارها عمرو بن العاص رضى الله عنه، وخالطه مدة إقامته بها، فلما رحل إلى الشام ذكره عند معاوية رضى الله عنه، ووصفه له، فكان مما قاله: هو آخذ تارك «لثلاث» آخذ بقلوب الرجال إذا حدَّث، وبحسن الاستماع إذا حُدِّث وبأيسر الأمرين عليه إذا خولف، تارك للمراء، تارك لمقارنة اللئيم، تارك لما يعتذر منه.

رحم الله أخى وصديقى، كان عالماً إذا التمست علمه، وصديقاً منجداً إذا التمست صداقته، وأنيساً جذاباً إذا التمست حسن العشرة. وكان لسانا حلوا صادقاً وإنسانا كريم الجوهر، كأنه لؤلؤة صافية لا يشوبها كدر، وأنى لمثلى أن يكون خلفا لمثله وأنا أخشى أن أكون قد قصرت أشد التقصير من حيث كنت أتوخى الوفاء، وأن أكون قد بخسته حقه وظلمته من حيث كنت أتحرى الإنصاف والعدل. وقد اضطررت إلى الحديث عن هذا السلف الجليل اضطرارا إلى فرط نفسى على هذا الحديث قهراً والتزمت أن لا أقول إلا ما خبرته فيه بنفسى، فى زمن قليل جدا لا يتيح لى أن أوفيه حقه، وأنا على يقين من أن هذا القدر، الذى خبرته بنفسى من خصاله، قليل فى جانب ما خبرتموه أنتم، بطول عشرتكم له من فضائله المذكورة الباقية. غفر الله لى ولكم.

بقى الحرج الأكبر الذى وقعت فيه، فقد تفضلتم على بضمى إلى مجمعكم الموقر، وخلتمونى صالحا للجلوس بينكم، فلا أدرى كيف أسدى الشكر لكم على حسن ظنكم بى. ولا أدرى ما أقول لأخى وابن خالى الأستاذ الكبير عبد السلام محمد هارون، الذى وقع هو أيضا فى الحرج، حين كلف بتقديمى إليكم، وإنما أوقعه فى الحرج هذا النسب الداخل بينى وبينه، بأى لسان أشكر، وأنا لا أملك إلا هذا اللسان العاجز الذى ألف الصمت دهرا طويلا. فاقبلوا بفضلكم عذرى وتغمدوا بكرمكم إساءة عجزى، وقد أحسنتم إلى بظهر الغيب، فأتموا إحسانكم على فى مشهدى وحضورى، وأقول لـكم ما قال أبو عبادة للفتح بن خاقان:

ومثلك إن أبدى الفعال أعاده
وإن صنع المعروف زاد وتمَّما

وأنتم أيها الرجال الأجلاء، أهل ذلك وأكبر منه.

أما الآن وقد فرغت مما كنت وقد أعددته.

وقد سمعت ما قاله فى أخى وابن خالى الأستاذ عبد السلام محمد هارون ، فقد كنت وأنا أسمعه ، أزور فى نفسى كلاما له ولكم ، ولكن قد طار منى الآن، فلم يبق منه شيء يمكن أن أقوله . ولكنى كأنى أسمع شيخ المعرة يهمس فى أذنى أن أنشدكم قوله فى نفسه ، وقد لقى من بعض الناس مثل الذى لقيته فقال :

من لى أن لا أقيم فى بلد ... أذكر فيه بغير ما يجب

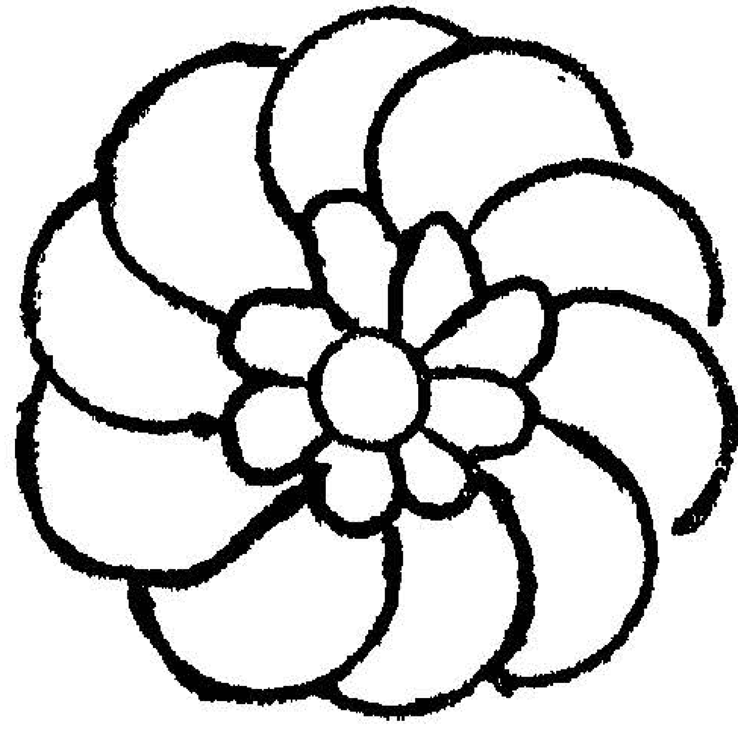
يظن بى اليسر والديانة والعلـ ... ـم وبينى وبينها حجب

أقررت بالجهل ، وادعى فهمى ... قوم ، فأمرى وأمرهم عجب

أمرى وأمركم عجب ،

أيها الرجال الأجلاء ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الأستاذ محمود محمد شاكر
عضو المجمع



٢ ـ كلمة الأستاذ الدكتور سليمان حزين

عضـو المجمع

أخي محمد

ماكنت لأ تصور أني سأقف منك هذا الموقف بل إنني أتصور دائماً أنك أنت الذى ستقف مني هذا الموقف ، لا أستطيع يا محمد أن أتحدث عنك حديث الغائب أو أتحدث عنك بضمير الغائب ، وإنما أتحدث إليك حديث المخاطب للمخاطب على النحو الذى اعتدته معك دائما . وما أظنني أستطيع أن أصدق نفسي حين أحيد عن مثل هذا الخطاب .

كنت يا محمد منذ أيام مع صديق لك من أيام الصبا حدثني أنك كنت تخرج من قريتك إلى مدرستك الابتدائية فى السنطة ، وكنت تسعى إلى المدرسة دائماً على أتان تأبى إلا أن تسميها أو تصفها بأنها «الحمزى» وكانت أتانك تلك الحمزى تأبى إلا أن تسعى بالصبى دائماً فى المقدمة . وحتى عندما جاء يومك الأخير أبيت إلا أن تتقدم أقرانك وأساتذتك وأن تسير فى المقدمة لتلقى الله . . .كنت دائماً على هذه المسيرة فى دراستك كلها ، وفى عملك كله . أتذكر يا محمد حين لقيتك لأول مرة بعد عودتى من البعثة وكنت أنت فى سنواتك الأخيرة من الدراسة . وأتذكر أيضا أننا فى يوم من الأيام فكرنا فى كلية الآداب أن تسعى إلى السودان فى رحلة علمية مع طائفة من الطلاب .

كان ذلك فى عام ثمانيـــة وثلاثين وتسعمائة وألف ، عندها كان السودان قد عاد إلى مصر وكانت مصر قد عادت إلى السودان ، بعد قطيعة افتعلها الاستعمار وكان طبيعيا أن يكون قسمك ، قسم الجغرافيا ، أول الأقسام سعيا بكلية الآداب إلى وصل ما أمر الله به أن يوصل بين مصر والسودان. يومها سألتك هل تأتى معى إلى السودان ؟ فكان الجواب سريعا ، إذ أنك قلت إنك لو استطعت أن تسعى إلى السودان مشياً على الأقدام لسعيت. أحسست إذا ذاك أن لك دوراً فى هذه الرحلة ، لم يكن بالضرورة دور الجغرافى ، فإنه قد كان هناك من الجغرافيين من هم أرسخ منك يا محمد فى ذلك الوقت . ولكنك كنت تسعى إلى السودان سعى الشاعر والأديب الناشيء . يومها لقيت أستاذنا وعميدنا طه حسين ، فذكرت له ما دار بيني وبينك فى ذلك اليوم ، وكان رده أن الصياد ينبغى أن يسافر مع الرحلة كشاعرها الشاب .

أتذكر يا محمد ، عندما وصلنا الخرطوم وسعيت بك إلى أم درمان ، المدينة الوطنية فى السودان ، وسعيت بك أيضا إلى مدرستى تلك التى تعلمت فيها أنا التعليم الابتدائى ،

وزرت معك فصلاً متواضعاً كنا نجلس فيه على برش الحصير فى ذلك الوقت فى المرحلة التحضيرية قبل الابتدائية ، وكنا نلبس الجلباب ، وكنا نلبس العمامة السودانية الصغيرة وعليها أو من تحتها طاقية مزركشة هى كل ما فى اللباس من زينة . وكأن هذا القول ألهمك يا محمد أن تعد أبياتا من الشعر تتغنى بها بعد ذلك فى أكثر من مناسبة فى السودان .

ثم أتذكر بعد ذلك أننى سعيت بك إلى الطابق العلوى من مبنى المدرسة وفيه فصول عادية ، فيها مقاعد للطلاب ، فأبيت أنت يومها إلا أن تجلس فى أحد تلك المقاعد ، ليذكرك ذلك بما سار عليه أستاذك ، ولعله كما قلت يومها أن يكون فألا حسنا فتسير على نهجه فى دراسة الجغرافيا فى بعض ما يقبل من أيام .

أتذكر يا محمد حين التقينا فى مساء ذلك اليــوم فى نادى الخريجين بأم درمان ، وكان على رأس النادى إذ ذاك إسماعيل الأزهرى ، وألقيت أنت قصيدة فى الرباط بين مصر والسودان على طول نهر النيل ، وذكرت فيها أن هذه الصلة هى التى جاءت بنا إذ ذاك إلى السودان فتجاوبت أصداء القاعة بأن حاشى لله أن نقطع ما أمر الله به به أن يوصل .

أتذكر يا محمد بعد ذلك عندما جاء امتحانك الأخير وكان على أن أكون واحداً من الذين يصححون أوراقك : فأخذت ورقة من أوراق إجابتك ، وكانت نموذجاً فى الدقة ، بل وفى الأناقة ، أناقة فى الخط الجميل والأسلوب الجميل والإخراج الجميل لورقة الإجابة ، لأنك كنت تخرجها إخراجا ، ولإننى لا أزال أذكر خطين رأسيين على جانبى كل صفحة لونهما أخضر ، وكان ذوقك جميلا فى اختيار ذلك اللون ، وأذكر كتابتك المنمقة بالقلم الأزرق والمداد الأزرق الذى يروق عين القارئين .

أتذكر يا محمد ، أو لعلك لا تذكر لأنك لم تعلم بذلك الذى جرى ، ولكننى أذكر أننى أخذت ورقتك تلك وطفت بها على الأساتذة رغم ما تقضى به النظم الجامعية فى الامتحانات من عدم إذاعة ظاهر الأوراق ولا باطنها ، ولكننى طفت بورقتك تلك على الأساتذة ، وكان تعليق واحد منهم وهو أستاذ لك وأستاذ لى (محمد عوض محمد رحمه الله) قال: إن مثل هذه الورقة ينبغى أن يوضع فى إطار ويحفظ بين وثائق الكلية ، فرددت عليه يا محمد إذ ذاك أن الأمر ليس أمر وثيقة ، وإنما هو أمر معلقة من المعلقات .

أتذكر يا محمد بعد أن تخرجت وسعيت للدراسة للماجستير أنك أردت أن تجاملنى على نحو لا أستطيع أن أرده ، فإنك قلت إذ ذاك إنك من أبناء الغربية ولكننى أنا من أبناء البحيرة وأبيت أنت إذ ذاك إلا أن تختار محافظتى - مديريتى إذ ذاك - لتكون

موضوع رسالتك : لم أتردد وما كنت لأستطيع أن أتردد . قبلت ذلك العرض وسعيت ماوسعني الجهد أن أعاونك فى الدراسة. وكانت رسالتك نموذجية كما يمكن أن يقال ، كانت مثالا للبحث العلمى الميدانى ، ومثالا آخر لا أظن أن الطلاب جميعاً يعنون به ، ذلك أنك انتهزت الفرصة فى تجوالك فى محافظتى فتعرفت إلى الناس ، ووثقت الصلة بينك وبين أهلى من الفلاحين وكانت صلة أظن أنها استمرت معك حتى النهاية . وهذا نوع من الرباط الإنسانى الذى ينبغى أن يسعى إليه كل طالب بحث . ولكن أين هم أمثالك يا محمد ممن يسعون إلى الناس كما يسعون إلى العلم والمعرفة ؟

أتذكر يا محمد أنك عندما عدت من البعثة فى إنجلترا قلت لى إن أهم ماتستمسك به من ذكريات أنك تتلمذت بطريق مباشرة أو غير مباشرة على نفر من الأساتذة الذين تتلمذت أنا عليهم فى إنجلترا أيضا. وكان هذا رباطاً أضيف إلى ما هناك من رباط قوى سابق ، لازمنا سوياً طيلة حياتنا العاملة .

أتذكر يا محمد أنك عندما التحقت بالجامعة أستاذاً نصحتك أنا نصيحة لم تتبينها أنت إذا ذاك ، ولكنك تبينتها بعد ذلك قلت لك بالحرف الواحد : إن الفرنسيين يقولون إن الذى لا أعداء له لا أصدقاء له . العداوة والصداقة صنوان، بل أكاد أن أقول إنهما توأمان . كان لك أصدقاء كثيرون بين طلابك وبين نفر من أساتذتك ولكن العمل حين يبرز فيه صاحبه ، وحين يرقى إلى القمة وهو لا يزال صغيرا . . . هذا العمل يثير شيئاً من الغيرة إن لم يكن شيئاً من الحسد .

تلك طبيعة الناس ، بل تلك طبيعة الحياة . . . من هنا تألب عليك نفر فجيئنى تشكو إلىّ ، فذكرتك بذلك الحديث الذى دار بيننا ، ونصحتك أن تحنى رأسك للعاصفة . وقد كان ، وتركت الجامعة إلى حين .

أتذكر يا محمد أننى قلت لك إنك ستعود وإن الحق سيظهر ، وإننى أنا الذى سأتكفل بذلك ما استطعت إليه سبيلا . ذلك حقك علىّ يا محمد ، حق الطالب على الأستاذ ، وحق الصديق على الصديق ، وحق العالم على العالم ، وحق الأديب على كل من ناله حظ من الأدب . لقد كنت أنت يا محمد شاعراً منذ الصبى وكنت أنا ناظما لا أكثر ، ولكن نظمى ذلك ربطنى بك فجمع بيننا الأدب الذى يقال فيه أحيانا :

إن نفترق نسبا يؤلف بيننا
أدب أقمناه مقام الوالد

ودارت الأيام يا محمد ، واستطعت أن أضع يدى فى يد من أراد أن يعيد الحق إلى نصابه .

وكان إذ ذاك وزيراً من وزراء الثورة، وعدت أنت يا محمد إلى رحاب الجامعة . . .عدت إلى كلية البنات فى جامعة عين

شمس لأنك لم تشأ أن تعود إلى كلية الآداب ؟ وكان الحق معك ، فهناك استطعت أن ترسى أسساً جديدة ، وأن تقوم على رأس قسم الجغرافيا ، وبالتالى أصبحت رئيسا لنفسك ؟

أتذكر يا محمد أن الأيام دارت أيضا وعرضت الجامعة (جامعة القاهرة) الجامعة الأم ، أن تعود بك إليها ، ولكننى نصحتك أن تعود إلى معهد الدراسات الإفريقية والسودانية لاعتبارات كثيرة يا محمد فطنت أنت لها وإن كانت فطنتك جاءت متأخرة بعض الشىء عن فطنة أخيك وأستاذك وزميلك . . . عدت إلى معهد الدراسات والبحوث الإفريقية والذى كان يعرف من قبل بمعهد الدراسات السودانية ؟ وكان لاثنين من أساتذتك وزملائك . . . كانت لهما يد فى إنشاء ذلك المعهد ، فأول من أنشأه كان أستاذنا محمد عوض محمد . . .وكان ذلك فى عام سبعة وأربعين وتسعمائة وألف . . .يومها دعانى محمد عوض ، وكنت لا أزال فى جامعة الإسكندرية ، فدعانى لأن أضع يدى فى يده لنتكاتف من أجل إنشاء المعهد ، وفعلا قام المعهد ودارت الأيام بعد ذلك بأكثر من عقد ، حين طلبت إليك أن تعود إلى معهد الدراسات الإفريقية وكانت إجابتك بأن رفعت يدك إلى رأسك ، ورفضت أنا إذ ذاك يا محمد أن تقبل هذا على أنه تحية ، وإنما تقبلته على أنه استجابة كريمة منك للجامعة وعدت أنت إلى رحابها ، حيث كان ينبغى أن تكون ؟

أتذكر يا محمد أن الإخاء والتعاون بيننا لم يكن مقصوراً على الجامعة وإنما امتد إلى النشاط العلمى فى كل مكان . امتد بصفة خاصة إلى الجمعية الجغــرافية المصرية التى قبلت أنت أن تقوم على أمانتها العامة ، رغم ثقل العبء وضخامة المسئولية فى القيام على نشر الأعمال العلمية للجمعية . وقد كان معظم ما ننشره فى وقت من الأوقات باللغة الأجنبية ؛ ولكنك ما لبثت أن قلت لى إنه عيب على مثل جمعيتنا العريقة ألا يكون لها مجلة عربية ، فالمجلة الإفرنجية تطل على العالم الخارجى ، وشاهدة على التقدم العلمى فى مصر ، ولكن المجلة العربية ستكون مدرسة يدرس فيها أبناؤنا ويمارسون الكتابة باللغة العربية ، لغة للعلم . ولقد اضطلعت أنت بالمهمة وبلغت المجلة الجغرافية العربية مبلغها الذى جعل لها ذلك الاسم الفريد بين الجغرافيين العرب فى كل مكان .

أتذكر يا محمد عندما فكرنا فى سنة اثنتين وستين وتسعمائة وألف فى إنشاء الاتحاد الجغرافى بعد أن شاركناها فى إنشاء الاتحاد الجغرافى الآسيوى الإفريقى قبل ذلك بستة أعوام حين سعينا إذ ذاك إلى جامعة عليكره بالهند بعض إخواننا العرب الذين حضروا ذلك الاجتماع فى الهند فتداولنا فى أن نرتب أمورنا بحيث ننشئ اتحاداً جغرافياً عربياً أو اتحاداً للجغرافيين العرب على نسق الاتحاد الجغرافى الدولى ؟ وكان أن استطعنا أن ننشئ ذلك

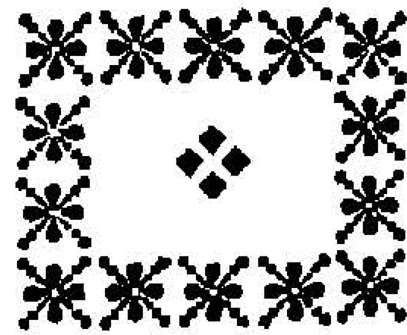
الاتحاد العربى وطلبت منك إذ ذاك وألححت فى أن تكون أنت الأمين العام له . . . وفعلا كان .

أتذكر يا محمد أننا ذهبنا سوياً إلى العراق لحضور الاجتماع الثانى للاتحاد الجغرافى العربى ببغداد، بعد عشر سنين من قيام الاتحاد ، وقمت أنت على إعداد موضوع المؤتمر وتنسيق بحوثه ، حتى اجتمعنا فى بغداد وقمت أنا فى آخر المؤتمر لأشكر لكل من ساهم فى إعداد المؤتمر ، ولكننى أغفلت سمك يا محمد وكأن ذلك قد أصاب نفسك بشىء من الغضاضة فسألتنى أو بعبارة أصح سألتنى زوجك الكريمة ، فكان ردى أننى تعمدت ذلك لأننى لم أشأ أن أنال من سمو الرسالة التى يعمل لها الصياد بأن أشكره على مثل هذا العمل الذى لم يكن إلا ممارسة طبيعية لما جبل عليه محمد ... وعندما علمت أنت بردى هذا ابتسمت ابتسامة عريضة لا أزال أراها حتى الآن . وهكذا لم أكن مخطئاً فى فراستى فيك يا محمد فى يوم من الأيام .

هناك شىء يا محمد أريد أن أتحدث فيه الآن ، ولكننى أخشى أن تسمعه فى غيبتك الحاضرة . وسيحز فى نفسى بعض ما كان فى أيامك أو سنواتك الأخيرة. فمنذ ثلاثة أعوام كنت أنا أول من علم بمرضك الخطير ، وتحاملت على نفسى ، وكذبت عليك كذباً كنت أعلل نفسى وأتعزى دائما بأنه لم يكن أكثر من كذب أبيض ، فتجرعته النفس الصابرة حتى الثمالة . قلت لك إن الأمر بسيط وإن الغمة ستنجاب وإن الله سبحانه أكبر من أن يصيبك بما لا تطيق . وسعيت معك متمسكا بأهداب الأمل ... سعيت فى كل مكان من أجل سفرك إلى الخارج مرة ثم مرة ، ولكن قضاء الله لا يمكن رده لأنه لا يرد .

إننى يا محمد حين أتحدث إليك هذا الحديث العلنى الأخير ، سأستمر فى مناجاتك دائما يا محمد . والآن وقد سعيت أنت قبلنا للقاء وجه الله فاطلب إلى ربك أن يلحقنا بك فى زمرة الصالحين . وسلام عليك يا محمد يوم ولدت ويوم قبضت ويوم تبعث حيا إن شاء الله .

الدكتور سليمان حزين
عضو المجمع



كلمة الشعر

ومتى كان للورى ما أرادوا ؟

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

[دمعة على الزميل المجمعى ، والعالم الجغرافى ، والشاعر الأديب الدكتور محمد محمود الصياد عضو مجمع اللغة العربية ، الذى طحنته علة شرسة قاسية ، تحملها بصبر المؤمن ، ولكنه فى النهاية ألقى السلاح ...] .

نَحنُ زَرْعُ الدنْيا ونَحْنُ الحصادُ ... لم يدُمْ زارعٌ ، ولَا حصَّادْ ...
جزِعتْ يا أخِى علَيْكَ نُفُوسٌ ... وبكَتْكَ الْعُيُـونُ والأكبادُ
وانطوى مِن صُفوفنـا مجمعىٌّ ... كانَ (للضَّاد) منه ذُخرٌ وزادُ
وتولَّى أَخٌ لنـا ... وتولَّتْ ... معهُ عُدَّةٌ لنـا وعتـاد ...
هل غريبٌ إذا رثَتْه القوافى ؟ ... هلْ عجيبٌ إذابكَتْهُ (الضاد)؟
آهِ للمـوت! ليس ينفعُ فيه ... حـذَرٌ منهُ ، أو يقِى استعداد
كل جُرحٍ له ضِمادٌ ... ولكنْ ... ما لجُرْحِ الْمنونِ فينا ضِمَاد ...

* * *

أيهـا الرَّاحلُ المؤرق جَفنى ... بَعـدَ منآكَ هَل يطيب الرقاد؟
عَبراتى على رحيـلك كُثْرٌ ... حَسَراتى عَلَى نوَاكَ شِـداد
ذَهَبَ الأَمسُ بالذى كان فيه ... مِن بيـاضِ الْمُنَى وحلَّ السواد

* * *

وهَنَ الْعَظْمُ يَوْمَ زُرْتُكَ .. لكنْ   لم تَهِنْ مِنْ يَقِينِكَ الأَجْلادُ
ضعضع الدَّاءُ مَنكِبَيْكَ ... ولكنْ   لم يُضعضِعِ إيمانَكَ الإجهاد
وَعَلَى وَجْهِكَ ابتسامةُ راضٍ   لم تُسَوِّدْ حياتَهُ الأحقاد
مؤمِنًا بالذى تَذُوقُ البرايا   مُذعِنًا للذى يُقاسى العباد
راقدًا فى انتظارِ داعى المنايا   وَلَدَيْكَ الزوَّارُ وَالعُوَّاد
ضاقَ عن صَبرِكَ السَّريرُ مجالًا   وتَراخَى عن جانِبَيْكَ الوساد

* * *

قلْ لمن جاءَ سائلا عن زميلٍ   خَمَدَ اليَوْمَ فكرُهُ الوقّاد
طائرُ « المجمع » السَّعيدُ تهاوَى   وارتَمَى فى شِباكِنا (الصَّيَّاد)

* * *

أيها الرَّاحلُ العزيزُ ! لماذَا   طال بينى وبينك الميعاد ؟
آخِرُ العَهْدِ مِنْ لقائِكَ أَنَّا   اتَّعدْنا فلمْ يتمَّ اتِّعاد
لم يكُنْ يا أخى لنا ما أَرَدْنا   ومَتى كانَ للورى ما أرادوا ؟
صُورٌ نحنُ فى الحياةِ ونمضى   وكأنَّا نَقُودُ بَيْنَنا نُقادُ ..
وشُخوصٌ تَبْدُو وتَخْفَى سَرِيعًا   وليالى عُرْسٍ يَلِيها الحِدَادُ ..
وَمَماتٌ يَحُلُّ فينا ويَمْضِى   بالذى زَفَّهُ لنا الميلاد ..
هِىَ أنفاسُنا تَرَدَّدُ فينا   فإذا آذَنَتْ فلا تَرْدَاد ..

* * *

أيها الشَّاعرُ المُوَدِّعُ ! قُلْ لِى   أينَ راحَ الاباءُ والأجدادُ ؟
أينَ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا مِن أُناس   وطَّدوا مُلكهم وشادوا وسادوا ؟
طَحَنَتْهُم رَحَى المَنونِ فأضحَوْا   رَاحَ منهم طريفُهُمْ والتّلاد

(مَدْينٌ) قدْ مَضَتْ لغير مَعادٍ و (ثمودُ) ولَّتْ ؛ وبادَت (عادُ)
عَصَفَتْ بالرِّجال والشِّعْر ريحٌ لمْ يَدُمْ (عَنتر) وَلا (شدَّادُ)!!

* * *

فَلَكٌ دائِرٌ يُحَـرِّكُهُ اللهُ فَـلَمْ تَخْتَلِفْ بِهِ الأَبْعَـادُ
ليس فيه نَقْصٌ على دَأْبِ السَّيْرِ ، وما فيهِ بالْمَـدَارِ ازدياد
كلُّ شيءٍ مُوقَّتٌ فيه ... حتى (الْكَوْنُ) فيه مُقَدَّرٌ و (الفساد) .
آهِ يارب قد قَضَيْتَ على النَّاسِ بآلامِهِمْ فَضَـاعِ الرَّشَادُ
وَقَسَمْتَ الأَوجَـاع قِسْمةَ رحْماَنٍ ، فينا لمـا يشاءُ انقيـادُ
فلمـاذَا يارب تنهَشُ فينا عِلَلٌ ما لَهَا بنـا تَعْـدادُ ؟
فجراثيمُ كُلهنَّ ضِـراءٌ .. وأبابيلُ كلهنَّ عِنـاد ..
وأباطيـلُ ما لهُنَّ زوالٌ وأحـابيلُ ما لهُنَّ نَفَـادُ
وأخيرًا نحنُ الضَّحايا بحرْبٍ كلهـا فى الحقيقة استشهاد
ربِّ عفوًا إن خانني أدبُ القولِ فقد كاد أن يضلَّ الفؤاد ..

* * *

يا صـديقى ! أَضْنَاكَ داءٌ دوىٌّ حـارَ فيه الْحُـذَّاقُ والروَّاد
فيه للجسمِ والْخَـلايَا افتراسٌ وبه للخـلائِقِ اسـتبداد ..
لمْ تَزَلْ تشتكِى البرِيَّةُ منْهُ وتضج الأَرواحُ والأَجسـاد
احتملْتَ الآلامَ فيه بصـبرٍ لا يُدانىَ ، وعزمة لا تُرادُ ..
فَعَلَيْـكَ السَّـلامُ مِنَّا إلى أنْ يَتَـلاقى الرفَاقُ وَالأَنـدادُ ..
فى جنَـان قُطُوفُهـا دانياتٌ حانيـاتٌ وغُصْنها مَـيَّادُ ..
كلنا صائرٌ لمـا صِرْتَ ... لكنْ لمْ يَحِنْ حينُنَا ،وأنتَ المرادُ ..

* * *

نَحنُ فى حَلْبة السباق إلى المو ـتِ جيـادٌ تكبو ، وتـأْتى جيادُ
كلُّ حىٍّ لَهُ عليهـا مَنَـارٌ لا يُثَنَّى ، وَمَشْـهَدٌ لا يُعـادُ
جَذْوَةٌ للحيـاةِ ....لم يَبْقَ منها بعـد ذاك البريق إلّا رماد ...

* * *

أَيُّهـا الدَّارسُ البلادِ بعِـلْمٍ تَتَنَـاهَى فى قَبْضَتَيْهِ البلادُ !
فالفيـافى ممـدودةٌ لكَ ظِلاًّ والرَّوَاسِى مبسوطةٌ والوِهَـاد
والمحيطـاتُ كلُّهَـا لَكَ دَانَت لم يَغِبْ عن حِجَاكَ منها مُراد
وتقـاسيمُ أَرضِـنا لك ذلَّتْ فَهْىَ سَهْلٌ موطَّـأٌ ، ومهـاد
إن تَدَمْشَقْت فالغرامُ (دمشقٌ) أو تبَغْدَدْت فالهوَى (بغداد)!!

* * *

عجبًا ! قد طواكَ شبرٌ من الأَر ض ، وضمتك تحتها الأَصلادُ
فانطوى عالمٌ من العلم والْفَضْـ ـلِ ، وولَّت كياسة وسداد ..

* * *

يا أَخى ! لمْ تَمُتْ وذِكْرُكَ باقٍ ما تَوَالَتْ من بَعـدِكَ الآماد
نحن — والله — ذاكروك وإن بِنْ تَ ، وطَـالَتْ ما بيننا الآباد
كيف يُنسَى ماضٍ جميلٌ وتُلْقَى دُونَ ذكراكَ هذه الأَسداد ؟
شَرَفُ الذِّكْر أَنَّهُ سوفَ يَبْقَى بَعْـدَ أَصحابه وإن هُمْ بادوا
لم يَمُتْ مَن لَهُ على العلم فضلٌ وأَيادٍ مذكورةٌ ، وجهـادُ
كيف يَخفَى فَضلٌ ، ويُطْمَسُ نُبْلٌ ويُوارَى بَذْلٌ ، ويُطْوى امتدا ؟؟

* * *

الأستاذ محمد عبد الغنى حسن
عضو المجمع

كلمة الأسرة

للدكتور ناجى الصياد نجل الفقيد

سيدى الأستاذ الدكتور رئيس المجمع ، السادة الأعضاء الأجلاء ، سيداتى ، سادتى

أود لو أسعفنى البيان لأعبر لكم عن امتنان أسرة الفقيد لشعوركم الرقيق الذى دعاكم لإقامة هذا الحفل ، وإنى لأحسب أن كل ما يستطيع المرء أن يترك من ورائه هو ذكرى طيبة تعطر الأنفس بأثرها . لقد وفيتم الفقيد حقه فلم يبق لى إلا النزر اليسير ، ذلك هو تقديرنا العميق لمواساتكم الكريمة لنا .

وماذا أقول عن والدى الراحل ؟ وأنتم أعلم به منى ، وأدرى بأقداره العلمية والأدبية التى أهلته ليكون واحداً منكم وزميلا لكم فى مجمع الخالدين ، وهى منزلة سامية لم يبلغها أحد منكم على طريق سهل هين ، ولكن وصلتم إليها وأحرزتم شرفها بالجهد والتعب والسهر والدراسة والبحث حتى كانت تتويجاً لجهودكم فى ميادين العلم والمعرفة وخدمة اللغة العربية .

سادتى لا أحسب أن فقيدكم وفقيدنا قد لقى وجه ربه الكريم إلا وهو راضى الضمير عن نفسه ، وحائز لرضاكم فى الميدان الذى اخترتموه من أجله ، وأظنكم لا تضنون عليه بالشهادة أنه أدى أمانة المجمع ، وخدمة رسالته فى ميدان الجغرافية ولغة الجغرافية وأدب الجغرافية .

أخلص الشكر للأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع ، فلن ننسى وقع كلماته فى نفوسنا كما أقدم جزيل شكرى لتفضل الأستاذ الدكتور سليمان حزين بتأبين الفقيد معبراً عن وفائه النادر له . كذلك أعبر عن عرفانى وتقديرى للأستاذ الشاعر محمد عبد الغنى حسن الذى كان لشعره فى رثاء الفقيد أبلغ الأثر فى نفوسنا وجعلنا نشعر بأن المصاب ليس مصابنا وحدنا والله أسأل أن يوفقكم فى خدمة العلم والوطن .

والسلام عليكم ورحمة الله

كلمة الختام

للدكتور رئيس المجمع

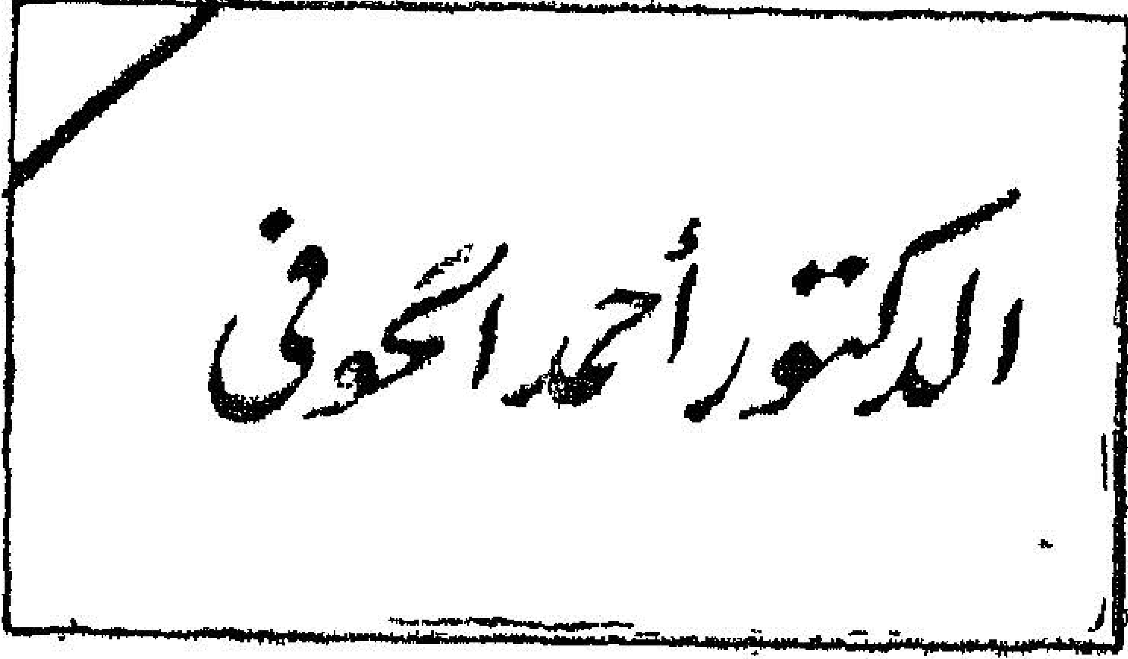
سيداتى سادتى

عوضنا الله خيراً ، وعوض أسرة الفقيد وأسرة المجمع خيرا فى فقيدنا العزيز ، وشكراً لمن أسهم معنا فى هذه الجلسة ، وشكراً لمن تفضلوا بالكلمات التى ألقوها وفاء للراحل الكريم

فى الســاعة الحادية عشرة من صباح الأربعــاء ٧ من رجب سنة ١٤٠٣ هـ ، الموافق ٢٠ من ابريل سنة ١٩٨٣ م ، اقام المجمع حفل تأبين لفقيده المرحوم الدكتور أحمد محمد الحوفى عضو المجمع ، وها هى الكلمات التى ألقيت فى الحفل :

١ ـ كلمــة الافتتاح

●● للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع



فى تأبين المغفور له :

سيداتى سادانى :

نودع اليوم زميلا كريما ، ومؤمنا مخلصا وصديقا صدوقا ، هو المرحوم أحمد محمد الحوفى .

لقد كان رحمه الله مثالا للتخلق بأخلاق القرآن ، يجل الكبير ويعطف على الصغير ، يأخذ بيد الضعيف ويساعد المحتاج ملئ قلبه بالحب والمودة فلا يعرف الخلاف والشقاق ولا الشحناء والبغضاء ، وكانت نفسه تطيب دائما لدعوة الفهم والتفاهم والسلام والمسالمة ، وكأنما كان يرى أن من واجبه أن يحمل دائما راية السلام ، وما إن يحس بفرقة أو خلاف فى الرأى ، أو حدة غضب فى المناقشة ، حتى يبذل ما يبذل من تلطيف وتسكين وموادعة ، فكان مسلما ومسالما حقا . أما أحمد الحوفى المجمعى فكان جم العطاء ، أعطى مجمعنا قبل أن نحظى بزمالته ، وله فى مجلتنا بحوث قيمة سابقة على عضويته ويوم أن انضم إلى زمرة الخالدين نما عطاؤه وتنوع ، فتابع مدده للمجلة وغذاها بغذاء يليق به .

واشترك فى كثير من لجان المجمع وأثبت أنه معطاء دائما لايتخلف عن لجنة إلا لضرورة ولا يفوته أن يسهم فى ما يجرى فيها من بحث ودرس وأخذ ورد .

وهكذا كان شأنه فى مجلس المجمع يحرص الحرص كله على شهود جلساته ويتابع فى عناية مناقشاته ، وبنظرته الخاطفة يفتح القاموس أو اللسان وتقدم ما يحل العقدة ويقضى على الخلاف . كان أديبا ولغويا يؤمن بأن اللغة تسير وأن الأدب يتجدد وله فى الجديد الأخاذ مبتكرات ومستحدثات .

ولا أظنه تخلف عن مؤتمر من مؤتمراتنا العشر التى صاحبها ؛ اللهم إلا المؤتمر الأخير الذى قعد به مرضه عن متابعته .

وكم وددنا أن يمتد عطاؤه ولكن لا راد لقضاء الله . جزاه الله عنا جميعا خير الجزاء ،

رثـاء الفقيد

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

بسم الله الرحمن الرحيم : (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الموتِ ، وإنَّما تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ . فَمن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وأُدْخِـلَ الجنَّةَ فَقَدْ فَازَ . وما الحياةُ الدُّنْيَا إلا مَتَاعُ الغُرُورِ). صـدق الله العظيم .

سادتى ، وزملائى :

شاء الله العزيز العليم أن تكون مرثيتى الشعرية لأخى وصديقى وزميلى : الدكتور أحمد الحوفى امتدادا واستمرارا لمرثيتى الشعرية لزميلنا ونائب رئيس مجمعنا : الدكتور أحمد عمار نظمتها من البحر ذاته ، ومن القافية نفسها على غير خلاف : إلا ما كان من خلاف بين صورتى الرجلين الكريمين. فالخطب واحد، والأحزان ممتدة ، والمرثيان كأنهما قصيدة واحدة .

ولقد شهد هذا المنبر الذى تنطلق من فوق أعواده أصوات أفراحنا وأحزاننا ، وترن من فوقه أصداء التقائنا وفراقنا، شهد فى مثل هذا اليوم من الأسبوع الماضى وردد أصداء مرثيتى للدكتور أحمد عمار ، وسيردد اليوم — وعما قليل — أصداء مرثيتى للدكتور أحمد الحوفى .

وقد كنت على نية أن أنظم القصيدتين ، وأبنى المرثيتين على بحرين متغايرين ، وقافيتين مختلفتين ، كما تقضى أصول الرثاء ومواصفاته فى الشعر العربى ، استقلالا لكل من الزميلين العزيزين بشخصيته ومرثيته ... ولكنى كأنى كنت نائما فصحوت ، وغافلا فتنبهت ... وقلت لنفسى : إذا كان القدر الذى لا قدرة لنا على فهمه . ولا حيلة لنا فى دفعه ، قد نظم وفاة الراحلين وخاتمة الحياتين فى سلك واحد وجمع الفجيعتين فى موعد يكاد يقع على توافق وتطابق مع فرق فترة من ليل أو ساعة من نهار فكيف يجوز لى أن أفرق بين الدمعتين وزنا وقافية ؟ . وكيف يصح لى أن أخالف عن المعنى الإلهى الحكيم فى هذه الواقعة، التى جمعت بين زميلين فى زمن الوفاة . ولحظة الوداع عقب أن إجتمعنا — فى مؤتمر مجمعنا السنوى أسبوعين كاملين شهدها معنا فيها الدكتور أحمد عمار بشخصه وحضوره واشترك معنا فيهما الدكتور أحمد الحوفى بفكره وتصوره وشعوره ، لأننى كنت أمر عليه خلال أيام المؤتمر ، أروى له بعض وقائعه ، حتى لا يكون عنا بمعزل ، وإن لم يكن عن غرض الحتوف بمعزل .

وما كنت أدرى أن القدر يخبأ للزميلين قدرا ويعد لهما عن هذه الدنيا الدنية سفرا .

واليوم – وقد شاء الله أن يجمع بين (الأحمدين) فى توقيت الغاية ، وزمن النهاية فقد شاء لى قدرى الحزين أن أجمع بينهما فى وحدة المرثية ، ووحدة القافية واتحاد النغم وامتزاج الألم ، طردا للباب على وتيرة واحدة ...وما زلت أذكر – والذكرى تحز فى نفسى ، وتعرقنى عرق المدى .. يوم أن استقبلنى (الحوفى) على منبر المجمع منذ خمس سنوات ، زميلا لكم مع الخالدين وأناب عنه فى إلقاء كلمة الاستقبال زميلنا الأستاذ «محمد شوقى أمين» بورك له فى عمره لغيابه عن مصر يومئذ .

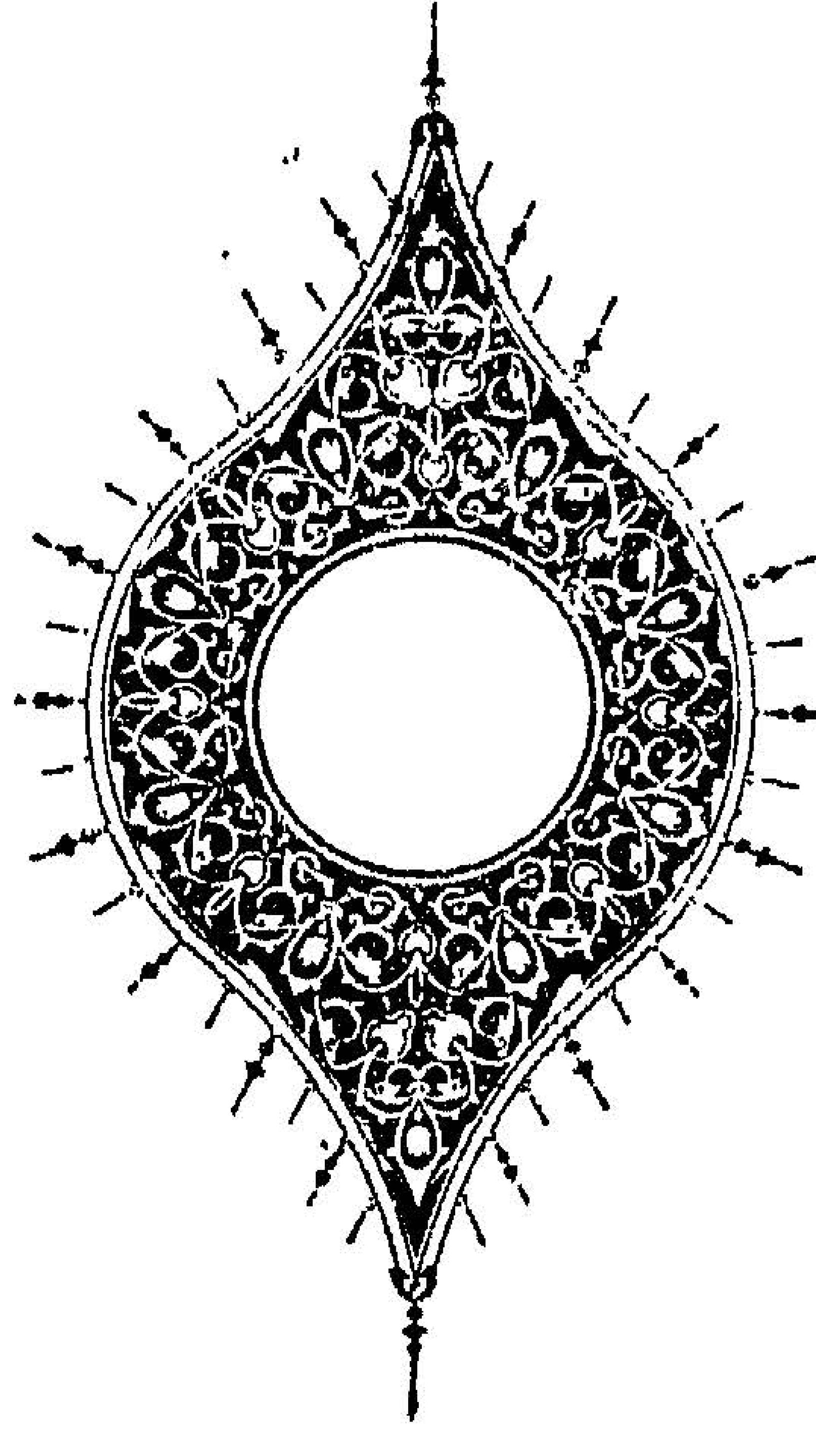
وهأنذا اليوم – قياما بواجب الوفاء – ودع الدكتور الحوفى من هنا ، كما استقبلنى هنا . . : وأقـول له اليوم : وداعا . كما قال لى منذ خمس سنوات : أهلا ومرحبا.

وهكذا الدنيا – ولا أزيدكم بها علما أيها الأعزاء – فراق ولقاء ، وأخذ وعطاء ودين واقتضاء....وإليكم الآن – وبعد هذا المدخل بقية القطرات فى دمعة واحدة ساخنة ، سكبت أولاها ابتداء على الدكتور أحمد عمار ، وذرفت بقيتها انتهاء على الدكتور أحمد الحوفى ولعل القدر الرحيم يسالمكم ويسالمنى ، فيجعلها آخر الدمعات ونهاية الزفرات ... ولكنى أحس الدنيا تضحك منى وتقول : هيهات : هيهات !!

أطال الله أعماركم :

وأحاط باللطف الخفى أقداركم .

والآن إلى المرثية الشعرية .



دمعة على الزميل الصديق

الدكتور أحمد الحوفى

قلْ لِمن بات واثقًا بالليالى : لا تثق فى سرابها الخـداع
إن تضق بالحياةِ يومًا خطانا فخطى الموت لمْ تزل فى اتساع
قد نفضْنا من « الطَّبيب » يدينا حين همَّ « الطَّبيب » بالإسراع
وانْتبهْنا على مُصاب جديد وأفقْنا على جوى والتياع
وغدوْنا على فـؤاد معْنى بالمآسى : وخاطِر مرتاع
فإذا (أحْمدُ) الأَديبُ يثْنى بسمى له رقيق الطباع
وإذا (المجمع) المُوطد أمسى فى قِتالٍ مع الرَّدى وصِراع
كل يومٍ لنا دعائم رُكن متهاو ، وحائِط مُتداعى
ما الذِى قد دهى الجماعة حتى مُنيت كلُّ ساعة بانْصِداع ؟
حِكْمةٌ للقضاءِ يعْلمُها الله إذا ما دعا إلى الموت داع ؟
نحن فى موْكِب الْمَنايا صفوف نتلقَّى مصيرُنا فى انصِياع
فإذا اللَّحْظة الرهِيبة حلَّتْ عاد أمْر الحياة غير مُطاع
منْ تفته المنون فى بسْطة السهل ستأْتِيه مشرفًا باليفاع
إيه يا نفْس لا تراعى إذا فرَّق الموتُ شمْلنا لا تراعى
فيم تخْشى ، وفى الرواية فصْلٌ سوف يأْتى ، وللمنون دواعى
أجلٌ نحنُ مدركوه وإن طا ل مطـال الجنى على الزراع
تتمادى الأَطْماعُ فينا على العيشِ وفى الموتِ مُنْتهى الأَطْمـاع
يا فقِيد النُّهى ويا دائِب الدَّرْ س وجم الشُّعاعِ والإِشْعاع
لك فى البحثِ منْهجٌ لمْ يُهيا لِأَدِيب ، ولمْ يتِح لصُنَّاع
رب معنى مُقنَّعٍ بتَّ تجلو فصيَّرته بغير قِناع

يا مُجيد التّأليف فى كل فن — ومُديم البُقيا على الاطلاع !

ومُذيبا عينيك فى خدمة «الضا — د» ونهض بأمرها واضطلاع

ما عهدناك فى بُحوثك إلّا — مُستطِيل المدى ، طَويلَ الباع

كم كتاب أصْدرْتهُ فصدرْنا — منهُ عن موْرد وعن إمْتاع

تَشْبعُ النّفْسُ فى رُكَاكه حين — هو فى حاجة إلى الإشْباع . .

أَوَلَمْ تَسْتَطِع على شِعْر (شَوْقى) — كل ما كان ليس بالمستطاع ؟

أنْتَ تَمَّمْتهُ بحُلْو اتباع — ثم زيّنتهُ بحُسْن ابْتِداع

يا صديقِى الّذِى التقانى بالأمس — زَميلًا ، فكان أكْرم ساعى

كنتَ مُسْتَقْبلى على الأمس حِينَ — امتدَّ فى الخَالِدِينَ مد ذِراعى

لَسْتُ أنْسى الْيدَ الّتى طَوّقَتْنِى — بصَنيعٍ لمْ يمتحن بالضياع

أَنْتَ رشَّحْتَنِى و (مهْدِىٌّ)[1] زَكّى — فزَكَت مِنْكُما الْخُطَى والْمساعى

أَنَا لَوْلَاكُمَا لَكُنْتُ بَعِيدًا — عَنْ بقاعٍ أَكْرِمْ بها مِن بِقَاع

هِىَ دَارٌ لِلْخَالِدِينَ وَمَثْوَى — لِرَجَالِ الإنتَاجِ وَالإِبْدَاع

فإلى مَوجِهَا تَلَاطم مَوْجى — وعَلى لُجّهاتَنَا هَى اطّلَاعى ..

لمْ أشَيِّعْكَ يا صَدِيقى وإنْ كُنْـ — ـتَ تكَبَّدْتَ لَوْعَة الْملْتَاع

كُنْت فى «الثغر» نَائِيًا عن رُبُوعِـ — ـى وَعَلى (الرَّمْلِ) نازحًا عن رُبَاعِى

مُستَجمًّا... أحط فى البَحْر رحلى — وأُوَارى بشَطّه أَوْجَاعِى

وَأَقل الْوَفَاءُ نَحْوك أَنى — كُنتُ أَلقَاكَ سَاعَة الإقلَاع

يا صَدِيقى إنَّ الأَمَانَة تَقْضى — أَنْ نَرُد الصَّنِيع للصنَّاع

يَدُكَ اسْتَقْبَلَت يَدِى مُنذُ خمس — فَتَقَبَّلْ مِنّى يَدًا لِلْوَدَاع

قد طَوَى الْكَوْكَبَيْن فى الأَرْضِ طَاو — وَنعى (الأَحْمَدَيْن) للكَوْن نَاع

وَعَلَى الْمَوعِد الْمُقَدَّر رَاحا — فى لقَاءٍ موقت واجتماع

فَلَنَا الصبر فى الطَّبيب المولّى — وَلَنَا الأَجْرُ فى الأَديبُ الْمُمْتاع

محمد عبد الغنى حسن
عضو المجمع

(1) هو الزميل الأستاذ الدكتور / محمد مهدى علام — الأمين المام .

٣ – كلمة الدكتور شوقي ضيف

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الرئيس ، الزملاء الأجلاء ،

سيداتى سادتى .

كل حى إلى فناء وكل إنسان محمول يوما على آلة حدباء، يهلك الوالد والولد وتتعاقب الأرزاء ، وكان رزء المجمع فادحا حين فقد فى يومين متتاليين العلمين الأحمدين ، عمارا والحوفى ، وكأنما تواعدا على الوداع مودعين الدار الفانية إلى الدار الباقية . وجزعت الأسرة المجمعية لرحيلهما على غير انتظار ، واستسلمت لمشيئة الله . وهل يملك الناس إزاء الموت وسهامه المصوبة التى لا تخطىء إلا أن يستسلموا للقضاء ، وهو استسلام يأتسى فيه كل إنسان بمن سبقه .

وما الحياة إلا آجال قدرت مهما طالت الأعمار ، وما الناس فيها إلا كقافلة تتهيأ للرحيل وكل متأهب ينتظر دوره وميقاته ، ولكل موعده لا يتأخر عنه ولا يتقدم فى ساعة محدودة ، بل فى لحظة مؤقتة ، لا مفر منها ولا معدى بى عنها ، سنة الله فى خلقه ، إذ كتب عليهم الموت بعد الحياة ، يذوقونه راحلا فى إثر راحل ولا مطمع لأحد فى بقاء أو دوام ، فالكل راحلون ، والكل فانون : ومع أن أسرتنا المجمعية تؤمن بذلك أرسخ الإيمان التاعت أفئدتها أحر التياع حين لم تستطع تشييع الدكتور عمار إلى مثواه الأخير ومع أننا شيعنا الدكتور الحوفى لا نزال نستشعر عليه برحاء الحزن لما أصاب المجمع فى فقده من خسارة لغوية كبيرة وكان قد احتجب عنا أشهر مرض طال به وزرته ، وهو يحتمل وصبه ونصبه صابرا وتحدث معى وانتهى به الحديث إلى ذكر مؤلفاته التى لم تطبع ولا تزال فى طى الأدراج ، وكان بيده منها مخطوط أطلعنى عليه وسألنى أن أحمله عنه إلى دار المعارف،وحملته إليها وهو فى المطبعة الآن فحتى الأنفاس الأخيرة من حياته كان لا يزال مشغولا بالتأليف والتصنيف وعرض جهده العلمى فيه على الباحثين والدارسين .

والدكتور الحوفى من مواليد سنة ١٩١٠ بقرية ريفية قريبة من دمنهور ، اختلف فيها منذ نعومة أظفاره إلى كتاب حفظ فيه القرآن الكريم ، وتحول منه إلى مدرسة بدمنهور ، حتى إذا أنهى تعلمه بها تطلعت نفسه إلى الالتحاق بدار العلوم ، وانتظم فى مدرستها التجهيزية التى كانت تعد

الطلاب لها إعداد حسنا ، وكان دائما فى السابقين المتفوقين من صفه أو فرقته ، ودخل دار العلوم وظل فيها متفوقا سابقا بين أترابه ورفاقه ، وتخرج فيها سنة ١٩٣٦ ، وكان السابق المجلى بين أقرانه وطمحت نفسه إلى بعثة إلى إنجلترا مثل كثيرين ممن نالوا قصب السبق فى التخرج بالسنوات الماضية ، ولكن الظروف لم تحقق له أمنيته، فرفض أن يكون مدرسا فى وزارة التربية والتعليم ، وكأنما كان ذلك ملهبا لطموحه، وإذا هو يعاهد نفسه أن يعب وينهل — ما استطاع — من العربية ، وأكب على كنوزها يتزود منها طوال عمله بمدارس الوزارة . وفى أثناء ذلك تعارفنا فى تصحيح مادة اللغة العربية لطلاب السنة النهائية بالتعليم الثانوى ، وكان قسم اللغة العربية بآداب جامعة القاهرة يشترك مع وزارة المعارف (التربية والتعليم الآن) فى الإشراف على هذا الامتحان ، ولفتنى إليه أن وجدت زملاءه من المدرسين يرجعون إليه فى مسائل اللغة والأدب يستفتونه فيما يختلفون فيه ، وما أن يدلى برأى له فى هذه المسألة أو تلك حتى يذعنوا لما يقول ، فعنده دائما الفتوى اللغوية السديدة .

وضمت دار العلوم إلى جامعة القاهرة فرأت أن تختار بعض خريجيها الممتازين علميا حتى يشاركوا مشاركة خصبة فى دورتها الجامعية الجديدة ويعظم فيها حصادها وإنتاجها العلمى ، واختارت الدار الفقيد مدرسا مساعدا بها سنة ١٩٤٨ ووجدت فيه ما خالته عنده من الدأب العلمى والعكوف على الدرس والبحث فأهدته سريعا درجة الماجستير الممتازة وبعد عامين أهدته درجة الدكتوراه الممتازة ، وأخذ يتدرج فى وظائف التدريس بالدار حتى أصبح رئيسا لقسم الدراسات الأدبية بها ، حتى إذا بلغ الستين من عمره عين أستاذا غير متفرغ إلى أن اختاره الله إلى جواره :

وكان الدكتور الحوفى طوال محاضراته بكلية دار العلوم قريبا من نفوس طلابه لا يجدون فيه الأستاذ المحاضر فحسب بل يجدون فيه أيضا الأب الشفيق الحانى والموجه المسدد لخطاهم . وكان أهم ما يعنيه أن يغرس فى نفوس طلابه محبة العربية ومثل الإسلام الرفيعة . وكان الطلاب يشغفون بمحاضراته لما يعرض فيها من نظرات نقدية مصيبة ، ولحسن أدائه وبيانه . وأجيال كثيرة تخرجت على يديه ومضت تعلم العربية فى المدارس بمصر وبلدان العالم العربى . وكثيرون — يعدون بالعشرات مصريين وعربا — ظفروا بإشرافه على رسائلهم الجامعية للحصول على درجتى الماجستير والدكتوراه ، وكان لا يضن عليهم بإرشاد وتوجيه كما كان

لا يضن عليهم بتشجيع ، بل كان يغـدقه عليهم — إذا استحقوه — إغداقا .

وقد اشتركت معه فى غير مناقشة بآداب جامعة القاهـرة ، ولاحظت فى مناقشاته رفقه بالطـلاب وهو يحاورهم فى جـوانب من رسائلهم ، حتى ليفتح لهم الأبـواب كى يتبينوا الإجـابة الصحيحة ، وكان يبلغ أحيانا من الرفق بهم ما يجعلنى أشعر كأنه يريد أن يمـد إليهم يده ليأخـذ بأيديهم وخاصة حين يحتدم الحوار . ولم يقف الدكتور الحـوفى بهـذا النشاط العلمى المتصل عند جامعاتنا المصرية ، فقد مـده إلى جامعتى الرياض وبغـداد معارا وإلى جامعات طرابلس وأم درمان والمـلك عبد العزيز بالسعودية زائرا،وبذلك عم علمه وفضله غير جامعة عربية. ولا يقل جهد الدكتور الحوفى الخصب فى التأليف عن جهده فى المحاضرات الجامعية بل لعله أغـزر وأوفر ، فقد كان فيه دائما طامحـا غير قانع ولا مكتف ، فكان إذا ألف كتابا لم يكتف به ولم يقتنـع ، بل طمع أن يؤلف كتابا خـيرا منه وطمع أن يكون الكتاب الجـديد أكثر فائدة وإمتاعا ، وظـل على ذلك دائما طامعا طامحـا لا يكفيه كتاب ولا يقنعه ، مما جعل مؤلفاته تتكاثر حتى تبلـغ ما يقرب الثلاثين عدا . وقد نوعها تنوعا واسعا ، ويمكن أن نوزعهـا على خمس دوائر كبيرة : الدائرة الأولى دائرة الأدب العربى القـديم ، وله فيهـا ثمانية مؤلفات . منها أربعة تتناول الشعر الجاهلى ، هى الحيـاة العربية من الشعر الجاهلى ، المرأة فى الشعر الجاهلى ، الغزل فى العصر الجاهـلى ، أغانى الطبيعة فى الشعر الجاهلى . ووراء هذه الأربعة أربعة أخرى،منها مؤلف عام عن تيارات ثقافية بين العرب والفرس منذ الجاهـلية إلى زمن العباسيين ، وثلاث تتصل بالأدب الإسلامى ، هى : بلاغة الإمام على — أدب السياسة فى العصر الأموى — الخطابة السياسية فى العصر الأموى .

والدائرة الثانية فى مؤلفات الدكتور الحوفى دائرة الأدب الحـديث ، وله فيها أربعة كتب هى القومية العربية فى الشـعر الحديث ، وطنية شوقى ، الإسلام فى شعـر شوقى ، النسيب فى شعر شوقى . وواضح أن« شوقى » حظى بالنصيب الأكبر من دراسـة الدكتور الحـوفى للأدب الحـديث إذ كان يعجب به منذ بواكير حيـاته . والدائرة الثالثة فى مؤلفات الدكتور الحـوفى دائرة التراجم وله فيها أربعة مؤلفات ، هى : الجاحـظ — الطبرى — أبو حيان التوحيدى — الزمخشرى وهـو فيها جميعا يعرض العصر والبيئة والسيرة والثقافة وشـيوخ المترجم له وتـلاميذه وآثاره وآراءه مـع تحليل شخصيته الأدبية والعلمية .

والدائرة الرابعة فى مؤلفات الدكتور الحوفى الإسلام ، وله فيها خمسة مؤلفات هى: من أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم ، الجهاد ، سماحة الإسلام ، تحت راية الإسلام ، مع القرآن الكريم فى جزءين. وهو فى هذه المؤلفات يتحدث عن مُثل الإسلام العليا وما بث فى النفوس من أخوة وسماحة ونبل وخلق قويم وجهاد لأعداء الله ، كما يتحدث عن إعجاز القرآن وبلاغته الباهرة التى ليس لها سابقة ولا لاحقة فى تاريخ الإنسانية

والدائرة الخامسة فى مؤلفات الدكتور الحوفى كتب متنوعة ، منها البطولة والأبطال ، الفكاهة فى الأدب العربى ، مع ابن خلدون ، حصاد القلم .

وقد توج الدكتور الحوفى هذه المؤلفات والكتب بإخراجه لديوان شوقى فى مجلدين كبيرين ، وقد بوبه تبويبا جديدا وفقا للأغراض المتنوعة التى نظم فيها شوقى وشرح كثيرا من ألفاظ الديوان شرحا دقيقا ، وعرف بما ورد فيه من أعلام تعريفا وافيا ، وذكر مع طائفة كبيرة من قصائده مناسبات نظمها ، وأضاف إلى طبعته قصائد لشوقى لم تنشر فى طبعتى الديوان السابقتين، وقوّم ما وقع فى هاتين الطبعتين من أخطاء سواء فى الشرح لبعض الألفاظ أو فى ضبط الكلمات ، ونصّ على ما فى شعر شوقى من صيغ لم تثبتها المعاجم اللغوية . ورتب القصائد فى الأغراض المتنوعة بترتيب أبجدية القوافى . وألحق بالديوان فهارس مفصلة موسعة .

وحتى الآن لم أتحدث عن الدكتور الحوفى المجمعى ، وقد بزغ نجمه فى المجمع منذ سنة ١٩٧٣ وأرهص الدكتور إبراهيم أنيس — رحمه الله — فى حفل استقباله بما ينتظر المجمع منه لسعة علمه باللغة وخاصة ما يتصل منها بتحديد دلالات الألفاظ المجردة التى يفهما الناس فهما تقريبيا أو مقاربا ، يقول : « لما ألفت منذ ما يقرب من عشرين عاما كتابا فى دلالة الألفاظ كان على أن أتصل بأمثال الدكتور الحوفى وأن أوثق صلتى بهم ، حتى أستطيع تحديد المعنى تحديدا دقيقا لبعض الكلمات ذات الدلالات المجردة من مثل السماحة — الكياسة — العفة النزاهة — الإخلاص — الوفاء . وأوشكت دلالاتها بعد ذلك أن تصبح فى ذهنى دلالات حسية ،لأنها تمثلت أمامى فى صورة حية وتلك سجية بين السجايا يتحلى بها أمثال الدكتور الحوفى »

وقد أخذت تتجلى — بوضوح — هذه السجية أو هذه الحاسة اللغوية فى بحوث الدكتور الحوفى بالمجمع ومؤتمره ومجلسه ولجانه ، وهى حاسة لا تنشأ عفوا، وإنما تنشأ عن قراءة مرددة فى نصوص العربية وفقه باللغة وصياغاتها وبصر بدقائقها وأوضاعها .

وكلنا نذكر جولاته اللغوية وما كان ينفذ إليه من تبين للدلالات بعض الألفاظ تبينا سديدا ورسمه لمعانيها رسما محددا دقيقا، وكان حصاد لجنة الألفاظ والأساليب منه غزيرا، إذ كان كثيرا ما يختار لها ألفاظا وصيغا تشيع في الكتابات العصرية، ويظن أنها نابية عن الفصحى، وكان يظل يدرسها ويعرضها على تصاريف العربية واشتقاقاتها حتى يجدلها تخريجا لغويا قويما ينفي عنها الشبهة في انحرافها عن جادة الفصحى مثبتا أنها تمت إلى لغة الضاد بوشائج نسب وثيقة :

أيها السادة .

كان الدكتور الحوفي - بجانب كل ما قدمت من نشاطه العلمي الواسع - يشارك بعضويته في كثير من المجالس والهيئات واللجان والمؤتمرات الإسلامية سوى مقالاته الضافية في الصحف والمجلات أسبغ الله رحمته عليه وعلى الزميل الدكتور عمار وعلى من سبقوهما من الزملاء الأخيار، وأنزلهم جميعا منازل العلماء الأبرار . والسلام عليكم ورحمه الله .

٤ - كلمة الأسرة

للدكتور أسامه الحوفي

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الأستاذ/ الدكتور رئيس مجمع اللغة العربية، السادة الأجلاء أعضاء المجمع الموقر.

سيداتي وسادتي المشاركون في مواساتنا في فقيدنا الراحل .

لقد مضت أعوام كثيرة ونحن نشعر أن المجمع الموقر هو العائلة الكبرى لفقيدنا فقد كان دائم التحدث عنه والابتهاج بالمشاركة في نشاطه .

ومنذ مرضه الأخير قام لنا الدليل على أن هذه العائلة الكبرى، عائلة مجمعكم الموقر شديدة العطف والرعاية لفقيدنا العزيز فما يمر يوم من غير أن يكون من عائلة المجمع من يسأل عن صحة الوالد العزيز بالتليفون أو بالزيارة، وها أنتم الآن تتوجون رعايتكم للفقيد بإقامة هذا الحفل الذى أتقدم بشكرى لكم جميعا عليه وأخص بشكرى الأستاذ الدكتور رئيس المجمع والدكتور شوقي ضيف لما وصف وصدق . وللشاعر الأستاذ محمد عبد الغني حسن الذى واسى فأبكى . سيدى الرئيس في خشوع وتبجيل أكرر شكر أسرة الفقيد العزيز الدكتور أحمد الحوفى :

أطال الله بقاءكم ووقاكم كل مكروه .

وسلام عليكم ورحمة الله